جامعة العلوم الإسلامية العالمية

كلية الدراسات العليا

قسم اللغة العربية

التنغيم الصوتي في الأمثال القرآنية

- قراءة في بلاغة الخطاب -

Voice Toning Al- Quranic saying

Read Eloquence in speech

إعداد

أسامة حيدر محمد الديري

إشراف

أ.د. عبد القادر أحمد الرباعي

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة الدكتوراه

في تخصص الدراسات الأدبية والنقدية

في جامعة العلوم الإسلامية العالمية

تاريخ المناقشة :عمان 2017/8/22م

جامعة العلوم الإسلامية العالمية
كلية الدراسات العليا
قسم اللغة العربية

التنغيم الصوتي في الأمثال القرآنية

- قراءة في بلاغة الخطاب -

إعداد

أسامة حيدر محمد الديري

إشراف

أ.د. عبد القادر أحمد الرباعي

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة الدكتوراه

في تخصص الدراسات الأدبية والنقدية

في جامعة العلوم الإسلامية العالمية

تاريخ المناقشة :عمان 2017/8/22م

قرار لجنة المناقشة

التنغيم الصوتي في الأمثال القرآنية

- قراءة في بلاغة الخطاب -

Voice Toning Al- Quranic sayings

Read Eloquence in speech

أسامة حيدر محمد الديري

أ.د. عبد القادر أحمد الرباعي

نوقشت هذه الأطروحة وأجيزت بتاريخ (22 / 8 / 2017م)

أعضاء لجنة المناقشة:

أعضاء لجنة		الجامعة	التوقيع
1- أ.د. عبد القادر أحمد الرباعي	(مشرفاً ورئيساً)	جامعة العلوم الإسلامية العالمية	.....
2- أ.د. عبد الحليم حسين الهروط	(عضو)	جامعة العلوم الإسلامية العالمية	.....
3- د. موفق رياض مقدادي	(عضو)	جامعة العلوم الإسلامية العالمية	.....
4- د. حسام مصطفى اللحام	(عضو)	جامعة الزيتونة الأردنية	.....

The World Islamic & Education University (Wise)

Faculty Graduate studies

Dept. of Arabic Langnage

Voice Toning Al- Quranic sayings

Read Eloquence in speech

Prepared by:

Osamah Haidar AL - Diri

Supervisor

Prof. Dr. Abdul Qader .A. Rabbai

"A Dissertation Submitted in partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Doctor of Literary and critical studies

The World Islamic Science and Education University"

Date of discussion 22-8-2017 Amman

تفويض

جامعة العلوم الإسلامية العالمية

أنا الموقع أدناه / أسامة حيدر محمد الديري أفوض جامعة العلوم الإسلامية العالمية بتزويد نسخ من رسالتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبهم حسب التعليمات النافذة في الجامعة.

التاريخ : / / 2017م

التوقيع:

الإهداء

من كلل العرق جبينهما ... وشققت الأيام يديهما .... فنهلت العزم والتصميم منا ليكونا نبض حياتي... وذلك القلب الذي لم تغمض أجفانه، ولم يصمت لسانه ، فارتويت منه حب العلم والتضحية، وعجزت عن شكره... **والدي ووالدتي**

إلى من هم أقرب إليّ من روحي ...إلى من شاركني حضن الأم وبهم استمد عزتي وإصراري... **إخوتي**

إلى مَنْ أرقب شروق الشمس في بروج أعينهم .... ملاك ومالك ومؤمن وماريا وميار ومعتز .... **أبنائي**

بكل الحب.. إلى رفيقة دربي .. إلى من سارت معي نحو الحلم.. خطوة بخطوة بذرناه معاً.. وحصدناه معاً ....وسنبقى معاً.. بإذن الله ..... **زوجتي**

إلى من غرس في داخلي الإرادة والتحدي والصبر ، وشجعني على مواصلة درب العلم

أ د. عبد القادر الرباعي

إليهم جميعاً أهدي هذا العمل المتواضع

الشكر والتقدير

أسجل شكري لأستاذي الفاضل، الأستاذ الدكتور عبد القادر الرباعي ، الذي جاهد جهاد العلماء وبذل لي من وقته وجهده، بذل من يقدر على العطاء، ورعى من يبحثون عن بداية ندّية، تشدّهم إلى أعز ما يُعزّ من جذور أمة، وغرس في نفوسنا واجب الوفاء للحضارة العربيّة الإسلاميّة، لنقدم كل ما نختزن، وكلّ ما نضج من عصارة الفطن.

وأتقدم للأساتذة الأفاضل: الأستاذ الدكتور عبد الحليم الهروط، والدكتور موفق مقدادي والدكتور حسام اللحام – الذين تفضّلوا بقبول مناقشتي – بالشكر الجزيل، على تفضلهما بقراءة هذه الرسالة وتقويمها.

الفهرس

الموضوع رقم الصفحة

المُقدِّمـــــــة 1

التمهيد: 5

التنغيم الصوتي في آثار الدارسين 8

التنغيم الصوتي في كتابات المحدثين 12

المثل في القران الكريم..... 15

الخطاب في القران الكريم 18

الفصل الأول: تشبيه الأوصاف في الأمثال القرآنية..... 21

القيمة الجمالية للتشبيه 27

نماذج من تشبيه الأوصاف في الأمثال القرآنية 30

الفصل الثاني: تشبيه الأمثال القرآنية في رسم الشخصيات 91

الفصل الثالث: فن المقابلة في الأمثال القرآنية الصريحة 141

الفصل الرابع: الكناية في الأمثال القرآنية 173

الفصل الخامس: الاستعارة في الأمثال القرآنية 210

الخاتمة 240

المصادر والمراجع 241

ملخص الدراسة:

التنغيم الصوتي في الأمثال القرآنية

- قراءة في بلاغة الخطاب -

إعداد/ أسامة حيدر محمد الديري

إشراف / أ.د. عبد القادر أحمد الرباعي

تاريخ المناقشة :عمان 2017/8/22م

تناولت هذه الدراسة بدايَة مفهوم التنغيم وما أصابه من نموٍّ وازدهار في العصر الحديث من قِبل الباحثين وطلاب العلم؛ لأنه يُعد من الأساليب الحديثة التي ساهمت في بيان أسرار هذا القرآن العظيم، وكان من مفاتيح أسراره الجانب الصوتي في حروفه وكلماته من تنغيم ونبر وإيقاع ومد، وقد استطاع التنغيم أن يكشف جماليات النص القرآني، وذلك بتحديد مساره ومكوناته الصوتية تلاؤماً وانسجاماً من خلال التباعد والتقارب في الصفة والمخرج وكشف معانيه.

ولعب هذا المصطلح دوراً كبيراًوفاعلاً في آيات الأمثال القرآنية الصريحة، وحل الكثير من إشكاليات الدلالة المتعلقة بالأصوات والتراكيب، والقرآن الكريم عامة وآيات الأمثال الصريحة خاصة زاخرة بالأمثال التطبيقية على هذا المصطلح، وكانت الدراسات السابقة لآيات القرآن الكريم تتناول القيم الجمالية والتعبيرية ضمن إعجاز الآية ولم تنقلها لساحة الدراسات الأدبية التطبيقية، ثم بدأت تدخل هذه الساحة على توجس وتخوف من أن يكون ذلك خروجاً بالنص القرآني عن بيئته ومجاله، وحصره في مجالات أخرى غريبة عنه، إلى أن توجهت جهود الباحثين حديثاً إلى هذا النوع من الدراسة بهدف اكتشاف هذه القيم من منظور أدبي نقدي يقدم تفسيراً لموضوع الإعجاز نفسه، ويعمل على مقاربة نص الآيات لتدخل هذه الساحة.

وبعد النظر في مفهوم التنغيم وتطوره من خلال تمهيد نظري جاء في بداية الدراسة، تم تناول التنغيم الصوتي في الأمثال القرآنية الصريحة، والمقصود بمصطلح المثل في الخطاب الديني،عبر خمسة فصول تبدو مع استقلاليّتها متداخلة، وقد تمّ تخصيص **أوّل هذه الفصول** لتناول التنغيم في تشبيه الأوصاف داخل آيات الأمثال القرآنية، ويتم التعرض فيه لتعريف التشبيه لغة واصطلاحاً وتطبيقه على نماذج لآيات الأمثال. **وفي الفصل الثاني** تمّ تناول التنغيم في تشبيه رسم الشخصيات في آيات الأمثال، ويتم التعرض فيه إلى نماذج من آيات الأمثال القرآنية جسدت فيها رسم الشخصيات، من خلال بيان المدود والأثر الموسيقي في ألفاظها، **وفي الفصل الثالث** تم تناول المقابلة وبُعدها الإيقاعي في آيات الأمثال. **وفي الفصل الرابع** تم تناول الكناية وأبعادها الإيقاعية، **وفي الفصل الأخير** تناولت فن الاستعارة، واختيار نماذج من آيات الأمثال القرآنية. وفي نهاية المطاف جاءت الخاتمة، وفيها يتم استعراض أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

Abstract

Voice Toning Al- Quranic sayings

Read Eloquence in speech

Prepared by: Osamah Haidar AL - Diri

Supervisor: Prof. Dr. Abdul Qader .A. Rabbai

Date of discussion 22-8-2017 Amman

This study dealt with the beginning of the concept of toning and the subsequent growth and prosperity in the modern era by researchers .Because it is one of the modern methods that contributed to the statement of the secrets of this great Quran. One of the keys to his mysteries was the vocal aspect in his letters and words of smoothness. Tone and rhythm .The toning was able to reveal the aesthetics of the Qur,anic tex . By determining its course and sound components in harmony and harmony through the divergence and convergence in the trait and the output and reveal its meanings.

Ply this term is a major role in the signs of Proverbs Quranic explicit. Solving a lot of sound structures . koran Holy generl sayings explicit private many applied on this term .The previous studies Quran address the values of aesthetic. Emotional. Within the secrets of the Quran and is not moved studies literary applied. Then took intervention study on the fear of that it is a departure koran for its meaning real and put it in other areas. That went efforts researchers newly to this type of the study in order to discover the study in order to discover the values of the perspective of literary cash provides an explanation of the subject miracle of the same. Works to compare the text of verses to enter this Arena.

After the consideration of the concept of toning and evolution of the boot theoretical came at the beginning of the search .Taken toning voice in sayings Quranic explicit. Intended similarly in Islamic discourse. Through five chapters and eat the first chapter education in likening descriptions inside sayings the Qur'an. Are exposure in which to identify the analogy language and application of models on this. In the second quarter was eating toning in likening graphic figures in sayings Quranic through models applied embodied in which to draw the characters Quranic through the effect of music in Quranic In the third quarter was eating the art of the interview and dimension rhythmic in verses Quranic. In the chapter fourth been eating ambiguity and after the rhythmic. In the chapter last took up the art of metaphor and select models of verses sayings Quranic. Eventually came conclusion in which is the review of the most important findings the study.

المُقدِّمة

المُقدِّمة

الحمدُ لله الّذي جعل قرآنه آيات أحاطت بكل العلوم منذ ابتداء الخليقة لغاية يوم الّدين، وقدر سبحانه وتعالى أن تكون اللغة العربية حاملةً آخر الرسالات، وفتح على أهلها ما لا يحصى من المضامين العاليات، وبها أخذ الله بناصيته إلى المنهج القويم والأسلوب المتين، ويستنزل المزيد من توفيقه ليصرف كلّ حياتي ومماتي للتّكامل في خدمة كتابه العظيم، ويأخذ بناصيتي للسّير خلف الّذي صار خُلقه القرآن سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم -.

وبعد:

حظيت دراسة التنغيم بعناية مشهودة في العصر الحديث من قِبل الباحثين وطلاب العلم؛ لأن التنغيم يُعدَّ من الأساليب الأدبيّة الحديثة التي ساهمت في بيان أسرار هذا القرآن العظيم، وكان من مفاتيح أسراره الجانب الصوتي في حروفه وكلماته من نبر وإيقاع ومدّ و وقف وسكت، وقد استطاع التنغيم وهو أبرزها، بل لعله يشملها جميعاً ويعمل على توضيحها، أو يسهم بشكل كبير في تأثير بعضها، واستطاع هذا المصطلح أن يلعب دوراً كبيراً وفاعلاً في آيات الأمثال القرآنية، وحل الكثير من إشكاليات الدلالة المتعلقة بالأصوات والتراكيب، والقرآن الكريم عامة وآيات الأمثال خاصة زاخرة بالأمثال التطبيقية على هذا المصطلح، وكانت الدراسات السابقة لآيات القرآن الكريم تتناول القيم الجمالية والتعبيرية ضمن إعجاز الآية، ولم تنقلها لساحة الدراسات الأدبية التطبيقية، ثم بدأت تدخل هذه الساحة على توجس وتخوف من أن يكون ذلك خروجاً بالنص القرآني عن بيئته ومجاله، وحصره في مجالات أخرى غريبة عنه، إلى أن توجهت جهود الباحثين حديثاً إلى هذا النوع من الدراسة بهدف الكشف هذه القيم من منظور أدبي نقدي يقدم تفسيراً لموضوع الإعجاز نفسه، ويعمل على مقاربة نص الآيات لتدخل هذه الساحة.

ويعد (إبراهيم أنيس) الرائد الأول الذي نبه إلى دراسة مصطلح التنغيم في كتابه (الأصوات اللغوية) وجاء من بعده (تمام حسان) الذي تناوله بشكل أوسع وناضج وذهب إلى أن مصطلح التنغيم:" **ارتفاع الصوت وانخفاضه في أثناء الكلام لبيان مشاعر الفرح، والحزن، والغضب، والتوتر، والتهكم، والاستغراب**".

ومما لا شك فيه أنّ للتنغيم الصوتي قيمة جماليّة، تزداد رونقاً وجمالاً عندما تتحقق بلا تكلّف أو مغالاة في خدمة معنى الآيات، فضلاً عن قيمتها الانفعالية المتمثلة في الدفقات الشعورية الكامنة في النفس البشرية المتلقية لكتاب الله.

ونجد أن هناك عدداً كبيراً من الدارسين والباحثين لمصطلح التنغيم قديماً وحديثاً، ولكنها لم تستوفِ هذا المصطلح حقه فقد كانت الدراسات تتناوله بجوانب متناثرة، وقد حاولت في هذا البحث دراسة التنغيم الصوتي ومحاولة التقريب بين منهجية القدماء ودراسة المحدثين له عبر تطبيقها على بعض آيات الأمثال القرآنية.

و مما زاد في التمسك بهذه الدراسة أنه على الرغم من كثرة الدراسات التي قامت حول مصطلح التنغيم والإيقاع في القرآن الكريم قديماً وحديثاً؛ إلاّ أنها لم تتناول التنغيم الصوتي في الأمثال القرآنية (فيما أعلم) بشكل خاص ومستقل، مما حفز الباحث القيام بهذا العمل.

وبعد أن تمّ المراد واطمأنت النّفس إلى هذا الاختيار، تمّ تناول(التنغيم الصوتي في الأمثال القرآنية – قراءة في بلاغة الخطاب-) .

بعد النظر في مفهوم التنغيم وتطوره من خلال تمهيد نظري جاء في بداية الدراسة، تم تناول التنغيم الصوتي في الأمثال القرآنية عبر تقسيمها إلى خمسة فصول تبدو مع استقلاليّتها متداخلة، وقد تمّ تخصيص أوّل هذه الفصول لتناول التنغيم في تشبيه الأوصاف داخل آيات الأمثال القرآنية، ويتم التعرض فيه لتعريف التشبيه لغة واصطلاحاً وتطبيقه على نماذج لآيات الأمثال. وفي الفصل الثاني تمّ تناول التنغيم في تشبيه رسم الشخصيات في آيات الأمثال، ويتم التعرض فيه إلى نماذج من آيات الأمثال القرآنية جسدت فيها رسم الشخصيات، من خلال بيان المدود والأثر الموسيقي في ألفاظها، وفي الفصل الثالث تم تناول المقابلة وبُعدها الإيقاعي في آيات الأمثال. وفي الفصل الرابع تم تناول الكناية وأبعادها الإيقاعية، وفي الفصل الأخير تناولت فن الاستعارة، واختيار نماذج من آيات الأمثال القرآنية. وفي نهاية المطاف جاءت الخاتمة، وفيها استعراض أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

ولمّا كانت الدراسة تهدف إلى تناول الجانب التنغيمي وأثره في آيات الأمثال القرآنية، فإن حدودها المنهجية جعلتها تقوم على منهج وصفي تحليلي واستقرائي بياني يعتمد نص الأمثال أساساً مكيناً لها، فاستنطاق الآيات هو الكفيل وحده في أن يمنحنا نتائج هي أقرب إلى الواقع والمنطق، لأن الدراسة

النّصية القائمة على الدخول إلى مفاصل النص بتصورات واضحة تمنح الدراسة قدراً كبيراً من المصداقية التي نتوخاها في تطبيق المناهج على النص القرآني.

وأخيراً فإن دراسة التنغيم الصوتي في الأمثال القرآنية، ليست بدعاً في مجال الدراسات الإيقاعية، فقد سبقتها دراسات أخرى شبه مماثلة، كان لها الفضل الأكبر في وصول الدراسة على المستوى الذي وصلت إليه، لعل أهم الدراسات (**الأمثال القرآنية دراسة لغوية**) للباحث عيد جمال الدين ، في جامعة آل البيت. و(**الأمثال القرآنية المتعلقة بالعقيدة الإسلامية – دراسة موضوعية**) للباحث محمد هزيم الجعافرة، جامعة آل البيت. كذلك رسالة ماجستير بعنوان (**الدلالات التربوية في أمثال القرآن الكريم**) للباحث ياسرالنعيم، جامعة آل البيت. وفي هذا السياق يتحتّم أيضاً الاعتراف بالفضل للعديد من كتب الأستاذ الدكتور عبد القادر الرباعي التي كان لها الأثر الكبير في إنارة دروب فصول هذه الرسالة، مثل في تشكل الخطاب النقدي والصورة الفنية في شعر أبي تمام.

الدراسات السابقة

حاولت قدر الإمكان واجتهدت في البحث على أن أجد دراسة علمية سابقة مماثلة عنوانا أو خطة أو منهجا فكانت جهودي في البحث بالشكل الآتي :

- رسالة ماجستير بعنوان(**الأمثال القرآنية دراسة لغوية**) للباحث عيد جمال الدين ، في جامعة آل البيت، الأردن،عمان.
- رسالة دكتوراه بعنوان(**جمالية البنية الإيقاعية في القرآن الكريم**) للباحثة عناية عبد الرحمن، جامعة صنعاء، اليمن.
- رسالة ماجستير تحت عنوان (**الأمثال القرآنية المتعلقة بالعقيدة الإسلامية**) للباحث محمد هزيم عبد المعطي الجعافرة، جامعة آل البيت، الأردن، عمان.
- كذلك رسالة ماجستير بعنوان (**الدلالات التربوية في أمثال القرآن الكريم**) للباحث ياسر محمد عيسى النعيم، جامعة آل البيت.

وإضافة إلى ما سبق ذكره في وصف الرسائل السابقة، فان رسالتي تختلف عنها عنوانا وخطة ومنهجا ومادة حيث كان البحث مختصراً على بعض من آيات خطاب الأمثال في القرآن الكريم

(الأمثال الصريحة) فقط، وكان في البحث الجمالي والتنغيم الصوتي الذي دعا للتجديد في البلاغة العربية.

منهجية البحث

اتّبعت في هذه الدراسة المنهج الوصفي التّحليلي؛ إذ تناولت آيات الأمثال القرآنية، ووقفت على تحليلها، مبيّنا سماتها اللغوية، وخصائصها البيانيّة، وما اشتملت عليه من جوانب إيقاعية وجماليّة.

أهداف الدّراسة ومسوّغاتها:

١. إبراز الجانب الصوتي في الأمثال القرآنيّة، واكتناه جماليّة التّنغيم فيها.

٢. الوقوف على الجوانب المهمّة التي أسّس لها علماء التجويد في بيان خصائص الصوت، وربط ذلك بما انطوى عليه المثل القرآني، وتعزيزه بما جدّ في علم الصوتيّات، مّما يتّصل بهذا الجانب.

٣. قلّة الدّراسات التي وقفت على الجانب الجمالي للتّنغيم في القرآن الكريم، ولا سيّما الأمثال القرآنيّة. وهو ميدان فسيح ما زال في حاجة ماسّة إلى الدّراسة الواسعة والعميقة. وهذا الجهد المقدّم في الدراسة هو خطوة في هذا الاتّجاه.

التمهيد:

إن اللغة العربية لغة غنية، وذات جوانب متعددة، ويعد التنغيم من الظواهر الصوتية التي تزخر بها، ويسهم في إثراء النص الأدبي بجمالياته وتعبيراته التنغيمية، إذ يمثل التنغيم عنصراً أساسياً من عناصر التحويل،" **ويرتبط ارتباطاً أساسياً بالتغيرات التي تطرأ على تردد نغمة الأساس أثناء الكلام**[١]" وهو من الظواهر الصوتية التي لم تلق اهتماماً عند علماء اللغة العربية القدماء إلا بقدر الذي يفي بحاجة علم النحو؛ وذلك لاعتمادهم اللغة المكتوبة في بعض الأحيان، ويعد التنغيم ظاهرة صوتية غير تركيبية، ويستطيع أن يضفي على النص إطلالات جمالية لافتة ومؤثرة فمن الضرورة أن تهتم به الدراسات الحديثة.

التنغيم لغة واصطلاحاً :

التنغيم لغة: " تنغيم اسم، الجمع : تنغيمات، مصدر نغّمَ، والتنغيم في اللّحن: يعني الإنشاد، التّطريب فيه. وفي العلوم اللغوية توالي درجات صوتية مختلفة أثناء النطق[٢]". وعند توقفنا على مادة (نغم) وما لها من معانٍ ودلالات نجد الفراهيدي يعرف التنغيم بأنه:"**جرس الكلام، وحسن الصوت عند القراءة ونحوها**[٣]".

أما تعريفه عند الجوهري فهو:" **الكلام الخفي، نقول نغم ينغم وينغم نغما، وفلان حسن النغمة، إذا كان حسن الصوت في القراءة**[٤]". وكان للزمخشري تعريف آخر بقوله:" **النّغم، حسن النغمة، ونغم بكلمة ناغمة**[٥]"، وفي تعريفه لجرسه يقول:" **ما سمعنا جرساً ولا همساً، وهما الخفي من الصوت، وسمعت جرس الطير، وهو صوت مناقيرها، وجرس الكلام، نغم به**[٦]". ولم يضف ابن

---

[١]- مصلوح، سعد،(١٩٨٠م) **دراسة السمع والكلام**، ط١، ص٢٥٣،عالم الكتب،القاهرة.

[٢]- الفيروزي آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب(٢٠٠٨م) **القاموس المحيط**، تحقيق مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة، ط٦، مادة (نغم) دار الرسالة، بيروت، لبنان.

[٣]- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، **العين**، تحقيق المخزومي ، دار الشؤون الثقافية، بغداد، العراق، مادة (نغم) .

[٤]- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد(١٩٥٦) **الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور، مادة (نغم) ، دار الكتاب العربي، مصر.

[٥]- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر(١٩٩٦م) **أساس البلاغة**، ط١، مادة (نغم)، مكتبة لبنان،بيروت.

[٦]- المصدر السابق، مادة (جرس).

منظور على قول الزمخشري ومن سبقه أي جديد في تعريفه للنغم، ولكنه استطاع أن يجمع الأقوال ويستوعبها ويخرج بقوله: **" النغم، جرس الكلام، وحسن الصوت**[1]**"**.

وجاءت لفظة (النغمة) في المعجم الوسيط بمعنى:**" جرس الكلمة، وحسن الصوت في القراءة وغيرها**[2]**"**. وكان من معانيها اللحن بقوله:**" لحّن في قراءته؛ طرّب فيها وغرّد بألحان**[3]**"**. لقوله تعالى: ﴿وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾[4]، ويمتاز التنغيم بأنه تتجاذب فيه لمن تأمل تعريفه عند السابقين يجد فيه مفردات ثلاثاً(نغمة، جرس، ولحن).

<u>التنغيم اصطلاحاً:</u> هو تتابع الأصوات وما يعتريها من ارتفاع وانخفاض في طبقة الصوت، ويرتبط هذا الارتفاع والانخفاض بتذبذب الوترين الصوتيين اللذين يحدثان النغمة الموسيقية؛ وهو بهذا المفهوم دليل على أن العنصر الموسيقي جزء من نظام اللغة، وقد عرّفه (إبراهيم أنيس) في كتابه الأصوات اللغوية تعريفاً جامعاً فهو أول من تنبه في دراسته على مصطلح التنغيم وأخذ يحث الدارسين على ذلك من خلال قوله:**" البحث عن نظام درجات الصوت، وتسلسله في الكلام العربي يحتاج إلى عون خاص من الموسيقيين عندنا، ولسوء الحظ حتى الآن لم يهتم موسيقيونا إلى السلم الموسيقي في غنائنا، أو بعبارة أخرى لم يتفقوا عليه.**[5]**"**.

ويعرّفه أحمد مختار قائلاً:**" هو تتابعات مطردة من مختلف أنواع الدرجات الصوتية على جملة كاملة أو أجزاء متتابعة، وهو وصف للجملة وأجزاء الجمل وليست للكلمات المختلفة المنعزلة**[6]**"**أما **المنعزلة**[6]**"**أما (تمام حسان) فله تعريف آخر بقوله:**" ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام**[7]**"** وقوله وقوله هو: **" الإطار الصوتي الذي تقال به الجملة** [8]**"** وفي موضع آخر يعرّفه بأنه:**" تغيرات تنتاب**

---

[1]- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم(د.ت) **لسان العرب**، مادة(نغم)، دار صادر، بيروت.
[2]- مجمع اللغة العربية(٢٠٠٤م) **المعجم الوسيط**، ط٤، مادة(نغم)، مكتبة الشروق الدولية، عمان.
[3]- نفس المرجع، مادة(لحن).
[4]- سورة (محمد:٣٠).
[5]- أنيس، إبراهيم(١٩٦١م) **الأصوات اللغوية**، ط٣، ص١٢٤، دار النهضة العربية،القاهرة.
[6]- عمر،أحمد مختار(٢٠٠٦م) **دراسة الصوت اللغوي**، ط٤، ص١٩٤، عالم الكتب،القاهرة.
[7]- حسان، تمام(١٩٥٥م) **مناهج البحث في اللغة**، ط٤، ص١٦٤، مكتبة الإنجلوا المصرية،القاهرة.
[8]- حسان، تمام(١٩٩٤م) **اللغة العربية مبناها ومعناها**، ط١، ص٢٢٦، دار الثقافة، الدار البيضاء.

صوت المتكلم من صعود وهبوط لبيان مشاعر الفرح، والحزن، والغضب، والتوتر، والتهكم، والاستغراب[١]".

والنغم يختلف عن التنغيم، فالتنغيم عبارة عن" **مجموعة النغمات التي يمثلها نوع خاص من أنواع الحدث الكلامي[٢]"**.وعليه فالتنغيم مصطلح صوتي وظاهرة أسلوبية تعمل على حل الكثير من إشكاليات الدلالة المتعلقة بنبرة الصوت وسياقها التنظيمي ويساهم التنغيم في آيات الأمثال بنقل المعنى من الغموض إلى الوضوح الجلي.

التنغيم الصوتي في آثار الدارسين:

للتنغيم الصوتي أثر عجيب في النفس البشرية، والإنسان بشكل عام ميال إلى النغم والإيقاع، ويرى دارسو الموسيقى أنه وسيلة لأداء رسالة الدين والسمو بالروح البشرية وتخليصها من النزوات و" **التعبير عنها بإيقاظ المشاعر وإرهاف الحس والسمو بالعاطفة، وانتزاع النفس انتزاعاً من محيطها الدنيوي المليء بالمطامع والدنايا للانطلاق في فضاء اللانهاية والتخلص من شوائب المادة"[٣].**

وقد جمعت الأمثال القرآنية بين موسيقى الشعر حيث نغمة الوزن والاهتزاز النفسي لها - وما هو بشعر- وموسيقى النثر حيث الإيقاع العميق الذي يحدّثه حسن التوزيع بين الحروف ذاتها، والكلمات والعبارات و" **موسيقى الحس حيث مشاركة الحواس لاهتزازات النفس من تأثير تموجات الموسيقى... وموسيقى الروح حيث النشوة الهادئة النابعة من مجموع أنواع الموسيقى التي سبق ذكرها، فالقرآن اكتمال لنماذج موسيقية حيّة في تراكيب خالدة للغة العربية[٤]".**

والأمثال القرآنية وآياتها المعجزة بكل صوت وتركيب ودلالة فيها، يعطي نص المثل قيمة جمالية وتعبيرية، ويلمس المتأمل لتنغيم آيات الأمثال نوعاً من الإعجاز المُبهر، فدلالة الصوت ليست كما هي في أي نصّ آخر" **فالإيحاء في كتاب الله عز وجل صفة لازمة لألفاظه، تنهض من خلالها معالم الصور التي تعرضها الآية، وتدع المخيلة متحركة سابحة في أبعاد المعاني التي تعمر بها الألفاظ، وقارئ القرآن الكريم يستطيع - بحكم ما يملكه لفظ القرآن الكريم من قوة الإيحاء- أن يغوص في**

---

[١]- حسان، **مناهج البحث في اللغة**، ص١٦٤.

[٢]- نور الدين،عصام (١٩٩٢)**علم وظائف الأصوات اللغوية(الفنولوجيا)** ط١، ص١١٩، دار الفكر اللبناني، بيروت.

[٣]- حنفي، محمود احمد(د.ت) **محيط الفنون- بحث بعنوان الموسيقى العربية من قبل الإسلام حتى سيد درويش-** ط١، ص٦٢. دار المعارف، مصر، القاهرة.

[٤]- السلامي،عمر(١٩٨٠م) **الإعجاز الفني في القرآن الكريم**، ط١، ص٢٢٢، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله،تونس.

المعنى ويقع على كنوزه ويحصّل أسرار لطيفة ودقائق عجيبة من خلال الإيحاء اللفظي في النص القرآني[1]".

ويلمس المتلقي التنغيم الصوتي في آيات الأمثال في كل مشهد وقصة وحوار، وفي كل مطلع وختام، وفي كل استعارة وكناية وتشبيه" **فأسلوبه إيقاعي غني بالموسيقى، مليء بالنغم المنحدر من الحركة، ومن الحروف، ومن اللفظ المفرد، ومن التركيب، فتلقي كل آية ظلالها بجرسها وبنغمها حتى لنكاد عند قراءته أو تلاوته نسمع أصوات الأحداث غير المسموعة، ونرى المشاهد غير المنظورة**[2]".

التنغيم الصوتي في دراسات السابقين :

جاءت آراء القدامى من نقاد الأدب والشعر عن الأثر الصوتي في النسق الشعري والقيمة التعبيرية الصوتية للفظ من خلال ما يمتاز به شاعر عن آخر في صياغة اللفظ أو افتتاح النص أو " **الأثر الشعوري في النفس**". ويقول ابن طباطبا (ت٣٢٢هـ):" **والأذن تتشوف للصوت الخفيف الساكن وتتأذى بالجهير الهائل**[3]"، وقول أبي هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) جاء مقارباً لذلك " **والسمع يتشوف للصواب الرائع وينزوي عن الجر الهائل**[4]". والإيحائية الجمالية للصوت يشبهها ابن رشيق (٤٥٦هـ) بالصورة البصرية فيقول: " **الألفاظ في الأسماع كالصورة في الأبصار**[5]"، كما تبدو قيمة الأثر الصوتي اللفظ عند ابن سنان الخفاجي(ت٤٦٦هـ) شيئاً آخر زائداً على تباعد مخارج الحروف فيه إذ لابد من استحسان اللفظ في السمع وحدوث الأثر النفسي في ذلك فيقول:" **أن تجد لتأليف اللفظ في السمع حسناً ومزية على غيرها وإن تساويا في التأليف من الحروف المتباعدة، كما أنك تجد لبعض النغم والألوان حسناً يتصور في النفس ويدرك بالبصر والسمع دون غيره**[6]".

---

[1]- السلامي، **الإعجاز الفني في القرآن الكريم**، ص٩٨-٩٩.

[2]- الصالح، صبحي(١٩٨٣م) **مباحث في علوم القرآن** ، ط١٥، ص٣٣٤، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

[3]- ابن طباطبا،أبو الحسن محمد بن أحمد (١٩٨٢م) **عيار الشعر**،تحقيق:عباس عبد الساتر، ص٢٧، دار الكتب العلمية، بيروت.

[4]- العسكري،أبو هلال(١٩٨٩م) **الصناعتين،الكتابة والشعر**، تحقيق: مفيد قمحية، ط٢،ص٦٣، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

[5]- القيرواني،أبو علي الحسن ابن رشيق(١٩٦٣م) **العمدة في محاسن الشعر ونقده**، تحقيق: محمد محي الدين، ط١، ص١٢٨، مكتبة السعادة، القاهرة.

[6]- الخفاجي،ابن سنان(١٩٥٣م) **سر الفصاحة**، تحقيق: عبد المتعال الصعيدي، ط٢، ص٥٤، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

وقد تعرضت دراسات النص القرآني للظاهرة الصوتية وتنغيمها، باعتبارها إحدى مكونات الإعجاز، ولعل من أقدم الدراسات ما أورده الفراء(ت٢٠٧هـ) في كتابه (معاني القرآن) فقد قام بعمل موازنة بين قافية الشعر وفاصلة القرآن الكريم، فيقول في هذا المقام تحدثنا عن معاني القرآن **"ويعني فيه بما يشكل في القرآن، ويحتاج إلى بعض العناء في فهمه**[١]". وحاول الفراء دراسة الجوانب التنغيمية دون الإشارة إلى المصطلح.

وأشار الجاحظ (ت٢٥٥هـ) إلى أهمية التنغيم في الدلالة على المعنى الذي يريده المتكلم، وقارن بين القرآن وبين الشعر والسجع وانتهى بقوله :**" والصوت هو آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظا، ولا كلاما موزونا، أو منشورا إلا بظهور الصوت"**[٢]. وفي ذلك إشارة إلى أهمية التنغيم في الحدث الكلامي ينم عن فهم دقيق لأصول الإدراك الذهني في عملية التواصل الدلالي بين المرسل والمتلقي.

أما ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) فقد أورد في كتابه (تأويل مُشكل القرآن) عن ظاهرة الأثر الصوتي للسياق القرآني ولا يزيد عن تلك الانطباعات السابقة ومن ذلك قوله: **" وجعله متلواً لا يمل على طول تلاوته، ومسموعاً لا تمجه الآذان، وغضاً لا يخلق على كثرة الرد وعجيباً لا تنقضي عجائبه**[٣]**"** بينما رأى بعض الدارسين دلالات هذا القول فعدّ النغم الموسيقي أحد عناصر الإعجاز لديه ويشمل النغم لديه **" النظم والإيقاع، ويبدو هذا في تناسق الحروف وتآلفها، وفي الفواصل مفردة ومختلفة، والقرآن على ذلك حلو النغم رتيب الوقع حبيب الجرس لا تمله الآذان رغم كثرة السماع والتلاوة لما ينساب في عباراته وألفاظه من موسيقى، ولا تتعثر فيه الألسنة حين القراءة لسلامته وشدة أثره وتدفقه"** [٤].

---

[١]- الفراء،أبو زكريا يحيى بن زياد(٢٠١٠م) **معاني القرآن**: تحقيق احمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، ج ١، (المقدمة)، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر.

[٢]- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر(د.ت) **البيان والتبين**، تحقيق عبد السلام هارون،ج١، ص٧٩، دار الكتب العلمية، بيروت.

[٣]- ابن قتيبة(١٩٧٣م) **تأويل مشكل القرآن**، تحقيق: السيد احمد صقر، ط٢، ص٣،دار التراث،القاهرة.

[٤]- اليافي، نعيم(١٩٨٤م) **ثلاث قضايا حول الموسيقى في القرآن**، تشرين الأول، ع (١٧)،ص١٠١، مجلة التراث العربي،اتحاد الكتاب العرب، دمشق.

وقال الخطابي(ت٣٨٨هـ) إن الكلام إنما يقوم بأشياء ثلاثة:" **لفظ حاصل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم، وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة، حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح، ولا أجزل، ولا أعذب من ألفاظه**[١]" .

ولابن جني(ت٣٩٢هـ) تأصيل في الأصول والأصوات، والتراكيب، والدلالة، فمن جوانب بحثه الصوتي، التي تعد امتداداً لدراسات السابقين له عن التنغيم، يقول:" **وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها...**"[٢]. واستطاع ابن جني أن يوظف النبر في الدلالة،" **فهذا التمطيط، وهذه الإطالة تغنينا عن التصريح بصفات المذكور في مدحه، وهي أبلغ في الدلالة من التصريح بالأوصاف**"[٣].

وكان الباقلاني **(ت٤٠٣هـ)** أكثر وضوحاً في تحديد أثر الصوت في السمع والملاءمة بين الصوت والدلالة في التعبير القرآني، فالتلاؤم عنده" **حسن الكلام في السمع وسهولته في اللفظ، ووقع المعنى في القلب وذلك كالخط الحسن والبيان الشافي**" [٤]، وإن كان الباقلاني لم يعد البديع من الأسباب الموصلة إلى الإعجاز[٥].

ولكن عبد القاهر الجرجاني الذي نضجت نظرية النظم القرآني لديه قدم رؤيته في التنغيم وأثره في دلالة السياق القرآني بقوله:" **بل من حيث تنظر بقلبك وتستعين بفكرك وتعمل رويتك وتراجع عقلك وتستنجد في الجملة فهمك**[٦]".

وقال العطار في رسالته التمهيد في معرفة التجويد، مشيراً بعلامات عن ظاهرة التنغيم باعتبارها قضية صوتية لا تقل أهمية عن طرائق الأداء التجويدي وضوابطه:" **وأما اللحن فهو الذي لا يقف على حقيقته إلا نحارير القرّاء، ومشاهير العلماء،... ولا تدرك حقيقته إلا بالمشافهة وبالأخذ من أفواه أولي الضبط والدراية، وذلك نحو مقادير المدّات، وحدود الممالات والملطفات، والمشبعات،**

---

[١]- الخطابي،أبو سليمان حمد بن محمد البستي(١٩٥٣م) **بيان إعجاز القرآن**،تحقيق: عبد الله الصديق،ص٢٧،مطبعة دار التأليف،القاهرة.

[٢]- ابن جني،أبو الفتح عثمان بن جني (١٩٩٠م)**الخصائص**، تحقيق محمد علي النجار،ط٤،ج٢،ص٣٧٢-٣٧٣،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

[٣]- عبد الكريم مجاهد(د.ت)**الدلالة اللغوية عند العرب**،ص١٧٧، دار الضياء،عمان ، الأردن.

[٤]- الباقلاني،أبو بكر محمد (١٩٨٢م)**إعجاز القرآن**، تحقيق: السيد صقر، ط٣،ص٣٤٠، دار المعارف، القاهرة.

[٥]- ابن أبي الإصبع،عبد العظيم بن الواحد(د.ت) **بديع القرآن**، تحقيق حفني محمد شرف، د.ط، ص٥١، نهضة مصر، القاهرة.

[٦]- الجرجاني،أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن(١٩٩٢م) **دلائل الإعجاز في علم المعاني**،تحقيق: محمود شاكر، ط٣، ص١٠٤،٤٥٧،٩٢، مطبعة المدني،القاهرة.

والمحسنات،...[1]". ولعل في هذا النص ما يؤكد على وعي العطار أهمية التنغيم في تحديد مسارات الدلالة اللغوية في العربية بعامة والقرآن الكريم خاصة، حيث تكمن أهمية الإمالة والملطفات في المخارج والصفات، وإشباع الأصوات، واختلاسها فلا يكون إلا حيث نجد النمط التنغيمي صعوداً واستواءً وهبوطاً.

ووقف ابن الأثير على أثر الصوت في الدلالة على المعنى، فالألفاظ عنده أدلة على المعاني وأمثلة للإبانة عنها فإذا زيد في الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني .

و أدرك السمرقندي(ت٧٨٠هـ) في رسالته (روح المريد في شرح العقد الفريد في نظم التجويد) التنغيم بفهم تجاوز فيه المتقدمين والمتأخرين وعياً وتحديداً وتفصيلاً على انعدام الإمكانات المخبرية في زمنه[2].

لقد حاول السمرقندي تطبيق فكرة رفع الصوت وخفضه على صور نطقية مماثلة في البنية، ولا يفرق بينها إلا طريقة التنغيم[3].

أما الإمام الزركشي (ت ٧٩٤هـ) فقد درس الأنماط التركيبية لآيات القرآن الكريم، بوصفها قضية تدل على إعجاز القرآن، وتحدث عن فنون مختلفة من البديع كشف فيها عن الأثر الصوتي في التنغيم الصوتي في القرآن الكريم، وتناول إيقاع المناسبة بين المقاطع والفواصل، فقال: **" واعلم أن إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل حيث تطرد متأكد جداً، ومؤثر في اعتدال نسق الكلام، وحسن موقعه من النفس تأثيراً عظيماً، لذلك خرج من نظم الكلام لأجلها في مواضع**[4] **منها: زيادة صوت الألف في قوله تعالى:** ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾[5]".

وأعطى البقاعي اهتماماً واضحاً ليكشف للمتلقي عن العلاقة بين الصوت ودلالته في السياق القرآني، ويعتبر صاحب رؤية ناضجة في هذا الاتجاه. فقال البقاعي في ألف (الرسولا): **" إن زيادتها في قراءة من أثبتها إشارة إلى إيذانهم بأنهم يتلذذون بذكره ويعتقدون أن عظمته لا تنحصر، وفي ألف (السبيلا) يرى أنها مشيرة إلى أنه سبيل واسع جداً وواضح وأنه مما يتلذذ**

---

[1]- العطار، أبو العلاء الهمذاني(٢٠٠٥م)**التمهيد في معرفة التجويد**، تحقيق جمال الدين ،ص١١٩، دار الصحابة للتراث، طنطا ، مصر.

[2]- السمرقندي، محمد بن محمود(١٤٣١هـ) **روح المريد في شرح العقد الفريد في نظم التجويد**،ص١٤١،مكتبة الأوقاف العامة بالموصل.

[3]- المصدر السابق، ص١٤١.

[4]- الزركشي، بدر الدين الزركشي(١٩٥٧) **البرهان في علوم القران**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ج١، ص٩١، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر.

[5]- المصدر السابق،ج١،٩٨

بذكره ويجب تفخيمه، وهكذا فلم يقف عند رعاية الفاصلة وإنما تعداها للتعليل بعلاقة الصوت بالمعنى[1]".

ونقف عند السيوطي(ت٩١١هـ) الذي جمع وجوهاً كثيرة من القيم الجمالية ذات التعبير الصوتي في السياق القرآني، إذ خلّف لنا قائمة من المصنفات التي كان له فيها فضل الجمع والحفظ، توزعت على عدد من وجوه الإعجاز كالحديث عن الفاصلة والسجع وحسن تأليف القرآن والتئام كلمه وفواتح السور واختلاف ألفاظه في الحروف، ووقوع البدائع البليغة فيه[2] .

وهكذا تعرض الدارسون القدامى لموضوع الأثر الصوتي في التعبير القرآني دون أن يبلغ في تصور بعضهم نسقاً مطرداً في التعبير القرآني، فوقف بعضهم في تتبع هذا الأثر عند حدود الفاصلة ورعايتها، وبعضهم - بل معظمهم- اعتبره محسناً من المحسنات البديعية باعتباره فرعاً من فروع البلاغة وتوغل بعضهم قليلاً ليبني قاعدة للعلاقة بين اللفظ والمعنى زيادة ونقصاناً، ولكنهم لم يتوصلوا إلى رؤية منهجية تحدد الأثر الجمالي للإيقاع الصوتي واطراده في التنغيم القرآني.

التنغيم الصوتي في كتابات المحدثين:

مع تراكم الدراسات الأسلوبية والبلاغية وتطورها، صار للتنغيم معانٍ أوسع وأرحب، وأخذت الدراسات القرآنية تستأنف اهتمامها في البحث عن ألوان جديدة من الإعجاز اللغوي والغيبي والعلمي، وكانت الدراسات في مجال الأثر الصوتي أحد اهتماماتها. وفي طليعة الذين اهتموا بهذه الدراسة من المعاصرين مصطفى صادق الرافعي (ت١٩٣٧)، فقد توفرت لهذا الرائد رؤية ثاقبة لأهمية التنغيم في النص القرآني، حيث قال: **" فالكلام بالطبع يتركب من ثلاثة حروف هي من الأصوات، وكلمات هي من الحروف، وجُمَل هي من الكلم، وقد رأينا سر الإعجاز في نظم القرآن يتناول هذه كلها**[3]". وبهذا التوصيف للصوت يدخل الرافعي إلى نظرية النظم، فيحدد جهاتها الثلاث في الحروف والكلمات والجمل فيشكل النظم لديه أيضاً نمطاً واحداً في القوة والإبداع، فلا تقع منه على لفظ واحد يخل بطريقته.

---

[1]- البقاعي، برهان الدين(١٩٩٥م) **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تحقيق:عبد الرزاق غالب المهدي، ط١، ص١٣٩، دار الكتب العلمية،بيروت.

[2]- السيوطي،عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين(١٩٨٨م) **معترك الأقران في إعجاز القرآن**،ط١،٣ج،ص٥-٢٣، دار الكتب العلمية، بيروت.

[3]- الرافعي، مصطفى صادق(١٩٧٣) **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**،ط٩، ص٢٠٦، دار الكتاب العرب.

وكان للرافعي نظرته الخاصة في تقريب مصطلح الموسيقى لفهم التنغيم الصوتي في القرآن مستخدماً ذلك المصطلح بصيغ متعددة فتارة بـ(النبرات الموسيقية)، وتارة بـ (اللحن الموسيقي)، وأخرى بـ (النظم الموسيقي)، وكذلك نراه استخدم مصطلح (النغم الموسيقي)، واستطاع بهذه الخواص الصوتية العجيبة فيه أن هذه الموسيقى القرآنية لا تكون إلاّ من الترتيب الصوتي الذي يثير بعضه بعضاً على نسب معلومة ترجع إلى درجات الصوت ومخارجه وأبعاده وإذا كان ذلك يشبه بعض مكونات الموسيقى لكنه ليس من الموسيقى علماً وقواعد على أية حال[١].

وأخذت نظرات سيد قطب (ت١٩٦٦م) في دراساته التي تناولها تشير إلى ظواهر إيقاعية متعددة في التنغيم الصوتي لآيات القرآن الكريم، وتقف نظرته في التنغيم على (التصوير) و (الجرس)، فيقول: **" إن التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، ويجب أن نتوسع في معنى التصوير، حتى ندرك آفاق التصوير الفني في القرآن** [٢]**"**.

وقد لوحظ اهتمام بنت الشاطئ بقضايا التنغيم الصوتي من خلال الدرس البياني للقرآن الكريم، فقد قدمت صور بيانية لآيات القرآن الكريم وظواهره البيانية مثل ظاهرة : الجرس العجيب لإيقاع جملة ونغم فواصله[٣].

ويذهب تمام حسان إلى أن التنغيم ذو وظيفة دلالية يمكن من خلالها تحديد الإثبات والنفي في الجمل التي لم يستخدم فيها علامات الترقيم [٤].

معنى المثل لغة:

المثل من مادة(م ث ل) بالفتحتين وجمعه الأمثال[٥] ويجمع على أمثلة ومُثُل، وهو ما يُضرب به من الأمثال[٦]. والمثل في الأصل اللغوي يعني الشبه فهو تشبيه شيء بشيء آخر[٧] لوجود عنصر تشابه أو تماثل بينهما، أو وجود أكثر من عنصر تشابه[٨]، ولكن لفظ المثل أوسع من لفظ التشبيه، حيث أورد العلماء العديد من معانيه ومن أبرزها: الشبه: يقول الراغب الأصفهاني(ت٥٠٢هـ):"

---

[١]- الرافعي، مصطفى صادق،**إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، ص٢٠٦.

[٢]- قطب، سيد(٢٠٠٤م) **التصوير الفني في القرآن، ط١٧**، ص٣٤، دار الشروق، القاهرة.وينظر : الصالح ، **مباحث في علوم القرآن**، ص٣٣٤.

[٣]- عبد الرحمن،عائشة، **التفسير البياني للقرآن الكريم، ط٧**، ص٣٥، دار المعارف،مصر.

[٤]- حسان، **مناهج البحث في اللغة**، ص١٦٤.

[٥]- ابن منظور، **لسان العرب**، مادة(م ث ل).

[٦]- الجوهري، **الصحاح:تاج اللغة وصحاح العربية**، مادة(م ث ل).

[٧]- ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (م ث ل).

[٨]- الميداني،عبد الرحمن حسن حبنكه(د.ت) **أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع**، ط١، ص١٩، دار القلم، دمشق.

والمثل يقال على وجهين أحدهما: بمعنى المِثل نحو شِبه وشبه ونقصٍ ونقص، والثاني: عبارة عن المشابهة لغيره في المعنى من المعاني أي المعنى كان وهو أعم الألفاظ الموضوعة للمشابهة[1]**"**.ومن معانيه أيضاً(**النظير**) يقول ابن فارس(ت ٣٩٥هـ): الميم والثاء واللام أصل صحيح يدل على مناظرة الشيء للشيء[2]، وذهب الزمخشري إلى:**" أن المثل(بالفتح) في أصل كلام العرب بمعنى المثل(بالكسر)وهو النظير، يقال مثل ومثل ومثيل**[3]**"**ومن معانيه كذلك (**المثال**) وقد اشتق العرب من المادة لفظاً يؤدي معنى القصاص أي العقاب بالمثل، وأطلقوا عليه (المثال) بكسر الميم، وامتثل منه أي اقتص، وأخذ المثال: القصاص، ومثل الشيء: سوي به وقدر تقديره[4]. ويلمس المتأمل المتأمل بعد هذا البيان لمعاني المثل أن هذه المادة ومشتقاتها تستهدف تجسيم المعاني وإبرازها بطريقة واضحة وجليه.

معنى المثل اصطلاحاً:

وجد المثل اهتماماً كبيراً من العلماء قديماً وحديثاً، ولكنهم اختلفوا في تعريفاتهم له، وقد عرّفه الزمخشري في مقدمة كتابه(المستقصى في أمثال العرب) بقوله:**" المثل في لغة العرب بمعنى المِثل كالشبه والشِبه، ونظيرهما البذل والبِذل، و النَكل والنِكل، للشجاع الذي ينكل بأعدائه، ثم سميت هذه الجملة من القول المقتضبة من وُصُلها، أو المرسلة بذاتها المتسمة بالقبول، المشهورة بالتداول مثلاً، لأن المحاضر بها يجعل موردها مثلاً ونظيراً لمضربها**[5]**"**.

وعرّف الأدباء المثل بقولهم:**" هو قول محكي سائر يقصد به حال الذي حكى فيه بحال الذي قيل لأجله،أي يشبه مضربه بمورده**[6] **"**ويرى البلاغيون كعبد القاهر الجرجاني أن المثل يعني التشبيه التمثيلي (بسيط ومركب)[7].

ومن بين المحدثين أحمد أمين يرى أن المثل تجربة الشعب في حياتهم اليومية إذ قال:**" المثل لا يستدعي إحاطة بالعالم وشؤونه، ولا يتطلب خيالاً واسعاً ولا بحثاً عميقاً،إنما يتطلب تجربة محلية**

---

[1]- الأصفهاني،الراغب حسن بن محمد(١٩٦١م) **المفردات في غريب القرآن**، ص٤٦٢،مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي،القاهرة.

[2]- ابن فارس، أبو الحسين أحمد(١٩٤٩م) **معجم مقاييس اللغة**،مادة(م ث ل)، دار الكتب العربية، القاهرة.

[3]- الزمخشري،أبو القاسم جار الله محمود بن عمر(١٩٩٨م)**الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل ووجوه التأويل**، ط١،ج١،ص١٩١، مكتبة العبيكان، الرياض.

[4]- الزمخشري، **أساس البلاغة**، ص٤١٧.

[5]- الزمخشري (١٩٨٧م) **المستقصى في أمثال العرب**، ط٢،ج١،ص٢٣٠،دار الكتب العلمية،بيروت.

[6]- القاضي، منير(١٩٦٠م)**المثل في القرآن الكريم**،عدد ٧،ص٤، مجلة المجمع العلمي العراقي،بغداد.

[7]- الجرجاني،عبد القاهر(١٩٥٤) **أسرار البلاغة**، تحقيق: احمد مصطفى،ص٨٠، مطبعة الاستقامة، القاهرة.

في شأن من شؤون الحياة[1]". نلمس من ذلك أن المثل فنٌ قائم بذاته، ويمتاز بخصائصه ومقوماته، وله شروط تتوفر فيه وأن يكون له مورد ومضرب ويكون سيرورة وسائرة وفيه غرابة.

المثل في القرآن الكريم:

دخلت الأمثال القرآنية ضمن العناية الربانية لكتابه القويم وإعجازه الذي لا ينفد، فلو تأملنا الأمثال القرآنية نجد أنها تختلف عن الأمثال العربية التي اعتادها الناس، فلم تدخل كلها في الأصل اللغوي للمثل كما ذكره أهل اللغة، فهي لم تتقيد بالتشبيه والاستعارة، وإن جاء أكثرها على طريقة التشبيه الصريح.

وعندما نتأمل الأمثال القرآنية التي احتوت بين جنباتها تمثيل حال العصاة والمجرمين ومانعي الزكاة بحال آخر، نرى أن الله – عز وجل- قد ابتدأها دون أن يكون لها مورد سابق.

فالمثل القرآني بتشبيهه واستعارته وكنايته ومقابلته ليس من قبيل المثل الذي اصطلح عليه الأدباء ولا حتى بما يساويه معنى أو ما يعادله لفظاً ومعنى، ولا هو على شاكلته.. بل هو لون آخر ولوحة مختلفة أطلق عليها ربنا في كتابه الكريم(مثلاً) من قبل أن تعرف علوم الأدب (المثل) حسب تعريفهم ومعرفتهم[2].

المثل القرآني كلام الله – عز وجل – جاء ضمن سياقه ليرسم للمتلقي صورة حالة، أو حادثة، أو شخص، سواء أطال الكلام أم قصر، حيث يظهر المعنى المراد بصورة تعبيرية موجزة لها ومؤثرة في النفس، سواء أكان تشبيهاً أم قولاً مرسلاً.

مصطلحات الدراسة:

لكون هذه الدراسة تتعرض لمصطلحي، الصوت والخطاب، فلا بد من بيان المقصود بهما بإيجاز:

الصوت لغة: هو الجرس، والجمع أصوات، وهو يشمل الإنسان وغيره[3].

وأما اصطلاحاً: فهو عند ابن جني بقوله:**"عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له**

---

[1]- أمين،أحمد(١٩٦٥م) **فجر الإسلام**، ط١، ص٦٠، مكتبة النهضة المصرية،القاهرة.

[2]- القاضي، منير، **المثل في القرآن الكريم**، ص٤(بتصرف).

[3]- ابن منظور،**لسان العرب**،مادة (صوت).

حرفاً، وتختلف أجراس الحروف بحسب مقاطعها[1]"وعرّفه ابن سينا(ت٤٢٧هـ):" **هيئة للصوت عارضة له يتميز بها عن صوت آخر مثله في الحدة والثقل تميزاً في المسموع**[2]". لقد استطاع بعض القدماء أن ينعتوا الصوت بأوصاف جعلت المراد منه واضحاً للمتلقي، ويستطيع المتأمل للتعريفات السابقة أن يخلص بمعنى الصوت عند علماء اللغة وأنه:" **أثر سمعي يصدر عن أعضاء النطق غير محدد بمعنى في ذاته أو غيره**[3]".

وجاء تعريف الحرف في اللغة بمعنى: الحد، والطريقة[4]،والصوت في اللغة يبدأ بالحرف يقول ابن منظور:" الحرف في الأصل: الطرف والجانب، وبه سمي الحرف من حروف الهجاء[5]"، ونبعت من هذا التعريف تسمية"**الحروف حروفاً، وذلك أن الحرف حدّ منقطع الصوت وغايته وطرفه، كحرف الجبل ونحوه، ويجوز أن تكون سميت حروفاً لأنها جهات للكلم ونواحٍ كحروف الشيء وجهاته المحدقة به**[6]".ويستطيع المتأمل من خلال الإشارات الدالة على مصطلح الحرف والصوت أن يقول بأن الحرف:**"رمز كتابي للصوت اللغوي، ولفظ يدل على الصوت اللغوي أيضاً، مثل الراء بمعنى صوت الراء، وحرف الميم بمعنى صوت الميم، وهكذا**[7] **"**.

وجاء الباحث حسن عباس فدرس معاني الحروف مبيناً خصائصها من خلال التتبع الإحصائي لجذور الألفاظ وما تفيده أصوات تلك الحروف إذا كانت في أول الجذر الثلاثي أو في وسطه أو في آخره، وكانت دراسته قيّمة ذات أهمية بالغة قد استفاد البحث من تفصيلاته وتقسيماته للحروف حول الحرف المجهور والمهموس والاحتكاكي والانفجاري ودلالة كل واحدة منها. وبما أن حديثنا سيكون عن التنغيم الصوتي في الأمثال القرآنية، وبما أن المفسرين والبلاغيين هم أكثر من تعرض لتحليل النصوص القرآنية، ولورود مصطلح الحرف بمعنى الصوت عندهم كثيراً كغيرهم من القدماء ، فقد يرد في هذا البحث استعمال الحرف بمعنى الصوت.

محاكاة الأصوات لمعانيها:

---

[1]- ابن جني(١٩٩٣م) **سر صناعة الإعراب**، تحقيق:حسن هنداوي، ط٢،ج١،ص٦،دار القلم،دمشق.

[2]- ابن سينا،أبو علي الحسين بن عبد الله(١٩٧٨م) **أسباب حدوث الحرف**،تحقيق: طه عبد الرؤوف، د.ط، ص١٠،مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

[3]- الصبيغ،عبد العزيز(٢٠٠٠م) **المصطلح الصوتي في الدراسات العربية**،ط١،ص٢١،دار الفكر،بيروت.

[4]- ابن فارس،أحمد بن فارس(١٩٨٤م) **مجمل اللغة**،تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان،ط١،مادة (حرف)،مؤسسة الرسالة،بيروت.

[5]- ابن منظور، **لسان العرب**، مادة حرف.

[6]- ابن جني، **سر صناعة الإعراب**،ج١،ص١٤.

[7]- الصبيغ،**المصطلح الصوتي**، ص٢١٧.

يرى المتأمل في دراسة الأصوات وتحليل نصوصها وما فيها من صعوبة، وخطورة أيضاً، وخصوصاً إذا تعلق الأمر بالنص القرآني؛ ولذا تعد دراسة الصوت في هذا المجال قليلة وفيها يقول أحمد ياسوف**:" ولم يهتم كل دارسي الإعجاز البياني بمثل هذه الجزئيات الفنية وكأنما يخشون مزالق هذا الفن الصوتي..."**[1]وقد اهتم الأعلام ومن بينهم ابن القيم(ت٧٥٧هـ) بذلك الجانب في القرآن الكريم، حيث يقول في هذا الشأن بعد تفسيره للضمائر من الناحية الصوتية :**" فتأمل هذه الأسرار ولا يزهدنك فيها نبو طباع أكثر الناس عنها، واستغناؤهم بظاهر من الحياة الدنيا عن الفكر فيها والتنبيه عليها**[2]**"**. وقد عني بهذه الدلالة وتلك الإيحاءات للصوت اللغوي عدد من علماء العربية، ولعل من أظهرهم في هذا السياق ابن جني وتعرض لكل جوانبه فقد تحدث عن دلالة حروف المعجم من حيث صفاتها، ومخارجها، وتجاورها، وترتيبها في الكلمة[3]، وتحدث عن أثر الحركات والمدود في المعنى[4]، وأوضحه ببعض الصيغ ذات الدلالات المعبرة[5].

الخطاب :

يعد الخطاب وظيفة اتصال بين بني البشر، وهي ممارسة اجتماعية لا تنفصل فيه اللغة عن الموقف، أو المنطوق عن الفعل، وقد استطاع القرآن الكريم ابتكار أساليب وأدوات تواصليه فعاله، وذلك ضمن سياق ونظم رائع بحسب المقام، وكان هذا سبباً في جعله وسيلة تتجاوب مع النفس البشرية في أبعادها المختلفة، فقد خاطب عقله وأرشده إلى التفكر والتأمل في خلق الله ومطارق سننه الإلهية، وخاطب الروح وتجلياتها وعاطفتها بآلامها وآمالها، ويحاوره بالقصة والمثل وبأسلوب الترغيب والترهيب، مما جعل من القرآن الكريم منظومة تواصليه بالغة التأثير.ولمعرفة هذه المنظومة التواصلية وخطابها، لابد من معرفة مفهوم الخطاب في المنظور اللغوي والاصطلاحي، لمعرفة أسراره وكنوزه.

الخطاب لغة واصطلاحاً:

---

[1]- ياسوف،أحمد(٢٠٠٦م) **دراسات فنية في القرآن الكريم**، ط١، ص٣٤٨، دار الكتبي، دمشق.

[2]- للخليل وسيبويه إشارات في هذا المجال، انظر على سبيل المثال: سيبويه أبو البشر، عمرو بن عثمان بن قنبر **(**١٩٨٨م**) الكتاب**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٣،ج١، ص٣٦١، مكتبة الخانجي، القاهرة.

[3]- ابن جني، **الخصائص** ،ج١،ص١٤٥.

[4]- المصدر السابق،ج٢،ص١٥٣.

[5]- المصدر السابق،ج٢،ص١٥٢.

جاء الخطاب بمعنى التوجيه **" توجيه الكلام نحو الغير للإفهام[1]" فيقال: " قد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً[2]".وهو"محاورة وجدال، ومحاجّة كلام[3]"، وقد ورد ذكر الخطاب في القرآن الكريم مرتين في قوله تعالى:** ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ﴾[4]، ويتيح الخطاب للنفس البشرية التعايش الجمعي الذي يمكنه من مشاركة الآخرين والتواصل معهم، والاندماج معهم في حياتهم الاجتماعية.

أما في الاستعمال الاصطلاحي فقد أفضى إلى معانٍ كثيرة ومتعددة، سواء في الفكر العربي أو الفكر الغربي، وقد عرّفه الآمدي(ت٦٣١هـ) تعريفاً جامعاً و**" استبعد فيه الرموز الدالة الأخرى التي يغيب عنا التحقيق الصوتي...[5]"**، ليخلص إلى تعريف الخطاب بأنه:**" اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه[6]"**،وقد عرّفه التفتازاني(ت٧٩٢هـ) بقوله: " توجيه الكلام إلى حاضر، وأصل الخطاب أن يكون لمعين واحداً كان أو أكثر...[7]" أما الزركشي فقد عرّفه بأنه: **" الكلام المقصود منه إفهام من هو متهيئ للفهم، وقد عرّفه قوم بأنه ما يقصد به الإفهام أعم من أن يكون من قصد متهيئاً أم لا [8]"** .

الخطاب القرآني:

إن الخطاب القرآني هو كلام الله المعجز في لفظه ونظمه وحروفه وكلماته، وهو معجزة إلهية استطاع بامتلاكه كافة الأدوات أن يكون من أهم الوسائل التعبيرية لأداة التواصل بين جنس البشر دون تحيز أو طائفية، ولأنه خطاب إلهي ورسالة ربانية عالمية مقصدها الهداية والخير لجنس البشر، أنزله الله – عز وجل- على نبيه ﴿ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[9] ،وقد أجمع المسلمون على أن القرآن الكريم كله كلام الله بمعنى أن الله تعالى نزله على نبيه - صلى الله عليه وسلم- ، فربما يخاطب الله

---

[1]- التفتازاني، سعد الدين(١٣٢٧هـ)**التلويح إلى كشف حقائق التنقيح(حاشية شرح للتوضيح)**،د.ط،ص٣٦،مطبعة صبيح، مصر.

[2]- ابن منظور، **لسان العرب**، ص٣٣٦.

[3]- مخلوف، حسنين محمد(١٤١٨هـ) **كلمات القرآن**،ص٢٧١، دار إحياء التراث العربي،الكويت.

[4]- سورة ص (آيه:٢٠).

[5]- الجودي، لطفي فكري(٢٠١٤م) **جماليات الخطاب في النص القرآني**،ط١،ص٧٤-٧٥،مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ،القاهرة.

[6]- الآمدي، علي بن محمد(١٩٨٦م) **الإحكام في الأحكام**، تحقيق: سيد الجميلي، ط٢،ج٢، ص١٣٦، دار الكتاب العربي، بيروت.

[7]- التفتازاني(١٤١١هـ) **مختصر المعاني**، ط١،ج١،ص٤٣، دار الفكر، قم.

[8]- الزركشي، محمد بن عبد الله بن بهادر(١٩٩٤م) **البحر المحيط في أصول الفقه**، ط٢،ج٢، ص١٣٦، دار الكتبي.

[9]- سورة(الفرقان:١).

نبيه – صلى الله عليه وسلم- وكيل الأمة إلى ربهم ووجه الخطاب إلى الأمة، ويلمس المتأمل للخطاب القرآني، كثرة خطابه لموسى – عليه السلام- بصيغة المخاطب الواحد والمراد أمته،﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾[1]، وقد جاء الخطاب القرآني على عدة أنماط، منه من قال:" **الخطاب في القرآن على أربعين وجهاً** "وقد ذكر الزركشي للخطاب ثلاثة وثلاثين وجهاً.

أنماط الخطاب القرآني :

جاء الخطاب القرآني بمنظومته الاتصالية وأبعاده المعرفية ونمطه التعبيري الخاص، وقوالبه اللغوية ذات الدلالات المتعددة، أن يبث قيمة خطابه من خلال نسيجه البليغ وانسجامه المتكامل، ويستطيع المتلقي أن يفهم تلك المنظومة وكأنها (مخططٌ قصدي) .

فالخطاب القرآني هو نص مجتمع بكل وضعياته الدقيقة وهذا ما أكده البعض بقولهم:**" لم ينزل الله تعالى شيئاً من القرآن إلا لينتفع به عباده، ويدل به على معنى أراده، فلو كان المتشابه لا يعلمه غيره للزم للطاعن فيه مقال ولزم منه الخطاب بما لا يفهم ولم يبق فيه فائدة...**[2]**"**، وقد تعددت أنماط الخطاب القرآني كما تعددت مستوياته ضمن نصه وقراءته التي يسهم من خلالها أن يضع المتلقي في عمق أجوائها ومشاهدها، ولو تأملنا خطابه نجد فيه تلك الأنماط تسير وفق غرضه الإبلاغي، ومن أهم تلك الأنماط:

الخطاب الإقناعي: الخطاب القرآني خطاب حقيقة لذلك كان من أهم أنماطه خطاب الإقناع ليثبت حقائقه التشريعية في نفوس المتلقين بواسطة الإقناع والتأثير. فنراه يخاطب القلب والوجدان ويخاطب العقل المفكر، ويخاطب النفس البشرية بمشاعرها وأحاسيسها لقوله تعالى:﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[3]، يرى المتأمل للخطاب القرآني أن مجمل

---

[1]- سورة(التوبة:٥٠).

[2]- النجاري،علاء الدين(١٩٧٦م) **كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي**، ط١،ج١،ص٥٤، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

[3]- سورة(الإسراء:٣٦).

خطابات الإقناع قد وقفت على أصول الواقع الكوني، من خلال الآيات الكونية والاستدلال على حقائق عقيدة التوحيد، واستخدام الحجج والبراهين المنطقية.

الخطاب الحواري: يعد الخطاب الحواري في القرآن الكريم من أسمى النماذج الخطابية، فهو نمط حياة وأسلوب تفكير ووسيلة من وسائل تبليغ دين الله تعالى، وقد استطاع بخطابه أن يكون بمثابة قاعدة أساسية في دعوة البشرية، وأسلوبا رائداً في تعامله مع قضايا الخلاف بينه وبين أعدائه متمثلاً بقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[1]، فالخطاب الحواري وجه من وجوه الإعجاز لذلك أكده القرآن وأعتمد عليه اعتماداً أساسا **" بل نلمس من حرص القرآن الكريم على إبراز أهمية المحاورة والمحاجة أنه لا يقصرها على مهاجمة الأعداء والتصدي للمخالفين، وإنما يجعلها في كثير من المواضع نماذج للتربية والتوجيه"**[2] وهناك نماذج كثيرة في آيات الخطاب القرآني يسرد فيها حوار موسى مع فرعون ونوح مع قومه وإبراهيم مع والده وخاتم الأنبياء والمرسلين مع بني جلده وعشيرته والناس أجمعين.

الخطاب القصصي: استخدم القرآن الكريم هذا النمط من الخطاب وجعله من أهم وسائل التواصل والتأثير على النفوس بوصفه أداة فاعلة من أدوات التبليغ والدعوة إلى الله تعالى. وأخذ هذا الخطاب حيزاً كبيراً وامتزجت موضوعاته بموضوعات القرآن الكريم امتزاجاً قوياً لا يمكن فصله. فالخطاب القصصي ليس خطاباً تشريعياً بقدر ما هو للعبرة والعظة والحكمة والتدبر وإزالة الغفلة لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[3] ويعد الخطاب القصصي من الخطابات التي **" لم تكتفِ بإثارة الذائقة الجمالية في وجدان المتلقي بجودة العرض ومجال الأسلوب وقوة العاطفة**

---

[1] - سورة(يونس:١).

[2] - حنفي،عبد الحليم(١٩٩٥م) **أسلوب المحاورة في القرآن الكريم**، ط٣،ص٢٧،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

[3] - سورة(يوسف:١١١).

ونشاط الخيال، بل تضمنت الكثير من الأبعاد والتصورات والرؤى التي تتعاطى مع الإنسان بوصفه مرتكزا أساسا يدور حوله الكون[1]".

وهناك أنماط أخر مثل (الخطاب الساخر و خطاب العام والمراد به العموم، وخطاب العام والمراد به الخصوص، وخطاب الجنس ، والنوع، والعين، والمدح ، والذم،.....).

الفصل الأول: تشبيه الأوصاف في الأمثال القرآنية :

مدخل:

التشبيه فن من فنون الكلام، وعنصر مهم من عناصر الأسلوب، الذي يحتضن الجمالية والبنيوية في الكلام؛ إذ يرسم للمتلقي صورة واضحة للحس والشعور، فالتشبيه **" من أشرف كلام العرب، وفيه تكون الفطنة والبراعة[2]"**.

وتعرض التشبيه لكثير من الدراسات قديماً وحديثاً، كلها أجمعت على حسن معناه في التأليف، وتضمنت أشعار العرب كثيراً من التشبيهات التي أدركتها بوعيها أو حسها**" فشبهت الشيء بمثله تشبيهاً صادقاً على ما ذهبت إليه في معانيها التي أرادتها [3]"**، ويُعد التشبيه ركيزة مهمة من ركائز التصوير الفني، الناتج عن امتزاج الصورة بالخيال، واقتران الفكر بالشكل.

تعريف التشبيه لغة:

ويطلق التشبيه ويراد به في اللغة أحد معنيين: **الأول** : المماثلة تقول أشبه الشيء الشيء وتشبه به وشابهه، أي ماثله، ويعود إلى أصل المادة : الشين والباء والهاء، وتدور حول تشابه الأشياء وتشاكل بعضها مع البعض الآخر في صفات معينة[4]. وهو مصدر مشتق من الفعل (شَّبه) بتضعيف الباء، والشبه هو المثل، يقال شبهت هذا بهذا تشبيهاً، أي مثلّته به، ويقال شابه الشيء إذا ماثله. وقال ابن

---

[1]- الجودي، **جماليات الخطاب في النص القرآني**، ص١٣٧.
٢- الكاتب،إسحاق بن إبراهيم بن وهب(2015) **البرهان في وجوه البيان**، ط١، ص١٣٠ مطبعة الشباب، مصر.
٣- ابن طباطبا، **عيار الشعر**، ص١١.
٤- ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، مادة(شبه).

منظور: **" (شبه) الشِّبْهُ والشَّبَهُ والشَّبِيهُ المِثْلُ والجمع أشباهٌ وأشْبَه الشيءُ الشيءَ ماثله... والتَّشْبِيهُ التمثيل"**[1]. وفي القاموس المحيط:**" الشِّبْهُ، بالكسر والتحريك وكأميرٍ المِثل ج أشباهٌ. وشابَهَهُ وأشْبَهَهُ ماثَلَهُ**[2]". وجاء في المصباح: **" الشِّبْهُ مِثْلُ حِمْلٍ: الْمشَابِهُ وَشَبَّهْتُ الشَّيْءْ بالشيء أقمتُهُ مُقامَهُ لصفةٍ جامعةٍ بينهما** [3]".

المعنى الثاني: الالتباس، تقول اشتبه عليه الحق بالباطل أي التبس عليه ولم يعرف التمييز بينهما، قال ابن منظور:**" والشُّبْهةُ الالتباسُ وأُمورٌ مُشْتَبِهةٌ مُشْكِلَة يُشْبِهُ بعضُها بعضاً... وشَبَّهَ عليه خَلَّطَ عليه الأمْرَ حتى اشْتَبه بغيره..**[4]"، وفي القاموس المحيط**" وتَشابَهَا واشْتَبَها أشْبَهَ كُلٌّ منهما الآخَرَ حتى الْتَبَسا**[5]". وجاء في المصباح**" اشْتَبَهَتْ الأُمُورُ وَتَشَابَهَتْ الْتَبَسَتْ فَلَمْ تَتَمَيَّزْ وَلَمْ تَظهَرْ وَمِنْهُ اشْتَبَهَتْ الْقِبْلَةُ وَنَحْوُهَا**[6]". وسبب الالتباس هو التشابه القوي بينهما.

التشبيه في الاصطلاح:

إن التشبيه من أقدم فنون البيان العربي، وكان لعلماء العربية فيه اهتمام بالغ، فنرى أن سيبويه(ت١٨٠هـ) ذكر لنا في كتابه آراء الخليل بن احمد الفراهيدي واهتمامه في جوانب هذا الفن[7]، وكان أولَ من ذكر لفظة التشبيه أو لفظة تمثيل في عباراته أبو عبيدة(ت٢١٠) معقباً على قوله تعالى:(**نساؤكم حرث لكم) وقد ذكر ذلك بصورة عامة كثيراً عندما يتطرق لذلك الفن في مسائل البلاغة**[8].

وكان للفراء رأي في تحليل قوله تعالى(**كمثل الذي استوقد نارا**) وهو ينقل ما قاله المفسرون لآيات الأمثال، دون أن يحدد دور هذا الفن في البيان، ويلاحظ عليه دائماً أنه مُجيدٌ في إدراك بعض جوانب التشبيه وبيان أركانه. ولا ينص الفراء صراحة على التعابير الاصطلاحية، وإنما كان يعرف

١- ابن منظور، **لسان العرب**، ج٨،ص١٧، مادة (شبه).
٢- الفيروزي آبادي، **القاموس المحيط**، مادة (شبه).
٣- المقري، احمد بن محمد (١٩٨٧) **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، ص٣٥٨ ، دار لبنان، بيروت.
٤- ابن منظور، **لسان العرب**، ج٨،ص١٧،مادة (شبه).
٥- الفيروزي آبادي، **القاموس المحيط**، مادة (شبه).
٦- المقري، **المصباح المنير**، ج١، ص٣٥٨.
٧- سيبويه، **الكتاب**، ج١، ص٣٦١، ج٣، ص١٥١.
٨- أبو عبيده، معمر بن المثنى البصري(١٣٨١هـ) **مجاز القرآن**، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، ط٣،ج ١، ص٧٣، مكتبة الخانجي، القاهرة.

ويحلل الصورة التشبيهية بذائقة فنية متميزة[1] وهي خطوة لاحقة لفهم التشبيه عند أبي عبيده الذي لم يشر إليه غير إيحاءات عابرة وبوصفه نوعاً من أنواع المجاز دون تحليل وتفصيل كما هو الحال عند الفراء.

جاء التشبيه عند ابن قتيبه(٢١٣هـ) وتناثر في مؤلفاته وذكر للتشبيه أبواباً كثيرة كالمجاز والاستعارة والمقلوب والكناية وغيرها[2]. وقد أغفل الجاحظ (٢٥٥هـ) تعريف التشبيه، على الرغم أنه أنه تناول جوانب منه، وكان أول من تنبه إلى أدوات التشبيه كـ (الكاف وكأن ومثل) واستطاع أن يضع البذرة الأولى التي ساعدت المتأخرين في الكشف عن مدلولات فهمه وتنظيم القواعد الثابتة له[3] .

ثم جاء من تفوق عليهم جميعاً(المبرد: ت٢٨٥هـ) واستطاع أن يقطع بجهده شوطاً في مسألة تأصيل المصطلح ووضعِ حدٍّ له فقال" **اعلم أن للتشبيه حداً فالأشياء تتشابه في وجوه وتتباين من وجوه فإنما ينظر إلى التشبيه من حيث وقع فإذا شبه الوجه بالشمس فإنما يُراد الضياء والرونق ولا يُراد العظم والإحراق لقوله تعالى(كأنهن بيض مكنون)**[4]".وقسم المبرد في كتابه الكامل التشبيه إلى أربعة أقسام: (التشبيه المفرط ، والتشبيه المصيب ، والتشبيه المقارب، والتشبيه البعيد) وجعل لكل واحدٍ منها تعريفاً يفصل فيه المعنى.

وفي كتاب البديع لم يسهم ابن المعتز(ت٢٩٦هـ) في تناول التشبيه بشكل مفصل وإنما اكتفى بذكره تحت عنوان(حسن التشبيه) مع ضرب أمثلة من الشعر العربي تتضمن عدة تشبيهات،سمّى قسماً منها (أحسن التشبيه) والآخر(عجائب التشبيه)[5]. وكذلك إسحاق بن وهب الذي اكتفى بتقسيم التشبيه إلى قسمين: احدهما تشبيه للأشياء في ظواهرها وألوانها وأقدارها وهو ما يُدعى بالتشبيه الحسي، والثاني تشبيه بالمعاني[6].

١- الفراء، **معاني القرآن**، ج١، ص١٥ .
٢- ابن قتيبه، **تأويل مشكل القرآن**، ص١٠٣ ،١٣٥،١٨٥،٢٥٧ .
٣- الجاحظ ، **الحيوان**، ج٥، ص٥٧٦، دار الكتب العلمية ، بيروت.
٤- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد(١٤١٩هـ)**الكامل في اللغة والأدب**، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، ط١،ج ٢، ص٤٧-٤٨، وزارة الأوقاف السعودية، الرياض.
٥- ابن المعتز،أبو العباس عبد الله بن محمد (١٤١٠هـ) **البديع في البديع**، ط١، ص٦٨،٧١،٧٢، دار الجليل، بيروت. بيروت.
٦- الكاتب، **البرهان في وجوه البيان**، ص١٣٠.

ويتضح أن التشبيه من أقدم المصطلحات البلاغية التي ظهرت عند العرب، ولكن لم يكن ثمةَ تحديد دقيق لمعناه،ولكنه كان يدل عند القدماء على الربط بين شيئين، إذ يعد التشبيه:" **وسيلة إفصاحيه وتعبيرية لدى الإنسان يزيد المدلول قوة كشفية وبحثية لإبراز المعنى الاستظهاري من خلال حركة العلاقة في التعبير**[١]".

لقد كان جل اهتمام القدامى منصباً على التشبيه، معللين ذلك على أنه أقرب إلى الواقع الحسي[٢] والتشبيه مظهرٌ من مظاهر البداية في التفكير، لما نراه في طبيعة الشعر الجاهلي وصدر الإسلام، وكان تعريف جعفر بن قدامه(ت ٣٣٧هـ) للتشبيه من أقدم التعريفات المنطقية إذ يقول:" **التشبيه إنما يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معان تعمّها ويوصفان بها وافتراق في أشياء ينفرد كل واحد منها عن صاحبه بصفتها**[٣]".وقد يسد لفظ مكان لفظ أو معنى في التشبيه، هذا ما قاله الرماني (ت٣٨٦هـ) فقد قال عن التشبيه:" **هو العقد على أن أحد الشيئين يسد مسد الآخر في حسن وعقل**[٤]" **وعقل**[٤]" وجعله واحداً من الأقسام العشرة التي حصلت البلاغة فيها وهي:" **الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان**[٥]".وجاء بتحديد وظيفة التشبيه من خلال تقسيمه إلى حسي ونفسي، وبين وظيفة التشبيه البليغ بإخراج الأغمض إلى الأظهر بأداة التشبيه مع حسن التأليف.

وبقيت تقسيمات الرماني ردحاً من الزمن أساساً يعول عليها، ونهج أبو هلال العسكري نفس النهج[٦]، وقال الجرجاني(ت٣٩٢هـ): " **وفي اصطلاح العلماء علماء البيان: هو الدلالة على اشتراك شيئين في وصف من أوصاف الشيء في نفسه، كالشجاعة في الأسد، والنور في الشمس**"[٧]. ونقل الباقلاني تعريف الرماني نفسه[٨]، وأخذ البلاغيون في تحديد التشبيه وتعريفه ماهيته حتى جاء

١- الراديواني، محمد بن عمر**(١٩٨٧) ترجمان البلاغة**، ترجمة: محمد نور الدين، ط١، ص٧٩، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الجزائر.
٢- ابن نافيا، أبو القاسم عبد الله بن محمد بن الحسين(١٤٠٧هـ) **الجمان في تشبيهات القرآن**، تحقيق: محمود الشيباني، ط١ ص٥، مركز الصف الالكتروني، جده،السعودية.
٣- قدامه بن جعفر، أبو الفرج قدامه (١٩٨١م) **نقد الشعر**، ط١، ص١٢٢. دار الرشيد، بغداد.
٤- الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى (١٩٧٦م) **النكت في إعجاز القرآن**، تحقيق: محمد خلف، ط٣، ج١، ص٧٤، دار المعارف، مصر.
٥- الرماني، **النكت في إعجاز القرآن**،ج١، ص٧٦.
٦- العسكري، **الصناعتين(الكتابة والشعر)**، ص٢٤٦.
٧- الجرجاني، علي بن محمد (١٩٨٣م) **التعريفات**، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، ط١،ج١،ص١٨،عالم الكتب العلمية، العلمية، بيروت.
٨- الباقلاني، **إعجاز القرآن**، ص٢٦٢-٢٦٣.

السكاكي(ت٦٢٦هـ) بكتابه مفتاح العلوم فعرّف مصطلح التشبيه بقوله:" **التشبيه مستدع طرفين، مشبهاً ومشبهاً به،واشتراكا بينهما من وجه وافتراقاً من آخر**[١]". وقد ذكر كل من عرّف التشبيه أنه اشتراك قائم بين شيئين في صفة معينة، وإن اختلفت عباراتهم في هذا التعريف، وعرّفه الخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ) تعريفاً دقيقاً في الإيضاح بقوله:" **التشبيه: الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى**[٢]".

وقال التفتازاني (ت٧٩٣هـ) معلقا على هذا التعريف :" **وينبغي أن يزاد فيه قولنا: بالكاف ونحوه لفظا أو تقديراً؛ ليخرج عنه نحو: قاتل زيد عمرا، وجاءني زيد وعمرو**[٣]". وأوضح من هذا التعريف ما ذكره الطوفي في كتابه الإكسير، فقد عرّف التشبيه بأنه" **إلحاق أدنى الشيئين بأعلاهما في صفة اشتركا في أصلها، واختلفا في كيفيتها قوة وضعفاً**[٤]". ونزيد التعريف وضوحاً بقول البعض أنه: عقد مماثلة بين شيئين أو أشياء لاشتراكهما في معنى ما بأداة ملفوظة أو ملحوظة كالكاف ونحوها لغرض مقصود[٥].

ولا يشك عاقل في أن التشابه المشترك بين الشيئين يكون في بعض الصفات وقد يختلفان في بعضها الآخر، ويكون التشبيه أقوى وأوضح و مستحساً لذهن المتلقي، إذا كثرت الصفات التي يشتركان فيهما. قال قدامه بن جعفر: " **إنه من الأمور المعلومة أن الشيء لا يشبه بنفسهِ، ولا بغيره من كل الجهات، إذ كان الشيئان إذا تشابها من جميع الوجوه، ولم يقع بينهما تغاير البتة اتحدا، فصار الاثنان واحدًا، فبقي أن يكون التشبيه إنما يقع بين شيئين بينهما اشتراك في صفات تعمهما** [٦]".وجاء اتساع النظر النقدي المعاصر بالرّغم من هذا الاختلاف إلى اعتبار التشبيه شكلاً من أشكال المجاز؛ فمن معاني الصورة الفنية الحديثة أنها " **كل تعبير غير حرفي**"[٧].

١- السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد(١٤٠٧هـ) **مفتاح العلوم**، تحقيق: نعيم زرزور، ط٢ ،ص٤٣٩، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢- القزويني، جلال الدين(١٩٨٩) **الإيضاح في علوم البلاغة**، تحقيق:عبد الرحمن البرقوقي، ط٢، ص١٦٤، دار الفكر، بيروت.
٣- التفتازاني، سعد الدين بن مسعود(د.ت) **المطول في شرح تلخيص المفتاح**،د.ط، ص٣١١،المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة.
٤- الطوفي، نجم الدين سليمان(د.ت) **الإكسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد القادر حسين،د.ط، ص١٣٢، مكتبة الآداب، القاهرة.
٥-لاشين،عبد الفتاح(١٩٩٢م)**البيان في ضوء أساليب القرآن**، ط٣، ص٣٧، دار المعارف، مصر.
٦- قدامه بن جعفر، **نقد الشعر**، ص١٢٢.
٧- اليافي، نعيم(٢٠٠٨) **تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث**، ط١،ص٢٩٢،صفحات للدراسات والنشر، دمشق.

ويبقى المعيار الأساسي في الحكم على التشبيه وغيره من أنماط الصورة الفنية تلك القيمة الجمالية التي هي في حقيقتها" **مظهر حسّيّ شُكّل ليكون قادرا على التعبير عن الدّوافع والانفعالات، والمعاني لا يُحدّ ولا يُحسّ**"[١].

أجمع البلاغيون وإن تعددت تعريفاتهم له واختلفوا في ماهيتهً، على أهميته وأثره في الكلام، واتفقوا على شرف قدره، وفخامة أمره في فن البلاغة؛ وذلك" **أنه يزيد المعنى وضوحاً، ويُكسبه تأكيداً، ولهذا أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه، ولم يستغن أحد منهم عنه**[٢]" ولا عجب في هذا الكلام، فكلما جاء التشبيه بفنه وإبداعه في أعطاف المعاني زادها كمالاً، وكساها حلة وجمالا، ونرى لعبد القاهر الجرجاني وقفة مع ذلك الجمال لفن التشبيه، بيّن فيه مكانته ومنزلته في البلاغة:" **واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه، أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه، ونُقلت عن صورها الأصلية إلى صورته**[٣]".

ومما سبق يتضح لنا أن التشبيه في الاصطلاح يعتمد على أربعة أركان هي : المشبه، المشبه به، ويسميان طرفا التشبيه، وهما ركنان لا يمكن الاستغناء عنهما، فإذا حذف أحدهما خرج الكلام عن كونه تشبيهاً، وأصبح من باب الاستعارة. وهما إما حسيان، أو عقليان، أو مختلفان[٤].

وأما أداة التشبيه: فهي التي تربط بين طرفي التشبيه، وقد تكون: حرفاً، أو فعلاً، أو اسماً. وقد ذكرت الأداة في (٢٤) موضع من مواضع آيات الأمثال القرآنية، والمتتبع لهذه المواضع يلحظ أنَّ أداة التشبيه (الكاف) هي الأداة المشتركة في جميع هذه المواضع ما عدا موضعين، وبذلك يكون لأداة التشبيه دور فاعل في ذلك الربط المتحقق على ظاهر النص، إذ إن " **الحرف أداة في التركيب لا اعتبار لها ولا معنى إلا من خلال وظيفة الربط بين عناصر الكلام، وهو بدوره هذا، لا يقل شأناً عن الاسم والفعل في النهوض بالدلالة والمساهمة في جمال النظم وحسن الترتيب**"[٥].

١- الرباعي،عبد القادر(١٩٩٨م) في تشكل الخطاب النقدي(مقاربات نقدية معاصرة)،ط١، ص١٦٤،الأهلية للنشر والتوزيع عمان.
٢- العسكري،**الصناعتين(الكتابة والشعر)**،ص٢٤٩.
٣-العلوي، **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، ج٣،ص٣٣٠.
٤- القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**، ص٢٢٣.
٥- الجطلاوي، الهادي(١٩٩٨) **قضايا اللغة في كتب التفسير،المنهج،التأويل،الإعجاز**،ط١،ص٥٢١ ،دار محمد علي علي الحامي، تونس.

وقد علل ابن عاشور لاجتماع هذه الأدوات في آيات الأمثال بأنه إذا أريد تشبيه حالة مركبة بحالة مركبة، أي وصفين منتزعين من متعدد جيء في جانب المشبه والمشبه به معاً، أو في جانب أحدهما بكلمة (المثل)، وأُدخِلت الكاف ونحوها من حروف التشبيه على المشبه به، وذلك حتى يتبادر إلى السامع أن المقصود تشبيه حالة بحالة، لا ذات بذات، فصار لفظ (المثل) في تشبيه الهيئة منسياً من أصل وضعه، ومستعملاً في معنى الحالة العجيبة الشأن، فلذلك لا يستغنى عن الإتيان بحرف التشبيه حتى مع وجود لفظ مثل، فالكاف ونحوها هي الدالة على التشبيه[١].

ووجه الشبه: هو المعنى الذي يشترك فيه الطرفان تحقيقاً أو تخييلاً[٢].وهو إما أن يكون حسياً، أو عقلياً، وإما أن يكون مفرداً، أو متعدداً، وقد يأتي وجه الشبه صورة منتزعة من أشياء متعددة وهذا النوع يسمى بالتشبيه التمثيلي[٣]. والمتتبع لآيات الأمثال الصريحة التي ورد فيها التشبيه وهي(٢٤) آية آية يلحظ أنَّها جميعاً جاءت تشبيهًا تمثيلياً وجه الشبه فيها صورة منتزعة من أشياء متعددة، وقد يتخلل هذا التشبيه التمثيلي تشبيهات مفردة. والتشبيه مما اتفق البلغاء على شرف قدره، وفخامة أمره، في فن البلاغة، وتعقيب المعاني به، يُضاعف قواها في تحريك النفوس إلى المقصود بها مدحاً كانت أو ذماً، أو افتخاراً، أو غير ذلك[٤].

يرى الباحث أن التعريف الجامع لفن التشبيه ،ما قاله محمد بن علي الجرجاني :" **تشبيه شيء بشيء،ليدل على حصول صفة المشبه ويشترط أن تكون أظهر صفاته وأخصها به، وإلا لم يُعلم حصولها في المشبه، وأن يكون وجودها في المشبه به أظهر من المشبه، وإلا لزم الترجيح من غير مرجح**[٥]". ولذلك نجد أن فن التشبيه ليس القصد منه عقد مماثلة تامة بين طرفين(المشبه والمشبه والمشبه به) وإنما القصد هو" **حاجة فنية نبني عليها ضرورة الصياغة والتركيب**[٦]" وهو عدول من معنى إلى آخر يريده المصور[٧].

١- ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور(١٩٨٤)**التحرير والتنوير" تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**،ط١،ج١، ص٣٠٣- ٣٠٤،الدار التونسية للنشر، تونس.
٢- القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**، ص ٢٢٤.
٣-عباس، فضل حسن(١٩٩٧)**البلاغة فنونها وأفنانها**،ط٤، ص٣٠، ٦٢،دار الفرقان للنشر والتوزيع،اربد،الأردن.
٤- القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**، ص ٢١٨.
٥- الجرجاني، محمد بن علي(د.ت) **الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة**، تحقيق: عبد القادر حسين،د.ط، ص١٣٨ مكتبة الآداب، القاهرة.
٦- الصغير، محمد حسين(١٩٨٤)**الصورة الفنية في المثل القرآني**، د.ط،ص٦٨،دار الرشيد، بغداد.
٧- حسين، حامد عبد الهادي(٢٠٠٧)**البلاغة والمعنى في النص القرآني**، ص١٢٩،مركز البحوث والدراسات الإسلامية، العراق.

القيمة الجمالية للتشبيه في الأمثال القرآنية:

يمتلك التشبيه دوراً كبيراً في تمثيل المعاني المعقولة محسوسة، في تأدية وظيفتها ومساهمتها في تحريك النفس وتوضيح المعنى المراد من آية المثل القرآني بعد نقله لذهن المتلقي حياً وفي ذلك يقول عبد القاهر الجرجاني:" **أن أنس النفوس موقوف على تخرجها من خفي إلى جلي وتأتيها بصريح بعد مكني، وأن تردّها في الشيء تُعلمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم، وثقتها به في المعرفة أحكم، نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس، وعما يعلم بالفكرة إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع**[1]".

والمتأمل في كلام الجرجاني، تتضح له الصورة، بأن بيان المعاني أمام العين وفي الأذهان يعود إلى القدرة الدلالية التي يمتلكها فن التشبيه في إخراج المعنى الخفي المراد في آية المثل إلى معنى جلي ظاهر مع وجود اقتران معنوي بجانبه الحسي، فالعلاقة بين المشبه والمشبه به تجعل المعنى الدلالي عرضة للتنويع وذلك لاشتراك السياق في هذه العلاقة التآزرية.

يعمل فن التشبيه في آيات الأمثال، عملية بنائية أدائية تحصل نتيجة تآلف معنوي وتنغيم صوتي بسبب العلاقة التآزرية في طرفي التشبيه، والغرض من ذلك هو توضيح هوية نص آية المثل، وكشف للمتلقي أسراره المعنوية ولذا نجد كثيراً من آيات الأمثال القرآنية، التي تتجلى فيها فنون التشبيه لكشف الأسرار الكامنة للأذهان بقصد الفهم والإفادة و" **تشكيل الصورة المختلفة في وعي المتلقي والسامع**[2]"كما في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[3]. فقد أسهم فن التشبيه هنا بصورة تنطوي على أسراره الجمالية المتعددة، وبذا يشعر المتلقي بأن فن التشبيه قد خلق في آية المثل إيحاءً نفسياً للفظه القرآني وتركيبه وهذا الإيحاء الذي ولّده التشبيه هنا، أوجب جوانب ايجابية أسهمت في تفعيل المعنى وزيادة دلالته من خلال التوظيف الفني للتشبيه في آيات الأمثال، مما ساعد في ازدياد التقارب بين المعاني نفسها مع الارتباط مع معان أخرى لكي يزداد شموله وتصبح بعيدة عن الانغلاق.

١- الجرجاني، **أسرار البلاغة**، ص١٠٨- ١٠٩.
٢- حسين، **البلاغة والمعنى في النص القرآني**، ص١٢٩.
٣- سورة (هود:٢٤).

أثر التشبيه في رسم الصورة لآيات الأمثال القرآنية:

يُسهم التشبيه في بناء الصورة الفنية ورسمها في آيات الأمثال، فارتباط الدلالة بالتشبيه يعمل على إزالة الغموض الذي يعد عنصراً أساسياً في بناء الصورة، ويتجلى به المعنى المراد لذهن المتلقي، وهذا ما قال عنه ابن طباطبا " **إن أحسن التشبيهات ما إذا عكس لم ينتقض بل يكون كل شبه بصاحبه مثل صاحبه ويكون صاحبه مثله مشبّها به صورة ومعنى، وربما أشبه الشيء صورة وخالفه معنى، وربما أشبهه معنى وخالفه صورة**[١]".ومن أكثر العوامل التي جعلت العرب يكثرون الاهتمام بفن التشبيه، المستوى الرفيع الذي يخلقه في رسم الصورة، ويعود ذلك لانسجامه مع فلسفتهم الجمالية، فهو عمدة " **الصورة في النظرية الشعرية العربية القديمة**[٢]".

والتشبيه مكّون أساسي لهذه الصورة، التي يرسمها للمتلقي وهو" **من أبلغ قواعد البلاغة**[٣]" وتقصي الصورة في الأمثال القرآنية، يفضي إلى ارتكاز حشد كبير منها على التشابه المتحقق عبر أواصر زمانية (أدوات التشبيه). وتزداد الصورة المرسومة بالتشبيه في آيات المثل، حسناً وجمالاً كلما كانت العلاقة متباعدة بين طرفيه وجاء ذلك في قول الجرجاني:" **إذا استقربت التشبيهات وجدت التباعد بين الشيئين كلما كان أشد كانت إلى النفوس أعجب، وكانت النفوس لها أطرب وكان مكانها إلى أن تُحدث الأريحية أقرب وذلك أن موضع الاستحسان، ومكان الاستظراف** [٤]".

وبرزت تجليات التشبيه في الأمثال القرآنية، عبر تصويرها لقضايا بارزة تناولتها الآيات، وللصورة التشبيهيه حصة في ثراء المعاني واتساعها وبيانها ووضوحها، ويلمس المتلقي ذلك جلياً كما في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ﴾هذه الصورة ذات بعد فني لأنها نسجت على شكل حكاية تخللها التشبيه الذي يُسهم في المقارنة بين حالتين: حالة أهل الكتاب (اليهود الذين نزلت عليهم التوراة) ولم ينتفعوا بما فيها من الخير والتوكل وحق اليقين على الله، والثانية حالة الحمار الذي يحمل على ظهره كتباً ثمينة ولكن لم ينتفع بها.هذا

١- ابن طباطبا، **عيار الشعر**،ص١١.
٢- الرباعي،عبد القادر(٢٠٠٩) **الصورة الفنية في النقد الشعري(دراسة في النظرية والتطبيق)**، ط١،ص٥٠، دار جرير للنشر والتوزيع،عمان.
٣- العلوي، **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، ج١،ص٢٦٦.
٤- الجرجاني، **أسرار البلاغة**،ص١١٦.

التقابل التشبيهي بين الحالتين، استطاعت الصورة توظيفه في آية المثل القرآني؛ لأنها كشفت لذهن المتلقي المعنى المراد من ضرب المثل.

ويشمل أسلوب التصوير في التشبيه عند تأمله دلالتين اثنتين إحداهما المقارنة والأخرى الوصف غير المباشر، وهذه الدلالة الثانية **" ناشئة عن الأولى ومرتبطة بها، فنحن حين نعمد إلى تشبيه شيء بشيء إنما نعقد بينهما نوعاً من المقارنة في الظاهر، وهي مقارنة لا تهدف إلى تفضيل أحد الشيئين على الآخر وإنما ترمي إلى وصف أحدهما بما اتصف به الآخر**[1]**"**.

و التشبيه من أهم وسائل التصوير البياني، في آيات الأمثال القرآنية، ومن الظواهر الصياغية في إنتاج التعبير الفني، حيث تتجلى مقدرة التشبيه على انتزاع صور تشبيهية من خلال إدراك المحسوسات[2] وإيضاحها عن طريق عقد موازنة بين أمرين يشتركان في معنى، أو مقابلة مع صورة أخرى من خلال أدوات توصيلية بين الصورتين اللتين تختلفان جوهريا وتتحدان في مواضع ظاهرية، فالصورة التي تتألف**" من قوة داخلية تفرق العناصر وتنشر المواد؛ لتعيد ترتيبها وتركيبها في قالب خاص، حين تريد خلق فنّ جديد متّحد منسجم**[3]**"**.وهي تعمل بذلك على تعميق الرؤى إلى الموجودات وتحفز الذهن إلى التطلع إلى الأشياء والاستغراق في تحسسها.

إن ربط الصورة التشبيهية بنص آيات الأمثال التي عايشت البيئة العربية، ما هو إلا وجه من وجوه الإعجاز الذي أسبغ على القرآن الكريم إدراكا بخفايا النفوس وإلماماً بطبائع الأحوال؛ لأن الدقة في اختيار الألفاظ والعناصر التصويرية في آيات الأمثال القرآنية، التي شكلت مشهد الصورة هي التي ملأتها ثراء وخصوبة وساهمت في تنغيمها الصوتي وجرس إيقاعها الموسيقي، وجعلتها أقدر على التعبير والإيحاء**" إن هذا الاختيار للألفاظ لا يراد به الألفاظ ذاتها بل الألفاظ منضمّة إلى المعاني بحيث لا يتحقق المعنى المراد إلا بهذا اللفظ دون سواه بغض النظر عن الاعتبارات البديعية الأخرى فلا الألفاظ ذات أولوية على حساب المعاني ولا المعاني ذات أولوية على حساب الألفاظ**[4]**"**.

وسيتضح أثر التشبيه وبلاغته من خلال الوقفات التحليلية البلاغية لآيات الأمثال القرآنية، والمشتملة

١- السيد، شفيع(٢٠٠٧) **التعبير البياني رؤية بلاغية نقدية**، ط١، ص١٨، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
٢- الجابري، محمد عابد(١٩٩١)**تكوين العقل العربي**،ط٥،ص١٢٩،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
٣- الرباعي، **في تشكل الخطاب النقدي(مقاربات نقدية معاصرة)**، ص١٦٤.
٤- الصغير، محمد حسين(١٤٢٠) **تطور البحث الدلالي دراسة تطبيقية في القران الكريم**،ط١،ص٦٨، بيروت.

على فن التشبيه في الصفات والشخصيات ليرى المتلقي من خلالها الأسرار الجمالية للتنغيم الصوتي في آيات الأمثال القرآنية.

نماذج من تشبيه الأوصاف في الأمثال القرآنية :

لكي يستطيع المتلقي أن يفهم تلك الرسائل الربانية، لابد أن يتعرف على أسرار حروفها وكلماتها ومقاطعها، وأن يتمتع القارئ بتلك الرسائل وبحسن الأداء، قال -عليه الصلاة والسلام- **" لكل شيء حلية وحلية القرآن الصوت الحسن**[1]**"**والالتزام بأحكامه وشروطه، والتفاعل مع تلاوته بوصفها عبادة دينية، ووسيلة تبليغيه مباشرة، حتى تصل الآيات الشريفة بكل إجلال وخشوع إلى قلب السامع، بعد أن يتشربها القارئ بروحه ووجدانه، ثم ينقل تأثيرها إلى المتلقي.

وسيتضح للمتلقي أثر تلك الرسائل الربانية في فن التشبيه وبلاغته من خلال الوقفات التحليلية البلاغية لآيات الأمثال القرآنية، التي ترسم لنا التأثير النفسي، والإشارة البلاغية المشتملة على فن التشبيه، ليرى المتلقي من خلالها أسرار تلك الآية وجمالياتها، وما يحدثه البناء التنغيمي والإيقاع الموسيقي، في (صوامته وصوائته)، وذلك من خلال الوقوف على آية المثل القرآني، وما يحتويه الصوت فيه من **"الأثر السمعي الذي به ذبذبة مستمرة مطردة حتى ولو لم يكن مصدره جهازاً صوتياً حياً.فما نسمعه من الآلات الموسيقية النفخية أو الوترية أصوات وكذلك الحس الإنساني صوت**[2]**".**

النموذج الأول :

في مشهد عظيم يقول الله تعالى مبيناً حال الكافرين الذين ينفقون أموالهم وصدقاتهم ويُخرجون الهبات والأعطيات ولا يبتغون بها وجه الله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[3].

مناسبة آية المثل القرآني:

١- الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر(١٩٧٩م) **كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة**، تحقيق: حبيب الرحمن ،ط١، ج٣، ص١٣٢،مؤسسة الرسالة،دمشق.
٢- حسان، **مناهج البحث في اللغة**، ص٥٦.
٣- سورة (آل عمران: ١١٧).

جاءت السورة الكريمة، لتضع بين يدي المتلقي، مشهداً حياً من مشاهد حياة الجماعة المسلمة، وقد رسمت نصوص آياتها لذهن المتلقي" **صورة الحياة التي عاشتها الجماعة المسلمة؛ وصورة الاشتباكات والملابسات التي أحاطت بهذه الحياة، مع استبطان السرائر والضمائر، وما يدب فيها من الخواطر**[1]" ووقفت السورة بذهن المتلقي في محطات كثيرة حدثت للجماعة المسلمة في تلك الفترة (غزوة أحد والهزيمة التي حلت بالعصابة المؤمنة، وحال المنافقين وكشف مؤامراتهم، ووضع اليهود وارتباطاتهم الاقتصادية والتعهدية مع أهلها)، وكان من جمال تلك السورة أنها استعرضت الأحداث بالتدرج و" **يسبق استعراض غزوة أحد وأحداثها في السورة قطاع كبير تستغرقه كله توجيهات متشعبة لتصفية التصور الإسلامي من كل شائبة؛ ... وما يتعمدون إلقاءه في الصف المسلم من شبهات ماكره لخلخلة العقيدة وخلخلة الصف من وراء خلخلة العقيدة**[2]".

ولو تأمل المتلقي في أسرار هذا المثل القرآني، والجوانب الجمالية التعبيرية الموجودة في سياق الآية، لرأى أن الآيات السابقة ترسم للمتلقي مشهداً حياً لعناد أهل الكتاب ومحاجتهم والرد عليهم يقول تعالى مبينا ذلك المشهد:﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[3]. ويوضح سبحانه وتعالى للمتلقي كفر اليهود والنصارى برسالة سيد الأنبياء وخاتم المرسلين محمد - صلى الله عليه وسلم- وتكذيبهم له وعدم إتباعهم السبيل والطريق المستقيم وظهر ذلك جليا في قوله: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾[4] ويشاهد المتلقي بعد هذا العناد والكفر والإلحاد بجميع صوره وأشكاله، رداً يحمل في طياته لوناً آخر مختلفاً يرغّب فيه الفئة المؤمنة ويحثها على التمسك بالوحيين الشريفين وتحذيرهم من كيد الكافرين الحاقدين ومكرهم ومحاولتهم إيقاع الفرقة والخلاف والشتات بين صفوف الموحدين وتشكيكهم في عقيدتهم وزعزعة إيمانهم وإعدادهم العدة

١- قطب، سيد(١٤١٢هـ) **في ظلال القران،ط ١٧**،ج١، ص٣٥٠، دار الشروق، بيروت، لبنان.
٢- قطب، سيد، **في ظلال القران**، ص٣٥٠.
٣- سورة(آل عمران: ٩٩).
٤- سورة(آل عمران: ٧٠).

لمحاربة الله ورسوله ولكن الله يبشر عباده الموحدين بالنصر والتمكين وأن مكر هؤلاء لن يفلح:﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾[1].

ثم تأتي الآيات بمشهد تنبض فيه الحركة والحيوية وهي ترسم للمتلقي صورة موازنة بين طائفتين من أهل الكتاب، طائفة مؤمنة مخبته إلى ربها:﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾[2] ،وطائفة أخرى تعد العدة لمحاربة الله ورسوله- صلى الله عليه وسلم- من خلال إقامة الحصون وتجهيز المعاقل والجنود، والدسائس والمكر والخداع،وستكون أموالهم عليهم حسرات ولهم عذاب عظيم:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾[3] هكذا ينهض المثل القرآني من خلال آياته ومفرداتها، بصورته البلاغية المؤثرة، ليؤكد أن ما أنفقه الكافرون في هذه الحياة الفانية الزائلة، وفي معاداة ومحاربة دين الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم- هالك لا محالة ولن يقدروا على الانتفاع والاستفادة منها وصدق ابن عباس- رضي الله عنهما- حين خص بني قريظة وبني النظير بهذا المثل القرآني والآية السابقة له: قال ابن عباس- رضي الله عنهما-: **"هم بنو قريظة والنظير فإن معاندتهم كانت لأجل المال"**[4] .

وآية المثل القرآني تمثيل لصورة تضعها في مخيلة المتلقي لحال ما ينفقه الكفار من أموالهم سواء كانت لوجه الله أو التي يصدون بها عن سبيله، ويستعينون بها على إطفاء نور الله بأنها باطله" **وتضمحل كمن زرع زرعاً يرجو نتيجته، ويؤمل إدراك ريعه، فبينما هو كذلك إذ أصابته ريح فيها**

١- سورة (آل عمران: ١١١).
٢- سورة (آل عمران: ١١٣).
٣- سورة (آل عمران:116).
٤- أبو السعود، محمد بن محمد (٢٠١٠) **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود)**، ط٣،ج٢، ص٥٧، دار إحياء التراث العربي،بيروت.

صر أي برد شديد محرق، فأهلكت زرعه، ولم يحصل له إلا التعب والعناء، وزيادة الأسف، فكذلك هؤلاء الكفار[1]".

وقد ذكر المفسرون في أسرار مناسبة هذا المثل القرآني ووجوه شبهه وجوهاً عدة فقالوا: " **شبه ما كانوا ينفقون من أموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله بالزرع الذي حسه البرد فذهب حطاما** [2]". ويقول السعدي مفسراً قول الله:﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾" **إنَّ الله لم يظلمهم بإبطال أعمالهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون، حيث كفروا بآيات الله، وكذبوا رسوله، وحرصوا على إطفاء نور الله** [3]".

أثر التشبيه في الآية :

عندما يتأمل المتلقي آية المثل، وكيف استطاعت أن تصور ببلاغتها وتراكيبها ودلالاتها، ومفتاح سورتها التي جاءت حروفاً مقطعه(الم)، يلاحظ أن جو الحركة داخل آية المثل وصيغة ودلالة أصواته وإيقاعه الخارجي والداخلي، التي يستطيع المتلقي أن يكشف عن علاقات صوتية جمالية وثيقة الصلة بظاهرة الانسجام بين صوت آية المثل ومعناه ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾صورت آية المثل هنا، المعنى العقلي المجرد في صورة محسوسة تفيض بالحركة وتنبض بالحياة﴿فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾هذه الصورة تبدو في التشبيه التمثيلي الذي رسم مشهد صدقات الكافرين ونفقاتهم في بطلانها وذهابها وعدم الانتفاع بها، مع حبهم للمفاخرة وكسب الثناء والذكر بين

١- للتوسع انظر : الشعراوي، محمد متولي الشعراوي(١٩٩٧) **تفسير الشعراوي**، ط١،ج٣،ص٦٩٧، مطابع أخبار اليوم. السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ١٤٤.
٢- الزمخشري ، **تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ج١،ص٤٥٧.
٣- السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**،ص ١٤٤.

الناس ولا يبتغون بذلك وجه الله تعالى بصورة " **الزرع الذي لفحته الرياح الباردة الشديدة فأهلكته ولم ينتفع أصحابه بشيء منه بعدما كانوا يرجون خيره ونفعه وقد علقوا الأمل به**[١]".

وهكذا يبدو لذهن المتلقي من الصورة الحسية الماضية التي رسمتها آية المثل، مدى الدقة والجمال في أداء الصورة الفنية الموجودة في الآية وتعبيراته الإبداعية، فلفظة (ينفقون، الحياة، ريح، صر، حرث، ظلموا) وطريقتها في التعبير، وعرضها للمشهد الدرامي بحركاته وسكناته عبر خطوات محدودة ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ﴾، أو ذاك التأثير الذي رسمته لنا آية المثل وينقله عظم المشهد إلى مشاعرنا وأحاسيسنا.

ولدراسة ألفاظ آية المثل السابق وعباراته وتنغيماته ونبراته، علينا أن نعود مرة أخرى لنتفكر فيه على المستوى الصوتي للدخول إلى نص المثل، وبداية الولوج إلى عالمه وفهمه وإحساسنا بوعي لما فيه من قيم جمالية؛ فالصوت الوحدة الأساسية للغة التي يتشكل منها نص المثل" **لأنه أصغر وحدة في اللغة**[٢]"ولغة الأمثال القرآنية من اللغات التي اتسمت بالانسجام الصوتي، واستطاعت ربط ألفاظها فيما اتصل بمفرداتها القرآنية ربطاً وثيقاً أدى إلى ظهور تلك الحركات التي وصلت بين المفردات، ومتى اقتصر" **أمر اللغة على السمع وعلى الإنشاد، فلابد لها أن تُعنى بالانسجام الصوتي؛ لأنه ضرب من المماثلة الحركية، أو التقريب الصوتي**[٣]".

﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾تشكل هذه الآية من المثل القرآني، صورة حية تثير لدى المتلقي ذلك الخيال العظيم، وتكشف له عن موقف الكفار اليائس المهين، وكان للصوت في آية المثل، الدرجة الكبيرة في جوانب الإعجاز البياني واللغوي في الأداء والسماع للمتلقي، حيث ساعدت أصوات المد الطبيعي والمد المتصل والمنفصل بشكل كبير في إبراز ذلك الخيال، كما في لفظة (**مَا، فِيهَا، يَظْلِمُونَ ،هَٰذِهِ، الْحَيَاةِ، يُنفِقُونَ**) فاستخدام المثل لهذا المد يعطي مؤشراً يوصل المتلقي لإدراك جمالياته التعبيرية بأسلوبية ومتعة فنية من خلال انسجام الصوت مع المعنى والسياق العام للمثل

١- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري(١٩٨٢) **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: احمد البردوني وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية،القاهرة،ج٢،ص٤٢٠.

٢- خان، محمد(٢٠٠٢)**اللهجات العربية والقراءات القرآنية، دراسة في البحر المحيط**، ص٦٥، دار الفجر للنشر والتوزيع،المغرب.

٣- العطية، خليل إبراهيم(١٩٨٣) **في البحث الصوتي عند العرب**، ط٢، ٧٦، منشورات دار الجاحظ،بغداد.

القرآني في تفاعل نشط" **فالانسجام يكون الكلام متحدراً كالماء المنسجم، ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسيل رقة، والقرآن كله كذلك**[1]".

وكان لحركة الأوتار الصوتية وتذبذبهما بشكل قوي في حروف الجهر في آية المثل، علاقة مباشرة للبعد الفني والموسيقى التي لا تدرك إلا بالسماع، والناظر في أساليب الأمثال القرآنية يجد التركيب فيها منسجما مع تلك الذبذبات الصوتية، تجعل المتلقي يسعى لإثبات ذلك الإعجاز الإلهي في نسق القرآن الكريم، من خلال الأثر التنغيمي والإيقاع الصوتي في آيات الأمثال القرآنية حيث

" **اتخذت المباحث الصوتية عند العرب القرآن أساساً لتطلعاتها، وآياته مضماراً لاستلهام نتائجها، وهي حينما تمازج بين الأصوات واللغة، وتقارب بين اللغة والفكر، فإنما تتجه بطبيعتها التفكيرية لرصد تلك الأبعاد مسخرة لخدمة القرآن الكريم**[2]".

لقد قام الباحث بعمل جدول إحصاء لتلك الأصوات، وحضورها في المفردة القرآنية، وعدد تواترها، وصدى كل صوت في التأثير والمساهمة لسياق المعنى، فبلغ عدد الأصوات المجهورة (٣٧) صوتاً، وكان لصدى حروفها، ولطبيعة الإنذار والوعيد وتقرير مصير الكافرين المؤلم، في جرس أصواتها، الوقع الكبير في آية المثل السابق، أما الأصوات المهموسة والتي بلغ عدد تواترها (١٤) صوتاً، فالحروف التي تشكل منها المثل القرآني تكشف دلالتها الصوتية من حيث تكرار هذا الصوت المهموس، مما لها لأثر الملموس في ملمح آية المثل القرآني، الذي يوحي باللين والراحة، والطمأنينة والتبشير للمؤمنين﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾أما الأصوات الانفجارية فلم يكن لها الحظ الوافر هنا، فقد بلغ عدد أصواتها (١٣) صوتاً﴿ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ﴾

واستطاعت بقلة أصواتها أن تشكل التوافق السياقي بين الصوت من جانب، وبين المعنى المراد من جانب آخر، وكان لحضور الأصوات الاحتكاكية، دور بارز في الانسجام التنغيمي والجرس الإيقاعي في مفردات آية المثل القرآني السابق، والتي بلغ عددها(٢٧) صوتاً، مما يمثل لوناً جمالياً فيه كل صنوف التعبير وطريقة الأداء، ويتضح ذلك من خلال الجدول المرفق.

١- السيوطي، جلال الدين، **الإتقان في علوم القرآن**، ط٣،ص٢٦١، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار التراث، بيروت.

٢- الصغير، محمد حسين(٢٠٠٠م)**الصوت اللغوي في القرآن،ط١**،ص٧٣،دار المؤرخ العربي،بيروت.

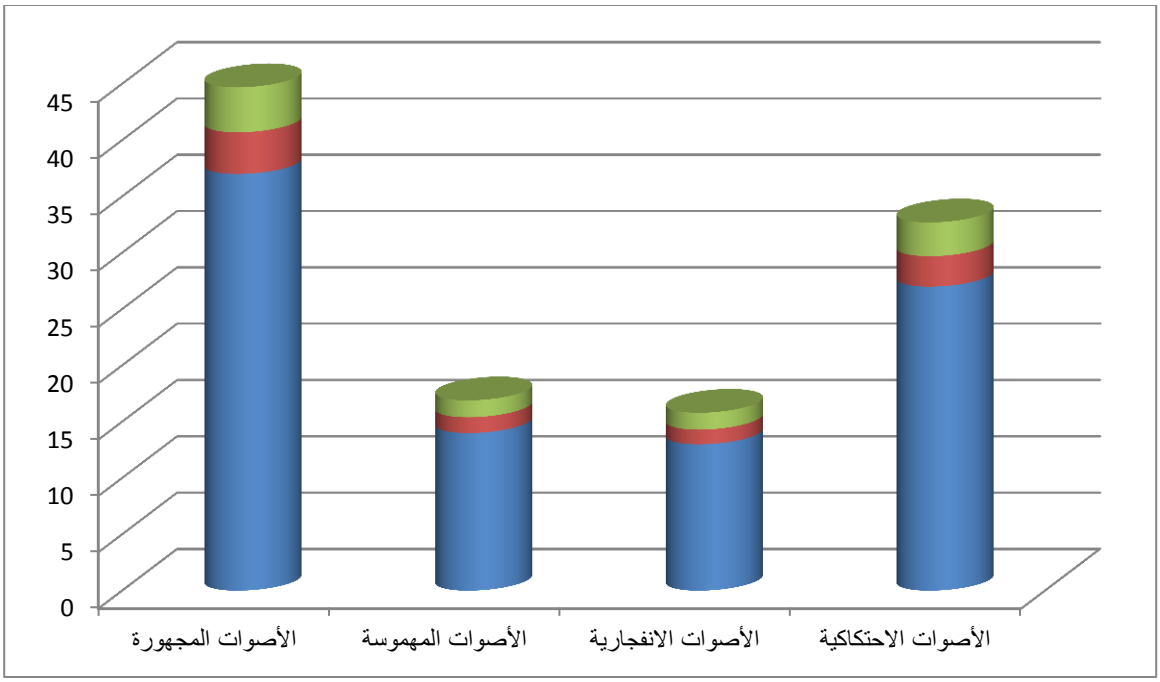

جدول توضيحي لنسبة تواتر الأصوات في آية المثل القرآني السابق ... رقم(١)

لقد رسمت آية المثل القرآني السابق، بحروفها المجهورة كما في قوله: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ﴾ لوحة جمالية مفعمة بالتنغيم الصوتي، فالمثل القرآني هنا كما هو ظاهر في الجدول المرفق قد تجاوز بنظمه الفريد السمت المعتاد في طراز اللغة العربية، وشكلت في نفسية المتلقي دوراً جمالياً خاصاً بنسيج القرآن الكريم، وقد راعت آية المثل القرآني السابق، التوازن والانسجام بين الأصوات المجهورة عند توزيع الحروف في المفردات القرآنية التي اختارتها آية المثل القرآني المذكور، **"وشكلت منها نظمها على طريقة العرب في ترك الإستثقال وتجنب جمع الأصوات متقاربة المخارج**[١]". والجدول يوضح ذلك التنغيم في أصواته المجهورة.

الأصوات المجهورة التي وردت في آية المثل القرآني السابق		
الصوت	**المفردة القرآنية**	**عدد ورودها**

[١]- رمضان، محيي الدين(١٩٨٢) **وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن**، ط١،ص٣٨، دار الفرقان،عمان.

الباء	أَصَابَتْ	**مرة واحدة**
الدال	ٱلدُّنْيَا	**مرة واحدة**
الذال	هَٰذِهِ	**مرة واحدة**
الراء	رِيحٍ، صِرٌّ، حَرْثَ	**٤ مرات**
الظاء	ظَلَمُوٓاْ، وَمَاظَلَمَهُمُ	**مرتين**
اللام	مَثَلُ، كَمَثَلِ، ظَلَمُوٓاْ، فَأَهْلَكَتْهُ، وَمَاظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ، وَلَٰكِنْ، يَظْلِمُونَ	**١٠مرات**
الميم	مَثَلُ، مَا، كَمَثَلِ، قَوْمٍ، ظَلَمُوٓاْ، وَمَاظَلَمَهُمُ، أَنفُسَهُمْ، يَظْلِمُونَ	**١١ مرة**
النون	يُنفِقُونَ، ٱلدُّنْيَا، أَنفُسَهُمْ، وَلَٰكِنْ، أَنفُسَهُمْ، يَظْلِمُونَ	**٧ مرات**
المجموع		**٣٧ مرة**

لقد تميزت الأصوات المجهورة التي ورد ذكرها في آية المثل القرآني السابق، بظاهرة المساهمة في إغناء الأثر الصوتي فيه، وأظهرت للمتلقي أن هناك علاقة مباشرة ما بين بعدها الفني وإيقاعها الموسيقى الذي لا يدرك إلا بالسماع، وقد أضفى لنا أثر صوت (الباء) المجهور بجرسه الإيقاعي، وتنغيمه الجميل، في آية المثل القرآني إيحاء وشحنات عاطفية تتوافق ومعاني الآية **" فالموسيقا قادرة على إمتاعنا وإضفاء جو المرح في نفوسنا كما أنها بالمقابل قادرة على إحداث انفعالات مختلفة في نفوسنا، لا بل على دبّ الاضطراب والتوتر إذا ما اقترنت بالنبرات القوية، والإيقاعات العنيفة الصاخبة، لا بل التآلفات المتنافرة في بعض الأحيان**[1]".

ومن المشاهد العظيمة المخيفة مشهد حال الريح التي أصابت أولئك الكافرين الذين ظنوا أن أموالهم ومكانتهم ستحميهم، وساعد صوت(الباء) في قوله تعالى:﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ﴾، في التعظيم والتهويل لرسم ذلك الموقف المخيف، وكأنه يصور بأثره الصوتي ذلك المصاب والواقعة التي حلت بالكافرين، وبجهوريته يصرح للمتلقي وبكل وضوح، أن ما حصل لهؤلاء القوم ما هو إلا صورة من

[1] - القدسي، محمد كامل(١٩٩٦) **مقال بعنوان: علم النفس الموسيقي ومبادئ علم الاجتماع الموسيقي في خدمة تعليم الموسيقا العربية وتطويرها**، العدد(١١)،ص١٤، مجلة الحياة الموسيقية، وزارة الثقافة،دمشق.

صور ذلك الموقف العظيم،" **إن الموسيقا تلعب الدور الرئيس في زيادة القدرة على تلقي الإيحاء المراد إيصاله إلى المتلقي**[1]".

وقد ساهم ملمح التفخيم في لفظة (أصابت)كذلك بما فيه من دلالات القوة والتمكين في القدرة الإلهية والتحدي الرباني لهؤلاء كما في لفظة (صِرٌّ أَصَابَتْ) ويلمس المتلقي أثر صوت الباء وما جاء من قبله صوت الصاد المفخم، وهو الأكثر انسجاماً مع سياق التعظيم الذي بدأت به آية المثل القرآني ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ﴾ في أسلوب التأكيد والتعبير بالصوت المفخم (أَصَابَتْ) يوحي للمتلقي بتلك القوة ويشعره بوقعها، فطبيعة الصراع بين الحق والباطل ومدة طواف تلك المصيبة على القوم، تحتاج إلى قوة وعزيمة، وذلك ليفيد التمكن من تتابع ملمح التفخيم ليسبل ظلالاً من القوة على تعبير وأثر ذلك الصوت.

ولمُرَتّل آية المثل هنا أن يجد النغمة المناسبة والشحنات العاطفية التي توافق معنى الآية وسياقها فكل لفظة في آية المثل القرآني هنا" **اختير مكانه وموضعه من الآية أو العبارة أو الجملة، فإن غيره لا يسد مسده بداهة، فقد اختار القرآن اللفظ المناسب في الموقع المناسب، من عدة وجوه، وبمختلف الدلالات، إلا أن استنباط ذلك صوتياً يوحي باستقلالية الكلمة المختارة لدلالة أعمق، وإشارة أدق**[2]" ولو تأملنا قوله تعالى:﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ﴾ نرى في هذا الموضع انزياح للتنغيم الصوتي، فاختلاف النبر عند النطق بها ودوره في تغير المعنى، فالتنغيم اشتمل على أعلى مستوياته فيها، علت نبرته، وزاد انفعاله، و" **أخذ التأثر والتأثير في البيئة الصوتية، يلعب دورا لإحداث التوازن والانسجام الموسيقي**[3]"، فهي موضع صفة للريح وجاء اللفظ هنا محاكيا الصوت المنتج

---

[1]- خباز، رود(١٩٩٩) **الموسيقا في شعر ابن زيدون**، رسالة ماجستير، بإشراف مهجة الباشا، ص٨٤، كلية الآداب، جامعة حلب.

[2]- الصغير، **الصوت اللغوي في القرآن**،ص١٨٨.

[3]- قطب، **التصوير الفني في القرآن**، ص٧٦.

محاكاة تامة، مصاقبة المعاني التي تواكب الأحداث، فهو" **يصور مدلوله بجرسه وظله جميعا، التي يراد التعبير عنها**[1]".

وفي تنغيم صوت (الذال، الدال، الراء) كما في قوله تعالى: ﴿فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾قد ورد تواتر تلك الأصوات في آية المثل القرآني(٦ مرات)، وفي إيقاعها الداخلي ورسم حروفها الخارجي إيقاع صوتي يوحي للمتلقي، الإنذار والوعيد ومصير الكافرين المؤلم؛ لأن هذه الأصوات المجهورة ذات وقع قوي ومؤثر يكشف للمتلقي أبعاد المعنى المراد، وتلفت الانتباه للخطورة المترتبة على الكفار، وفي قوله: ﴿فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾، ﴿كَمَثَلِ رِيحٖ﴾، تكرار أصوات ذات طبيعة متقاربة في صفة الجهر فتلازم معاني متقاربة ومترابطة، ويرى المتلقي التتابع الصوتي لأصوات الجهر، فصوت الذال ﴿فِي هَٰذِهِ﴾، وصوت الدال﴿ٱلدُّنۡيَا﴾، وصوت الراء ﴿رِيحٖ﴾،﴿صِرٌّ﴾﴿حَرۡثَ﴾ الصوت المجهور المفخم يتبعه المجهور المرقق (هذه – الدنيا) و(ريح، صر، حرث) مع هذا التتابع الصوتي الرابط بين المقدمات (هذه – الدنيا) والنتائج التي تظهر المصير الموحش والمؤلم الذي يزداد سواداً وضبابية، فمثل الإنفاق في هذه الحياة الدنيا فكانت النتيجة المبدئية، ما أصابها من رياح شديدة، بسبب غضب الجبار.

ويلاحظ المتلقي في اللوحة الجمالية التي رسمتها آية المثل، الانتظام الصوتي الذي يشكل أجمل أشكال الإيقاع داخل آية المثل القرآني، له فاعلية وتأثير، فإذا ما ارتبط بالمعنى المراد من الآية كان أقدر على إبرازه، والتأثير به. وفي أصوات (الدال والذال والراء) المجهورة تتابع في الاستعمال في آية المثل القرآني، ﴿رِيحٖ، صِرٌّ، حَرۡثَ، هَٰذِهِ، ٱلدُّنۡيَا﴾ فالنسق الصوتي المتكون من تتابع هذه الأصوات، فهي تدخل في عمليات إدغام كثيرة وتغير في المخرج في بعض الأوقات؛ ولذا كانت الخاتمة في نهاية الحادثة في لفظة (حرث) صعبة لفظاً وصعبه على الكافرين الذين انقطعت بهم السبل، ودمار ذلك الحرث.

---

[1]- أبو حيان، محمد يوسف(١٩٩٣م) **تفسير البحر المحيط**، تحقيق:عادل أحمد- علي معوض، ط١،ج٣، ص٣٧، دار الكتب العلمية، بيروت. (بتصرف) .

لقد ساهمت العوامل الصوتية في آية المثل القرآني هنا بدلالات نفسية، توحي للمتلقي بطريقة الأداء في آية المثل" **إذ شبه الإنفاق بالريح وظاهر قوله (ينفقون أنه من نفقة المال)**[1]". فهذا التصوير في رسم ذاك المشهد العظيم، يوحي بجلل الفعل، وقيل" **متعلّق الإنفاق هو(أعمالهم من الكفر ونحوه) هي كالريح التي فيها صر أبطلت أعمالهم وكل ما لهم من صلة رحم وتحنث بعنق كما يبطل الريح الزرع)** [2]". وقيل المقصود بقوله"**(ما ينفقون) أعمالهم كلها وخصّ الإنفاق هنا لأنه أظهر وأكثر**[3]".

وللحرف والصوت مزية أخرى تتعلق بجرسه وتنغيمه في آية المثل القرآني، فقد رسم بتنغيمه وإيقاعه للمتلقي، كما في قوله تعالى:﴿فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾، ما هي إلا إشارة على" **كثرة التحقير من شأن هذه الحياة**[4]"، إذ كان من الممكن حذف اسم الإشارة إليها مع تمام المعنى ولكن أشير إليها بقصد التّحقير وهذا أبلغ في أداء المعنى المقصود من المثل القرآني. ولدلالة التنغيم الصوتي هنا فرق في التركيبين، فدلالة (الدنيا) تختلف عن دلالة (الحياة الدنيا)[5]، فجاءت الحياة مقترنة بالدنيا لترسم لنا ذلك المشهد العجيب في قصر نظرة هؤلاء وانشغالهم بالحياة الدنيا القريبة الفانية عن الحياة الباقية الخالدة في الآخرة.

ويُعزى هذا الجمال الصوتي إلى حسن المناسبة بين الحروف في نظم آية المثل القرآني، ويظهر ذلك عند وقوف المتلقي على أثر التنغيم والجمال في صوت(الظاء) في الآية، فقد رسم هذا الصوت بجرسه الإيقاعي، وتنغيمه الجميل، لوحة فنية يراها المتلقي في آية المثل القرآني هنا واضحاً، فصوت (الظاء) " **صوت مجهور رخو، مفخم مطبق**[6]" ويقول عنه العلايلي:إنه (للتمكين)، وتكرار صوت

---

[1]- أبو حيان، **تفسيرالبحر المحيط** ،ج٣، ص٣٧ .
[2]- المصدر السابق والصفحة نفسها.
[3]- المصدر السابق والصفحة نفسها .
[4]- الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدين(١٤١٥هـ) **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ط١،ج ٤، ص ٣٦، دار الكتب العلمية، بيروت.
[5]- فقد وردت كلمة(الدنيا) في مئة وخمس عشرة آية، بينما ورد تعبير" الحياة الدنيا" في ثمان وستين آية، و(الدنيا) عندما ترد وحدها تعني مجرد الحياة على هذه الأرض، أي الحياة التي نحياها،هذه المدة التي نعيشها دون أي ظلال أو إيحاءات أخرى. أما (الحياة الدنيا) فتعني في آيات القرآن الكريم استغراق الإنسان في هذه الحياة، وانغماسه فيها وانشغاله بها، وانصرافه عما بعدها، فكأن تعبير الحياة الدنيا صورة لانصراف الإنسان عن طاعة ربه، وغفلته عن اليوم الآخر، وتصور لنا الآية بتنغيم عال سريع، ليدل على حب الذين كفروا لهذه الدنيا وشدة تعلقهم بها. الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**،ج٤، ص٣٦.
٦- سيبويه، **الكتاب**، ج٤،ص٤٣٦.

(الظاء) في آية المثل القرآني، كما في قوله تعالى:﴿قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾، وكأنه يصور بأثره الصوتي الشدة والقسوة التي أوحى بها أثر الصوت في آية المثل، ورسم للمتلقي تقرير مصير الكافرين المؤلم، وبالرجوع إلى المعجم الوسيط نجد ثمانية عشر مصدراً تبدأ بصوت (الظاء)، كان منها سبعة مصادر تدل معانيها على القساوة بشيء من الخشونة بما يتوافق مع صدى صوته المفخم، مثل(**الظبة، الظر،...**)، وخمسة مصادر من معانيها رابطة من الشدة والظهور، بما يتوافق مع الخصائص الصوتية لهذا الحرف وهي(**الظلم، ظهر،...**)، ونرى أن صوت الظاء قد استطاع بقوته وقسوته أن يرسم للمتلقي، مصير الذين ظلموا أنفسهم بالصد عن سبيل الله تعالى" **والنص القرآني بما فيه من ضوابط ترتيله واختيار لفظه ليعبر تعبيراً إعجازياً دلالياً، جاءت أصواته دالةً على واقع حال طواه الزمن كما طوى أهله وشاغليه بما شغلوه، وكانت هذه الأصوات ليست دالة على ذلك الواقع وحسب، وإنما أقدرتنا على استحضار صور ذلك الزمن السحيق**[1]".

ولو تأملنا تتابع صوت(الظاء) للأصوات الجهرية الأخرى (ظَلَمُوٓاْ،وَمَا ظَلَمَهُمۡ، يَظۡلِمُونَ) نجد جرس تلك المفردات، أعطى رابطاً بين ظلم وإعراض وبيان للنتائج التي تظهر المصير الموحش الذي يزداد سوءاً وضبابية لحال الكفار، فالصدقات والهبات المنفقة لغير الله وفي محاربة الله ورسوله، كانت النتيجة المبدئية لذلك الهلاك والدمار والضلال الذي يوصل إلى غضب الجبار، إن الإيقاع التنغيمي في آية المثل يرتفع وينخفض، فتتشكل نغمات منخفضة، ونغمات مرتفعة كما أنه يشتد حيناً، ويهدأ حيناً آخر، أو يكون بطيئاً بحسب سياق آية المثل ومعانيها، وهنا تتشكل فاعلية التنغيم الصوتي لصوت(الظاء) لتمكين المعنى المراد وترسيخه، وتأكيد الدلالة والإيحاء، في ظلم أولئك الكفار لأنفسهم ولربهم وللجماعة المسلمة،" **وفاعلية التشكيل الصوتي هي قدرته على خلق إيقاعات متنوعة، ونشاط الإيقاع هو نشاط التشكيل الذي يدخل في تكوينه**[2]" لقد ساعد الإيقاع التنغيمي في صوت(الظاء)على قوة التشبيه التي ضربها لنا المثل القرآني هنا، وجاء الأثر التنغيمي

١- عبد الله، محمد فريد(٢٠٠٨) **الصوت اللغوي ودلالاته في القرآن الكريم**، ط١، ص١٠٠، دار الهلال للطباعة، بيروت.

٢- سلوم، تامر(١٩٩٤) **أسرار الإيقاع في الشعر العربي**، ط١،ص٣٠٥، دار المرساة للطباعة،اللاذقية.

لهذا الانتظام الصوتي في حروف الجهر واضحاً إذ " **إن اللغة المحكية (المنطوقة) هي التي يتمثل فيها انعكاسات الأصوات**[1]".

ومن ألوان الانسجام الصوتي وأشكاله لفن التشبيه داخل آية المثل القرآني السابق، فعالية الحرف وأثره الصوتي داخل الكلمة" **وتشبيه أصواتها بالأحداث المعبر عنها بها في ترتيبها وتقديم ما يضاهي أو الحدث، وتأخير ما يضاهي آخره، وتوسيط ما يضاهي أوسطه، سوقاً للحروف على سمت المعنى المقصود والغرض المطلوب**[2]" فصوت(اللام) الذي بلغ عدد تواتره في آية المثل القرآني السابق(١٠) مرات، قد أضفى بلونه وتنغيمه الإيقاعي من الملاءمة والانسجام بين صوته ودلالته، واستطاع بجرس صوته أن يغير الإيقاع التنغيمي في آية المثل القرآني السابق، بتغير جو الآية ﴿مَثَلُ، كَمَثَلِ، ظَلَمُوٓاْ، ٱللَّهُ، فَأَهۡلَكَتۡهُ، وَمَاظَلَمَهُمُ، وَلَٰكِنۡ، يَظۡلِمُونَ﴾وتنوعه بتنوعها

وهي" **قاعدة مطردة**[3]" ورسم هذا الصوت المجهور متوسط الشدة بتنغيمه وجرس صوته صورة توحي للمتلقي مزيجاً من التماسك والالتصاق بخصائصه الإيحائية. ولقد وجد الباحث بالرجوع إلى المعجم الوسيط، مئتين واثني عشر مصدراً، تبدأ بحرف(اللام)على سبيل المثال (لب، لبث، لصق، لفق، لحف،...)، ويلاحظ المتلقي أن صوت(اللام)"**يتشكل على مرحلتين اثنتين:**

الأولى: بالتصاق اللسان بأول سقف الحنك قريباً من اللثة العليا حبساً للنفس.

والثانية: بانفكاك اللسان عن سقف الحنك،وانفلات النفس خارج الفم[4]".

وهكذا يكشف صوت(اللام) بإيمائية التمثيلية﴿كَمَثَلِ رِيحٍ﴾ وطريقة نطقه ووصفه للأحداث التي يتم فيه الالتصاق﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ﴾، وكأن آية المثل القرآني بفنية التشبيه استطاعت أن ترسم صفة إلصاق المثل المضروب ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ بهؤلاء الكفار

---

[1]- طحان، ريمون(١٩٨١) **الألسنية العربية**، ط٢،ص٦٤، دار الكتاب العربي، بيروت.

[2]- ابن جني،**الخصائص**،ج٢، الصحل،البحة في الصوت،هامش ،ص١٦٣.

[3]- اليافي، نعيم(١٩٨٤م) **مقال بعنوان: قواعد تشكل النغم في موسيقا القرآن**،العددان،(١٥-١٦)، ص١٣٦، مجلة التراث العربي، دمشق.

[4]-عباس، حسن(١٩٩٨م) **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، ط١، ص٨٠، منشورات اتحاد الكتّاب العرب،دمشق.

التي أصبحت الهبات والصدقات عليهم وبالاً، إن تنغيم صوت(اللام)وإيقاعه يعطي المتلقي لآية المثل القرآني إيحاء بالدلالة الصوتية لألفاظه وعباراته التي ساهم في تشكيلها و" **تجعلنا قادرين على ملامسة الدلالة وهي في حال التحقق الذي به يتجسد المعنى**[1]".

إن المدود كان لها في آية المثل القرآني السابق أثرٌ في التنغيم والإيقاع، وهي تحمل بين طياتها دلالات وإيحاءات وفق سياقات معينة، فترسم لنا صورة تناسب مدلولات الكلمة التي فيها مد، كما في لفظة ﴿حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾، فعندما بيّن المثل القرآني كم اقترف هؤلاء الكافرون من ظلم ووقع ذلك الظلم على حياتهم ومعاشهم وصدقاتهم وكذلك ذرياتهم، جاء مدّه مناسباً في ﴿ ظَلَمُوٓاْ﴾ حيث نجد المدود" **في سياقاتها تحمل دلالات معبره تعبيراً يتجاوز حد الإيحاء إلى حدود المعاني المتكاثرة في استيفاء الزمان والمكان**[2]"وكأن المد يوحي هنا بعظيم مدى الظلم الذي أحدثه هؤلاء.

ويضاف إلى الإيقاعات الجمالية ذات الدلالة العميقة على مضمون آية المثل القرآني، التي رسمها للمتلقي صوت(الميم) في آية المثل السابق﴿**مَا، كَمَثَلِ، قَوْمٍ،...**﴾ هذا الصوت المجهور متوسط الشدة أو الرخاوة، فقد استطاع بتنغيمه وجرس صوته الذي يحصل " **بانطباق الشفتين على بعضهما بعضا في ضمة متأنية وانفتاحهما عند خروج النفس، ولذلك فإن صوته يوحي بذات الأحاسيس اللمسية التي تعانيها الشفتان لدى انطباقهما على بعضهما بعضاً، من الليونة والمرونة والتماسك مع شيء من الحرارة**[3]". أن يرسم صورة توحي للمتلقي مزيجاً من التماسك والانغلاق بخصائصه اللمسية البصرية. وبالرجوع إلى المعجم الوسيط أحصى الباحث مئتين وثلاثة وخمسين اسماً، تبدأ بحرف(الميم)على سبيل المثال(ملسه، مرن، ملصق، المأد، المجماج،...)، ويلاحظ المتلقي أن صوت(الميم) كما جاء في مفردات آية المثل القرآني﴿**مَا، كَمَثَلِ، قَوْمٍ،...**﴾ يضفي على آية المثل إيقاعية نغمية، فكثرة تواتر صوت الميم في آية المثل القرآني السابق، وكثرة التنوين والنون الساكنة بشكل لافت، يشير إلى حالة الأمن والتصريح بمس العذاب للمنحرفين عن منهج الله، إنها تعمل على

---

[1]- عيد، محمد عبد الباسط(٢٠٠٩م) **النص والخطاب قراءة في علوم القرآن**،ط١، ص١٣٨، مكتبة الآداب،القاهرة.

[2]- عبد الله، **الصوت اللغوي ودلالاته في القرآن الكريم**،ص٢١٠.

[3]- عباس، **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، ص٧٢.

إثارة شعور الرعب والهلع لتلك الريح التي دمرت ما صنعوا، وجاء هذا التصريح بصورة غليظة لقوم يحملون بين صدورهم قلوب أشد قسوة من الحجارة الصماء، ويُلاحظ تغير الإيقاع وتحوله من إيقاع هادئ في الآية التي تسبق آية المثل القرآني، إلى إيقاع شديد قوي وذلك لما فرضه المعنى والسياق، أنه إيقاع مجلجل، بنبرات صوتية رتيبة، ونسق متوازن ﴿مَثَلُ ،مَا، كَمَثَلِ، ....﴾ أصداء صوتية في التشبيه، ونراها متلاحقة في تنغيم متقارب زادها **" تأثيراً ولطف تناغم،وسط شدة هائلة مرعبة، وخيفة من حدث نازل متوقع**[1]".

وفي مشهد آخر لتكتمل عند المتلقي الصورة التي رسمها صوت (الميم) وهي التلويح بصورة العذاب الأليم، كانت بالمقابل صورة رقيقة خفيفة لقوم عانوا في سبيل الله ما عانوا من قسوة المشركين، وأهوال خروجهم من بيوتهم وتركهم الأموال وفرقة الأهل، فجاء التلويح بالعذاب بطريقة هبوب الرياح التي دمرت كل شيء، ويلاحظ المتأمل في آية المثل القرآني، أن الصورة المرسومة في مفرداته، أوسع وأعمق من الصورة المتخيلة في ذهن المتلقي ﴿حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، دون أن تهمل قيمة التعبير ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ﴾ الذي يرفع مستوى دلالة الصورة في هذه اللوحة الجمالية لأثر صوت (الميم) المجهور، واستطاع أن يكشف عن المواقف الانفعالية في داخل النفس، والحركة الخارجية التي تحدثها هذه المواقف في آية المثل القرآني.

وكان لصوت (النون) في قوله:﴿مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، نصيب من الأثر التنغيمي، فهو صوت مجهور متوسط الشدة، يقول العلايلي عنه:**" للتعبير عن البطون في الأشياء** [2]"ويوحي هذا الصوت المجهور إذا **" لفظ مخففاً مرققاً بالأناقة والرقة والاستكانة، وإذا لفظ مشدداً بعض الشيء. أوحى بالانبثاق والخروج من الأشياء، تعبيراً عن البطون والصميمية**[3]"، ولو نظرنا إلى اللوحة التي

---

[1]- الصغير، **الصوت اللغوي في القرآن**،ص١٥١.

[2]- العلايلي، عبد الله عثمان(١٩٨٩) **تهذيب المقدمة اللغوية**، تحقيق: اسعد علي،ط٣،ص٢١٧، دار السؤال للطباعة والنشر، سوريا.

[3]- عباس، **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، ص١٦٠.

يرسمها لنا مشهد مجيء صوت النون في آية المثل القرآني السابق، نرى أنه يلفظ" **بشيء من الشدة والتوتر، فلابد لموحياته الصوتية أن تتجاوز ظاهرة الانبثاق العفوية، إلى النفاذ القسري والدخول في الأشياء**[1]".

وقد تجاوزت آية المثل القرآني هنا بنظمها الفريد، السمت المعتاد للغة ، وحلقت بأصواتها المجهورة في أجواء توظيف الأصوات لتؤدي دوراً جمالياً خاصاً بنسيج القران الكريم ﴿مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾وقد أضفى صوت (النون) فيها جمالاً صوتياً ربط بين حسن المناسبة والنظم المشاهد في آية المثل ﴿وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾فتتابع الصوت هنا هو الذي أعطى آية المثل هذه التشكيلة المتميزة من النظام الصوتي، والإيقاع الموسيقي.

ومن آثار التنغيم قوله تعالى:﴿ يُنفِقُونَ﴾،﴿ أَنفُسَهُمْ﴾،﴿يَظْلِمُونَ﴾،﴿ٱلدُّنْيَا﴾ هذا النسيج الصوتي لصوت(النون) في كلمات المثل السابقة، أحدث تأثيراً فاعلاً في البناء التنغيمي لنص المثل وبلاغته الجمالية الناشئة عنه، وإظهار خفايا النفس في حالاتها المختلفة" **فليس يخفى أن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، وأن هذا الانفعال إنما هو سبب في تنويع الصوت، بما يخرجه فيه مداً أو غنة أو ليناً أو شدة وبما يهيئ له من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على مقادير مناسبة لما في النفس**[2]".

ومن الأثر التنغيمي الصوتي لفن التشبيه في آية المثل القرآني السابق، تكرار بعض الحروف كما هو واضح في جدول الأصوات المجهورة، التي تحمل من دلالات التنوع والتلون وفقا لمضمون آية المثل والجو العام لتلك الآية، فقد اجتمع في آية المثل القرآني عشر(لامات)، وأحد عشر (ميماً) خمس منها في المقطع الأخير﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾و" **تكرار الأصوات هذه بنفس**

---

[1]- المرجع السابق، ص١٦١.
[2]- الرافعي، **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، ص١٨٤.

العدد قد منح النسق إيقاعية غنائية تؤدي غنة الميم فيها دورها بوضوح[1]"، والنغم هنا من الميم ليس ذاك النغم المجلجل بقدر ما هو إيقاعية يتصور فيها السامع أن شيئا قد أخذ قراره ومكانه.

إن لآيات الأمثال في القرآن الكريم، نسقها الخاص في نظمها وطريقتها لرسم صورة التشبيه ما يجعلها **"معبرة تعبيرا دقيقا عن الغرض الذي جاءت له**[2]" ومن قيود هذا التشبيه وجماله **"أن العذاب الذي أصابهم إنما هو عقوبة لهم على معصيتهم ،لان الإهلاك عن سخط أشد وأبلغ**[3]".

الأصوات المهموسة التي وردت في آية المثل القرآني		
الصوت	**المفردة القرآنية**	**عدد ورودها**
التاء	ٱلْحَيَوٰةِ،أَصَابَتْ، فَأَهْلَكَتْهُ	**٣ مرات**
الثاء	مَثَلُ،كَمَثَلِ،حَرْثَ	**٣ مرات**
الحاء	ٱلْحَيَوٰةِ،رِيحٍ،حَرْثَ	**٣ مرات**
السين	أَنفُسَهُمْ،أَنفُسَهُمْ	**مرتين**
الصاد	صِرٌّ، أَصَابَتْ	**مرتين**
المجموع		**١٣ مرة**

وللمقاطع[4] في آية المثل السابق أثر متميز يضفيه على النص **" لتفسير الظواهر اللغوية في ميادين متعددة؛ البنى الصرفية والصوتية والأسلوبية مما يوجه الدلالة ويصحح الكثير من أنظمة اللغة والعلل النحوية**[5]".

ومن آثار التنغيم الصوتي في آية المثل تواتر حروف الهمس فيه، فأصوات الهمس في آية المثل القرآني السابق، جاءت مساهمة في تشكيل عنصر التوسع في وصف الحياة والريح وحال نفسيتهم

---

[1]- دليلة، مزوز(٢٠١٤م) **سيميائية الحرف العربي قراءة في الشكل والدلالة**، بحث كلية الآداب والعلوم الاجتماعية،العدد(٣) جامعة محمد خيضر، بسكره،الجزائر.

[2]- أبو موسى، **البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية**، ص ٤٠٧، بتصرف.

[3]- الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل ووجوه التأويل** ،ج ١،ص٤٥٧.

[4]- ظاهرة صوتية تخدم الدرس الصوتي البلاغي" وهي تتابع من الأصوات الكلامية له حد أعلى أو قمة إسماع طبيعية تقع بين حدين أدنيين من الإسماع". وعرفه إبراهيم أنيس بأنه" عبارة عن حركة قصيرة أو طويلة مكتنفة بصوت أو أكثر من الأصوات الساكنة". للتوسع انظر على سبيل المثال: أنيس، إبراهيم(١٩٥٢م) **موسيقى الشعر**، ط٢، ص١٤٧،مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة. عمر، احمد مختار، **دراسة الصوت اللغوي**،ص٢٤.

[5]- عبد الجليل،عبد القادر(١٩٨٨)**هندسة المقاطع الصوتية**،ط١،ص٤٩-٥٠، دار الصفاء للنشر والتوزيع،عمان.

والظلم الذي اقترفوه ﴿ٱلْحَيَوٰةِ، صِرٌّ، مَثَلُ، أَنفُسَهُمْ﴾ فأغلب الأصوات التي تواترت في آية المثل السابق وتتحدث عن الحركة والحياة وسرعة الريح أصوات مهموسة، كصوت الثاء﴿ مَثَلُ﴾و صوت التاء﴿أَصَابَتْ﴾،و الحاء﴿ٱلْحَيَوٰةِ ﴾﴿حَرْثَ﴾، وصوت الهاء﴿فَأَهْلَكَتْهُ ﴾،﴿هَٰذِهِ﴾، وصوت السين ﴿أَنفُسَهُمْ﴾المتكررة وهي من الحروف الصفيرية، التي تحمل ملمح قوة التوصيل، وصوت الصاد﴿ صِرٌّ﴾ ليتناسب كل ذلك مع وصف حال الكافرين، وصورة هلاكهم التي رسمها لنا المثل القرآني، وفيه أيضاً تمازج لبؤس حالهم وصورة بطلان ما يفعلون" **ففيها مشبه : وهو ما ينفقه الكفار من أموال وصدقات وهبات في هذه الحياة الدنيا لمحاربة الله ورسوله والدين الحنيف.ومشبه به : وهي صورة الزرع الذي أهلكته الريح الباردة وهذا الزرع لقوم ظلموا أنفسهم فعاقبهم الله تعالى بسبب ذلك بإهلاك ذلك الزرع. ويتمثل وجه الشبه المشترك : في الهيئة الحاصلة من خيبة الأمل والحسرة في نفس كل منهم على ما بذله من جُهد ومشقة كان يظن أنه سينال ثمرتها فيما بعد**[1]**"**.

وطبيعة صوت (التاء) أنّه مهموس وانفجاري ، يقول عنه العلايلي" **إنه للاضطراب في الطبيعة الملامس لها**[2]**"**وعندما يتأمل المتلقي في صوت (التاء) في آية المثل القرآني السابق وقد بلغ تواتره (١٣) مرة، ويرى المتأمل لآية المثل القرآني السابق أنه على الرغم" **مما أسند إلى هذا الحرف من الشدة والانفجار وما وصف بالقرع بقوة، فإن صوته المتماسك المرن يوحي بملمس بين الطراوة والليونة**[3]**"** وكأن جرس هذا الصوت يرسم للمتلقي، حال الدنيا بزخرفتها وزينتها وطيب عيشها ﴿هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فصوت (التاء) يوحي فعلاً بإحساس لمسي ، فقد استطاع الإنسان بأحاسيسه ومشاعره الإنسانية، اتجاه هذه الحياة الفانية، أن يتفق مع قول العلايلي في اختصاص هذا الصوت المهموس.

---

[1]- السعدي، **تفسير الكريم المنان في آيات الرحمن**، ص١٤٤ (بتصرف).
[2]- العلايلي، **تهذيب المقدمة اللغوية**، ص١٢٣.
[3]- عباس، **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، ص٥٥.

وجاء صوت (التاء) المهموس في لفظة أخرى من مفردات آية المثل القرآني السابق، بمعنى الجفاف والشدة ﴿أَصَابَتْ﴾فجرس الصوت هنا رسم لنا مشهد الجفاف لهبوب تلك الريح المدمرة التي جاءت على الكافرين.

وعادت الأصوات المهموسة في قوله:﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾تشكل بتكرار أصواتها وهمسها تأكيداً للموقف وما يمكن أن يتخلله من صعوبات متوقعة من تلك الريح" **وقد صار من الحقائق الواضحة في فقه اللغة وعلوم العربية أن هناك نسبة كبيرة من الحروف يرتبط صوتها بما تؤديه من معنى ارتباطاً وثيقاً**[1]"وهذا الموقف الذي رسمه لنا صوت (التاء) تظهر فيه الصعوبة واليأس، لمن وقع عليهم ذلك العذاب من الكافرين المنكرين لفضل الله تعالى.

وقد استطاع صوت(الثاء) وهو صوت مهموس رخو، أن يصف المشهد للمتلقي على أكمل وجه في آية المثل القرآني﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ﴾،﴿حَرْثَ قَوْمٍ﴾يقول عنه العلايلي:" **إنها للتعلق بالشيء حسياً ومعنوياً**[2]"

ولعل من جماليات التعبير الأدبي قدرة الأصوات الانفجارية وتأثيرها النفسي على المعنى المراد في آية المثل القرآني على تصوير المشهد بالكامل للمتلقي، فقد ساهمت الأصوات الانفجارية بشكل كبير، في تقريب المشهد التصويري لذهن المتلقي للدخول إلى جو الآية، وكان لصوت (الهمزة) في آية المثل السابق ظهور متميز في تقريب المعنى لأذن المتلقي ﴿أَصَابَتْ﴾فتتابع وتكرار الصوت المهموز الذي هو أقوى الأصوات الانفجارية وأعمقها قد أعطى لآية المثل القرآني، تنغيماً وإيقاعا موسيقياً. وتأتي الأصوات الانفجارية في آية المثل القرآني السابق، داعمة للتصوير الفني والتنغيم الصوتي، حيث تظهر عمقاً لا ينكر معها ذلك الأثر لتلك الأصوات.

الأصوات الانفجارية التي وردت في آية المثل القرآني		
الصوت	**المفردة القرآنية**	**عدد ورودها**

[1]- لاشين،عبد الفتاح(١٩٨٣م) **من أسرار التعبير في القرآن (صفاء الكلمة)**، ط١، ص٤٥، مطابع سحر،الرياض.
[2]- العلايلي، **تهذيب المقدمة اللغوية**، ص٥٩.

الهمزة	أَصَابَتْ، أَنفُسَهُمْ، فَأَهْلَكَتْهُ	**٣ مرات**
الباء	أَصَابَتْ	**مرة واحدة**
التاء	ٱلْحَيَوٰةِ، أَصَابَتْ، فَأَهْلَكَتْهُ	**٣مرات**
الدال	ٱلدُّنْيَا	**مرتين**
القاف	يُنفِقُونَ،قَوْمٍ	**مرتين**
الكاف	كَمَثَلِ، فَأَهْلَكَتْهُ	**مرتين**
المجموع		**١٣ مرة**

لقد جاء الخطاب الإلهي في آية المثل السابق، موحياً بالتنبيه لمصير الكفار المؤلم وحالهم ، فدلالة صوت الهمزة الانفجاري فيه، تتجلى صوتياً في استمرارية التنبيه والعذاب الذي لحق بهم، فقد ساهم بتنغيمه الصوتي وإيقاع جرسه في إيقاظ المتلقي، ولفت الأذهان بما تمنح من وقت زمني للتأمل والتفكير بذلك المصير.

لقد رسمت آية المثل السابق لوحة جمالية بتنظيمها، وتجويدها ونبرها، فقد بدأت بنغمة متوسطة﴿فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ﴾ بخط أفقي مع الجملة الخبرية﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾حتى تصل لقوله تعالى:﴿أَصَابَتْ ﴾يلمس المتلقي صعود النغمة حتى تصل بحواسه وأحاسيسه إلى قوله: (فأهلكته) التي فيها ملمح التحدي والتعريض، صعدت النغمة لتنسجم مع هذا المعنى بقوة التحدي للكفار.

وجاءت النبرة العالية في آية المثل السابق، تتلاءم مع الإنذار والوعيد لهم، وتعود النبرة إلى الاستقرار بالخط الأفقي مع نفي الظلم عن رب الأرض والسموات﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ وأنهم هم من ظلم نفسه وأوردها الموارد، كانت تلك اللوحة الغنائية التي خطتها (صوامت وصوائت) تلك الآية، في غاية الدقة والجمال التعبيري في عرضها المشهد، بحركاته وخطواته، والجمال في أداء الصورة الفنية وتأثيرها في مشاعر وأحاسيس المتلقي. وقد عد بعض العلماء[1] هذه اللوحة من التشبيه المركب، مفسراً ذلك بوقوع" **التشبيه بين شيئين وشيئين وذكر أحد المشبهين وترك ذكر الآخر ثم ذكر أحد**

[1]- ابن عطية قرأت بالتاء (تنفقون) للتوسع انظر:أبو حيان، **تفسير البحر المحيط** ، ج٣، ص٤٠.

الشيئين المشبه بهما وهو الريح، وليس الذي يوازن المذكور الأول(مثل ما ينفقون) وترك ذكر الآخر، ودلّ المذكوران على المتروكين[1]"وكأنها لوحة تعبيرية في غاية الإعجاز والبلاغة في آية المثل القرآني.

وتأتي آية المثل السابق بصورة المشهد هنا لرسم ضياع أعمال الكافرين وهلاكهم وعدم جدواها- وهي صورة متخيلة في عقل وذهن المتلقي بتجريده - وهذه الصورة المجردة أقرب ما تكون إلى صورة (زرع) ظنّ أصحابه الفائدة منه، فأتت عليه ريح باردة مهلكة﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ﴾،أضاعت ما ظنوا وأحرقت ما تمنوا- وهي صورة حسية متخيلة في عقل المتلقي وذهنه بنطقها- هذه هي المناسبة بين المثل وبين ما سبقه من آيات.

ولو تأملنا أقوال العلماء في تأويل آية المثل السابق، وما تحمله من جماليات تنغيمية، تساهم في إذكاء المعنى المراد من الآية، لوجدنا كما قال بعض الباحثين" **أن (ما) هنا (مثل ما ينفقون) موصولة والعائد محذوف والتقدير (ينفقونه) والظاهر أن تشبيه ما ينفقونه بالريح ولكن المقصود تشبيهه بالحرث**[2]" كذلك يجوز أن يكون على"**حذف مضاف من الأول وتقديره:(مثل مهلك ما ينفقون) أو من الثاني تقديره (كمثل مهلك ريح) وقيل :(يجوز أن يراد مثل إهلاك ما ينفقون كمثل مُهلك ريح وهو الحرث)** [3] "وقيل إن المقصود **"مثل ما ينفقون في كونه مُبطلا لما أتوا به قبل ذلك من أعمال البر كمثل ريح فيها صر في كونها مبطلة للحرث؛ لأن إنفاقهم في إيذاء الرسول من أعظم أنواع الكفر ومن أشدها تأثيرا في إبطال آثار أعمال البر**[4]".

وللعوامل الصوتية في آية المثل السابق، دلالات وإيحاءات نفسية، فهي توحي لذهن المتلقي بطريقة الأداء في مفرداتها وإيقاع أجراسها " **إذ شبه الإنفاق بالريح وظاهر قوله (ينفقون أنه من نفقة المال)** [5]" فهذا التصوير الذي رسمته آية المثل، يوحي بجلل الفعل لتلك الريح التي أكلت كل شيء يخلو من الإخلاص لله رب العالمين، وبجلل فعل الكافرين المشين " **متعلّق الإنفاق هو**

---

[1]- أبو حيان، **تفسير البحر المحيط** ، ج٣،ص٤٠.
[2]- أبو حيان، **تفسير البحر المحيط** ،ج٣، ص٣٧ (بتصرف)، وأبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القران الكريم**،ج ٢، ص٧٥.
[3]- الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ج ١، ص٤٥٧.
[4]- الرازي، فخر الدين(١٩٨١م) **مفاتيح الغيب(التفسير الكبير)**، ط١،ج ٨، ص١٩٤، دار الفكر، بيروت.
[5]- أبو حيان، **تفسيرالبحر المحيط**،ج٣،ص٣٧ .

(أعمالهم من الكفر ونحوه) هي كالريح التي فيها صر أبطلت أعمالهم وكل ما لهم من صلة رحم وتحنث بعنق كما يبطل الريح الزرع)[1]" .

وكان للإفراد في آية المثل القرآني السابق، نصيب من المساهمة في التنغيم الصوتي والأثر الواضح فيه، وهي ظاهرة أسلوبية تستدعي الوقوف عندها، والمتأمل فيها يرى أنها تجلل نص المثل القرآني، وتكشف من خلال الانسجام بين مفرداتها بيان بعض اللطائف البلاغية في آية المثل القرآني.

ومن أثرها الصوتي على آية المثل التحقير من شأن الكافرين وأعمالهم، فلفظ(ريح) بعثت جوانب من الصورة في دلالتها وتعددها ودقتها التي رسمتها الآية ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ﴾ الريح في اللغة على الأغلب فيها العذاب، أما هنا فإن الريح خرجت عن أصلها في اللغة وعن الكثرة الغالبة في الاستعمال إلى معنى آخر، فيه الألم والحسرة والخراب والدمار، الذي يتحقق من حركة تلك الريح، التي تهب عليهم من صوب واتجاه فلا يستطيعون معها جمعا لثمرهم ولا لحصادهم.

وللأصوات الاحتكاكية في آية المثل السابق وافر الحظ والنصيب، لو تأملنا الجدول المدرج والمتضمن الأصوات الاحتكاكية، نرى أنه يشير للنظام الحرفي في آية المثل، حاملاً (٢٧) صوتاً احتكاكياً. فقد جاء المشهد التصويري لهذا المثل القرآني، بتنغيم صوتي ونسق داخلي يموج فيه ملمح الاحتكاك كصوت(الثاء، الحاء، الذال، السين، الفاء، الهاء) كما في قوله:(كمثل، الحياة، هذه، أنفسهم، ينفقون، الله) وتكرار صوت (الفاء) الاحتكاكي في آية المثل القرآني السابق، كما في قوله تعالى:﴿يُنفِقُونَ﴾،﴿أَنفُسَهُمْ﴾﴿فَأَهْلَكَتْهُ﴾ فجرس صوت(الفاء) بهمسه واحتكاكه استطاع أن يصور ذلك الهلاك الذي حل بالقوم الكافرين.

الأصوات الاحتكاكية التي وردت في آية المثل القرآني		
الصوت	**المفردة القرآنية**	**عدد ورودها**
الثاء	مَثَلُ،كَمَثَلِ،حَرْثَ	**٣ مرات**

[1]- المصدر السابق والصفحة نفسها .

الحاء	ٱلْحَيَوٰةِ،رِيحٍ،حَرْثَ	**٣ مرات**
الذال	هَٰذِهِ	**مرة واحدة**
السين	أَنفُسَهُمْ،أَنفُسَهُمْ	**مرتين**
الصاد	صِرٌّ، أَصَابَتْ	**مرتين**
الظاء	ظَلَمُوٓاْ،وَمَاظَلَمَهُمُ،	**مرتين**
الفاء	يُنفِقُونَ،فِيهَا،أَنفُسَهُمْ،فَأَهْلَكَتْهُ، أَنفُسَهُمْ	**٥ مرات**
الهاء	هَٰذِهِ،فِيهَا،أَنفُسَهُمْ،فَأَهْلَكَتْهُ،ظَلَمَهُمُ،ٱللَّهُ،أَنفُسَهُمْ،	**٩ مرات**
المجموع		**٢٧ مرة**

ومن صور التنغيم الصوتي والتعبير الجمالي في آية المثل السابق، حضور صوت (الحاء) واحتواؤه على أكثر من لفظة لعبت دوراً بارزاً فيه، لقد كان لصوت الحاء في لفظة الريح وتعدد وقعها على حال الكفار صورة تشعر المتلقي بالتوسع مما يحدث في آية المثل عنصر المفاجأة من خلال ورود لفظها مفرداً، " ولقد تجاوزت بعتوها الحد في الهبوب والبرودة، واستمرت هذه الريح متتابعةً حتى أحالت القوم جيفاً متآكلةً كأنهم أصول نخل خاوية"[1] . وكذلك الريح التي ضربها الله سبحانه وتعالى في آية المثل القرآني السابق.

ويشكل التنغيم الصوتي وما فيه من علاقات صوتية داخلية ﴿رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾، تحمل لنا مفردات آية المثل القرآني السابق، دقة التعبير والتصوير الداخلي، حيث مساهمة الحركة أو الحرف في المفردة القرآنية، وما له من حضور في تشكيل القيمة المعنوية للتركيب، ويلمس المتلقي نبرة التحدي في قوله:﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾وقوله تعالى:﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا﴾وأنها جمل جاءت للإخبار عن شيء ما وأنها تسير على نغمة متوسطة تفيد الإخبار، ثم يكتشف المتلقي أن النبرة تختلف

[1]- عبد العال،محمد قطب(٢٠١٠)الجمال التصويري بين اللفظ والمعنى،مجلة الداعي،العدد١-٢،سنة(٣٥)، دارالعلوم، ديوبند .

وتبدأ بالصعود عند الوصول إلى المفردة القرآنية ﴿صِرٌّ﴾ التي فيها ملمح التحدي والتعريض بالكافرين.

وبذلك يظهر لذهن المتلقي أثر التأكيد على قوة الشراكة ووثاقة الصلة بين الصوت أو الحرف المنغوم من جهة، والدلالة المعنوية للتركيب الذي يتحمل الصوت أو الحرف المنغوم في التعبير القرآني من جهة أخرى، وللمفردة في خدمة التنغيم الصوتي في آلية اللفظ سواء كانت النغمة هابطة أو متوسطة أو صاعدة بحسب سياق الآية في المثل القرآني، أثر خاص يتعدى الحركة والحرف إلى المساهمة في بناء القيم التعبيرية والصوتية في المثل القرآني كله، فمجيء لفظة الريح ساعدت في رسم مشهد حي لمصرع الجاحدين كأنه حاضر شاخص، وكانت السيادة في هذا المشهد للريح العاصفة المزمجرة التي أتت على كل شيء ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ﴾ لقد دخلت عناصر الطبيعة في حركتها وأشكالها في رسم صورة حية في التصوير في آية المثل القرآني، وشاركت في إبراز جوانب خفية وفاعلة في تكوين الحدث، وكانت هي السائدة في المشهد المصور للآية **" التشبيه في القرآن ليس هو مقياس البلاغة، لأن البلاغة القرآنية العالية كما تكون في حال التشبيه والاستعارة والمجاز تكون أيضا في الكلام الخالي من كل هذا**[1]**"** وجاءت الريح على تأكيد معنى النقمة والتخويف والعذاب كما أشارت على ذلك في آية المثل القرآني السابق، واستطاعت أن تصبغ على المشهد المرسوم لوناً من ألوان الحيوية والحركة**" إنه مشهد حي، ماثل للقلب، ماثل للعين، ماثل للخيال**[2]**"**

ويتأكد ذلك في موقع آخر للريح في كتاب الله تعالى:﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ ﴾[3]، فالريح العاصفة شديدة البرودة والهبوب تحمل العذاب لقوم عاد في يوم مشؤوم دائم الشؤم فلم يبق أحد إلا هلك، و**"جرس اللفظ في الآية الكريمة يصور نوع الريح في عنفهم وبرودتهم الشديد**[4]**"**. والريح التي أرسلت على الأقوام السابقة هي من جند الله، وهي قوة من قوى هذا الكون تسير وفق الناموس الكوني، يسلطها الله على من يشاء وفق أداء كوني يتلاءم مع المشيئة الإلهية.

---

[1]- أبو زهرة(١٤٣٠) محمد بن احمد،**المعجزة الكبرى القرآن**، ط١، ص٢٦٠، دار الفكر العربي، بيروت.
[2]- قطب، **في ظلال القران الكريم**، ج٣،ص٣٨.
[3]- سورة (القمر: ١٩-٢٠).
[4]- قطب، **التصوير الفني في القرآن**،ج٣، ص٧٦.

وفن التشبيه في آية المثل القرآني السابق تصور العذاب الرباني تصويرًا مشهودًا وكان لحضور لفظة﴿رِيحٍ﴾في الآية الأداة الفاعلة لجمال هذا التصوير، حيث ببرودتها وقوتها استطاعت انتزاعهم من مساكنهم كما تنزع جذور النخل من باطن الأرض، فأحدثت هذه الصورة الفنية للتشبيه العنف لقوة وهول تلك الريح" **هذا بريق التشبيه المرعد الذي يصور ما ينزل بالمشركين الذين طغوا في البلاد وأكثروا فيها الفساد**"[1].

وأينما وردت لفظة (الريح) في نص المثل القرآني، وما تحتويه من أصوات في سياقها التشبيهي ترسم صورة لتلك العلاقةً الحميمةً بين المعقول المعنوي وبين المحسوس المشاهد ﴿أَصَابَتْ﴾، ويصبح لتلك المفردة القرآنية في آية المثل دور فاعل في إبراز هذا المعنى الديني المقصود﴿حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ﴾ويلاحظ المتلقي أن مفردات آية المثل، لا تتخلى عن دلالتها المقصودة ﴿أَصَابَتْ، فَأَهْلَكَتْهُ ،حَرْثَ﴾ وهو الإهلاك والعذاب والتدمير، وإبادة كل ما نما لغير الله تعالى، وتأتي لغة التصوير التنغيمي في قوله تعالى:﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ﴾لترسم للمتلقي صورة الريح وهي تحمل بين طياتها الدمار والهلاك للحرث والزرع والضرع حتى تحيله إلى هباء.

ويلاحظ أن لغة التصوير(في لفظة الريح) المعتمد على الحقيقة والواقع هي لغة حسية، ولها قدرة خاصة على التصوير" **وذلك لأن هذه اللغة هي اللغة الأولى والتي كانت سبيل الإنسان إلى العلم الأول الذي أتى النفس من طريق الحواس، وكأننا حين نخاطب النفس بهذه اللغة إنما نرجعها إلى طفولتها الأولى، وهذا بلا ريب أفعل وأكثر إثارة وتهيجاً**[2]**"** ثم تساهم تلك المفردة القرآنية بحركتها العاصفة الباردة الشديدة في إبراز المعنى المراد، وهو أن العمل المبذول - وإن ظنه

---

[1]- قطب، **التصوير الفني في القرآن**،ج٣، ص٤٨.

[2]- أبو موسى، محمد عبد الباري(١٩٩١) **دراسة في البلاغة والشعر،ط١**،ص٩٧،مكتبة وهبه،القاهرة.

الكافرون خيرًا-لا يؤتى ثمره مالم يكن نابعًا من الإيمان وموصولاً به " **واللفظة ذاتها كأنها مقذوف يلقى بعنف فيصور معناه بجرسه النفاذ**[1]".

يصور لنا المثل القرآني السابق هذا المعنى تصويرًا حسيًّا جميلاً يثير مدارك الخيال؛ لنقف على حالة الضياع والتلاشي بفعل الريح العاصفة وهي تذر الرماد وتذهب به وتغيرت دلالة (الريح) في سورة الأحزاب﴿إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾[2]،حيث كانت نعمةً على المسلمين، ونقمةً على الكافرين..." **وهي في مجال النقمة لا تزال تحمل المعنى الأصلي للتخويف وبث الهول والدمار**[3]".

أما لفظة ﴿صِرٌّ﴾ بكسر الصاد- وقد أعطى الصوت قوة - من غير تكرار لمادة ﴿صِرٌّ﴾؛ وذلك لأن آية المثل القرآني تتحدث عن إهلاك مسعى الكافرين وما يبذلون من أموال في سبيل تحقيقه **"هذا المعنى يتطلب الشدة وبيان قوة أثر الفعل في الدمار والإهلاك بقوة حركة الريح"**[4] وقد وردت في النص القرآني، على أكثر من وجه﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾[5]،وقوله:﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾[6] ، وقوله:﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾، جاءت مفردة الريح هنا بجرس أصواتها ونبرة تنغيمها بثلاث صيغ مرفوعة، ومجرورة، ومنصوبة " **فالصاد في وقعها الصارخ، والراء المضعّفة، قد أضفتا صيغة الشدة، وجسّدتا صورة الرهبة، فلا الدفء بمستنزل، ولا الوقاية متيسرة، وذلك ما يهدد كيان الإنسان عند التماسه الملجأ فلا يجده، أو النجاة فلا يصل شاطئها، أو الوقاية من البرد القارس فلا يهتدي لها**"[7].

ويلاحظ المتلقي أن الإيقاع في آية المثل السابق وخصوصاً في لفظ ﴿صِرٌّ﴾قد تحرر من كل قيد يقيد المعنى أو يحد من نظامه التنغيمي، مما أدى إلى حرية التعبير، فنرى في لفظة﴿صِرٌّ﴾ذائقة

١- الصغير، **الصوت اللغوي في القرآن**، ص ١٨٨.
٢- سورة (الأحزاب:٩).
٣- قطب، في ظلال القرآن الكريم،ج٣،ص٤٨.
٤- المرجع نفسه، ج٣، ص٧٦.
٥- سورة (الحاقة:٦).
٦- سورة (القمر:١٩).
٧- الصغير، الصوت **اللغوي في القرآن**، ص١٨٨.

الشتاء القاسي، وأصوات الرياح العاتية، وعبر عن هذه الحرية الراغب الأصفهاني **" ترجع إلى الشدة لما في البرودة من التعقد "**[1].

ويلمس المتأمل ذلك الحس الصوتي لتلك المفردة﴿صِرٌّ﴾ في صوائتها وصوامتها، فتعطينا دلالة خاصة مواكبة لسياق الحدث" **وامتلاك آفاق رحبة من التآلف والتلازم والانسجام إنه إيقاع لغوي متفرد لا يماثله إيقاع أو يقترب منه،إنه إيقاع جماعي- إن صح التعبير- فيه الحرف الصوتي بدوره، والكلمة في نسقها بدورها** [2]"جاء الصوت في آية المثل القرآني لـ ﴿صِرٌّ﴾تارة في الشدة، وأخرى في صوت الريح، ومثلها في أشد الصياح، وتارة في التصويت من العطش، فالتركيز هنا موحٍ لذهن المتلقي بحركة وشدة الريح التي أصابت القوم ودوامها ليلاً ونهاراً، ومن التنغيم الصوتي للفظة﴿صِرٌّ﴾ أنه جاءت محاكيةً لصوت النار التي في الريح؛ وهي تحمل دلالة القوة والشدة، وترسم صورة متخيلة لصوت اصطدام شيء قاس.

إن جرس إيقاع لفظة﴿صِرٌّ﴾ في آية المثل القرآني تتضح فيه الشدة في تلون الأساليب وتنوعها، وفي قوة الكلمة وقوة الحروف، واستخدام أحرف شديدة، توحي**" بالشدة والقوة والفعالية**[3]**"** البرودة الموجودة في الريح، وفي موضع آيات العذاب ومشهد نزع تلك الريح لكل شيء، يُلاحظ إيحاء الجرس الموسيقي في أداء المعنى، وإبداعه في تصوير ذلك الحدث الكلامي، ومن صور ذلك الجرس الشديد الذي يحكي صورة العذاب بفعل تلك الريح الباردة في قوله تعالى:﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾، وجرس لفظة﴿صِرٌّ﴾ينسجم مع ورود لفظة (رِيحٍريح) ليرسم ويساهم في واقع الحدث لأن **"صوت (الصاد) هنا جاء فيه انفعال نفسي، وهو من الأصوات المطبقة المستعلية، ذات الجرس الفخم الشديد، وبهذا تعني اللفظة هنا الريح الشديدة البرد والتي يصحبها صيحة أو**

---

[1]- الأصفهاني،الراغب،**المفردات في غريب القرآن**، ص١٤٤.

[2]- عبد العال، محمد قطب(٢٠٠٦)**من جماليات التصوير في القرآن الكريم**، ط٢، ص٢٣٣،مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

[3]- عباس، **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، ص١٤٤.

صوت مزعج[1]" وإذا كان هذا هو معنى اللفظة اللغوي، فإن للفظة معنى تحمله بين طياتها فيه من الإيحاء بمعناها المذكور بكل دقة وتعبير، فجاءت منسجمة ومناسبة لسياق الآية . ولقد" **أُفردت كلمة (ريح) هنا لاختصاصها بالعذاب**[2]" كما جاء في قوله تعالى: ﴿رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾[3].

ولأثر مستوى التركيب في النظام النحوي أبعاده العميقة في آية المثل القرآني، حيث يلعب دوراً وقيمة جمالية من خلال تتبعها بصفتها ظاهرةً أسلوبية في مواضع آيات الأمثال القرآنية" **فللإعراب وظيفة صوتية وأخرى دلالية جمالية**[4]" وجاءت لفظة﴿صِرٌّ﴾ في آية المثل القرآني، مرفوعة على أنها فاعل بالمجرور قبله، فقد اعتمد بكونه وقع صفة للريح أو صوت لهب النار أو صوت الريح الشديدة، فظاهر كون ذلك في الريح وإن كان الصر صفة للريح كالصرّصر فالمعنى " **فيها(قوة صر) كما تقول: برد بارد. وقامت الصّفة مقام الموصوف بعد حذفه**"[5]،أما جملة ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ﴾ نرى فيها انزياحاً للتنغيم الصوتي، فاختلاف النبر عند النطق بها ودوره في تغير المعنى فالتنغيم اشتمل على أعلى مستوياته فيها، علت نبرته، وزاد انفعاله و" **أخذ التأثر والتأثير في البيئة الصوتية، يلعب دورا لإحداث التوازن والانسجام الموسيقي**[6]"، فهي موضع صفة للريح، وجاء اللفظ محاكيا الصوت ومنسجما مع المعنى المواكب للأحداث التي رسمتها آية المثل فهو " **يصور مدلوله بجرسه وظله جميعا، التي يراد التعبير عنها، وجملة (ظلموا أنفسهم) في موضع جر صفة لقوم**"[7].

---

[1]- قطب، **التصوير الفني في القرآن**،ص ٧٦.
[2]- الأصفهاني،الراغب، **المفردات في غريب القران** ،" روح" ويقابلها لفظ الرياح بالجمع وهي التي تستعمل في موضع الرحمة قال تعالى :" ومن يرسل الرياح بشرا" .
[3]- سورة(القمر: ٢٠).
[4]- حاطوم، أحمد(١٩٨٤) **الإعراب محاولة جديدة لإكتناه الظاهرة**،ط١، ص٨٤، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت.
[5]- أبو حيان، **تفسير البحر المحيط** ،ج٣،ص٣٧ (بتصرف).
[6]- قطب، **التصوير الفني في القرآن**، ص٧٦.
[7]- أبو حيان، **تفسير البحر المحيط**،ج ٣،ص٣٧ (بتصرف).

وتأمل شدة الإيقاع وقوته، من خلال الهلاك الذي أصابهم، وقد قيل إن الإهلاك عن" **سُخط أشد وأبلغ من غيره**[1]" وجاء قرع صوت الفاء في قوله:﴿فَأَهْلَكَتْهُ﴾ لبيان النتيجة المترتبة على ما تقدم من إصابة الحرث وأوحى جرس الألفاظ ووقعها ملمح الهول العظيم الذي حدث نتيجة هبوب الريح:" **كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته**" ولعل ذلك الإيحاء يبرز من " **خلال صوت (ف) فيها وهذا الصوت دال على الخروج والانفصال**[2]" وتكرر في هذه الآية خمس مرات، كما أن" **بعثرة النفس عند النطق بهذا الصوت تحاكي الأحداث المنطوية على التشتت، من غير شدة أو عنف**[3]".

ويظهر أثر التنغيم الصوتي في مفردات آية المثل القرآني السابق ﴿أَصَابَتْ،رِيحٍ،صِرٌّ،حَرْثَ﴾ فكل مفردة في آية المثل تلازمها مفردة أخرى رفيقة لها توحي بذلك الهول الشديد، وتلك الأصوات المتتابعة في هذا الجو العاصف المحرق، ويلمس المتلقي العلاقة التي تربط تلك المفردات، والتناسق بين أجراسها، وما يكاد السياق يشارف على نهاية الآية حتى يهيئ السمع من جديد لتلقي إيقاع الشدة والعنف مرة أخرى على توقع وترقب بدءاً من نهاية الآية حتى يتتابع الأداء التنغيمي.

وهناك علاقات قائمة بين المفردة والتي تليها، فمنها المتممة لمعنى آية المثل التي اشتملت عليه، أو مجملة لمعنى مؤكد له، فما هوالذي﴿أَصَابَتْ﴾القوم الذين كفروا بآيات الله﴿رِيحٍ﴾وما صفة تلك الريح ﴿صِرٌّ﴾وماذا فعلت ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ﴾هذا ما يختص بالمعنى، أما من حيث وقعها السمعي الناشئ من طبيعة اللفظ، فهي ذات ملامح صوتية لافته﴿فَأَهْلَكَتْهُ ،كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾، لتحقق توازناً وتوافقاً صوتياً يمثل جانباً من جوانب الجمال الصوتي يمتع النفس الإنسانية، فرعاية مفردات آية المثل القرآني هنا " **لون من الجمال الموسيقي المؤثر وهو مما يقصد إليه النظم الكريم أخذاً بالآذان**

---

[1]- الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل ووجوه التأويل** ،ج ١،ص٤٥٧ (بتصرف).

[2]- ابن الناظم،أبو عبد الله بدر الدين(٢٠٠٠) **شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك**، تحقيق:محمد باسل السود،ط١، ص٥٢٣، دار الكتب العلمية، بيروت.

[3]- ابن عاشور،**التحرير والتنوير**، ج١،ص٤٣٣-٤٣٤.

والقلوب[1]"وينتهي المشهد بإيقاعه التنغيمي عند قوله: ﴿فَأَهْلَكَتْهُ﴾إذ توحي هذه الجملة للمتلقي بتناغم حروفها وإيقاعها ونسقها، بالنهاية الأليمة والنتيجة السيئة إثر تلك العاصفة الشديدة المحرقة.

ويجد المتلقي الانسجام والجمال في الأسلوب، من خلال ذلك البناء التنغيمي الدلالي مع حركة الإيقاع داخل آية المثل السابق، للكشف عن جماليات ذلك التنغيم وأثره الفني والنفسي وهو يعرض مشهد الخزي والإذلال الذي أصاب الكافرين، والدلالة القوية المنبعثة من ﴿فَأَهْلَكَتْهُ﴾إذ رسمت صورة حركية دمجت بين صورتين، ثم جاء قوله تعالى:﴿وَمَاظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾"و**(ما) هنا نافية بلا خلاف،أما الضمير في قوله ﴿ظَلَمَهُمُ﴾ قيل عائد على المنافقين والمعنى(وما ظلمهم الله بعدم قبوله نفقاتهم ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث لم يأتوا بها على الوجه المطلوب أو المقبول) أو عائد على أصحاب الحرث الذين ظلموا أنفسهم والمعنى (وما ظلمهم الله بإهلاك حرثهم ولكن ظلموا أنفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة**[2]"، وقيل الضمير في ﴿ظَلَمَهُمُ﴾ للكفار الذين تقدم ضميرهم في ﴿ينفقون﴾ وليس هو للقوم ذوي الحرث لأنهم لم يذكروا ليرد عليهم ولا لتبيين ظلمهم، أما في قراءة من" **قرأ ﴿ولكن أنفسهم يظلمون﴾ بالتشديد تكون ﴿أنفسهم﴾اسمها والجملة ﴿يظلمون﴾ خبرها والمعنى ﴿يظلمونها هم﴾** [3]" هذا وقد قُدم المفعول به لرعاية الفاصلة في قوله تعالى:﴿ولكن أنفسهم يظلمون﴾ وليس للتخصيص " **إذ الكلام في الفعل باعتبار تعلّقه بالفاعل لا بالمفعول أي ما ظلمهم الله ولكن ظلموا أنفسهم وقد جاء الفعل في قوله(يظلمون) على صيغة المضارع ليدل على دوام ذلك العمل مع تجدده واستمراره**[4]".وعلل البعض أن أصل الكلام في الآية (مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل حرث قوم ظلموا أنفسهم فأصابته ريح فيها صر فأهلكته) **"وبسبب الانزياح في**

---

[1]- الخضري، محمد الأمين**(١٩٨٩) من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم**،ط١، ص٢٣٢،مكتبة وهبي، القاهرة.
[2]- الزمخشري،**الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل** ،ج١،ص٤٥٧- ٤٥٨ (بتصرف).
[3]- أبو حيان، تفسير**البحر المحيط** ،ج ٣،ص٣٨ (بتصرف).
[4]- ابن عاشور،**التحرير والتنوير**،ج٣،ص٧٥ (بتصرف).

نسق النظم في المثل المذكور، ولفائدة جليلة وهي تقديم ما هو أهم"[1]، وهذا يعني أن الريح قد تقدمت في السياق لنكته بلاغية وهي أنها مثل العذاب، وجاءت للتهديد والوعيد، فكان تقديمها أهم وأبلغ في السياق من تقديم الحرث، واعتمد في ذلك على الأفهام الصحيحة لتعيد الكلام إلى أصله .

ولا تقف آية المثل السابق عند جمال التنغيم الصوتي الظاهر للمتلقي فحسب، وإنما يجمع إليه حسن التركيب في مفرداته القرآنية ورفعة المعنى المراد من تلك المفردات، وهي ترسم دقة التصوير لذلك المشهد التي توحيه الآية، ويسعى لتجسيد لطف التعبير عما في النفس الإنسانية، يقول نعيم اليافي:" **نحن نعرف أن الحروف كالنغمات الموسيقية لا قيمة لها إلا إذا انتظمت في كلمات أو أقدار، انتظمت في تراكيب لتؤلف لحناً قوامه - في اللغة وفي الموسيقى- أصوات ذات نسب ودرجات ومخارج وأبعاد تناسب ما في النفس الإنسانية من مشاعر وأحاسيس، ...** [2]". وهكذا استطاعت الأصوات أن تُسهم في التنغيم الصوتي في آية المثل القرآني، ويلمس المتلقي ذلك الإيقاع من خلال جرس أصواتها وتراكيبها وإدغامها ومدودها، ويوضح الجدول المرفق نسبة الأصوات في آية المثل ومدى تأثيرها .

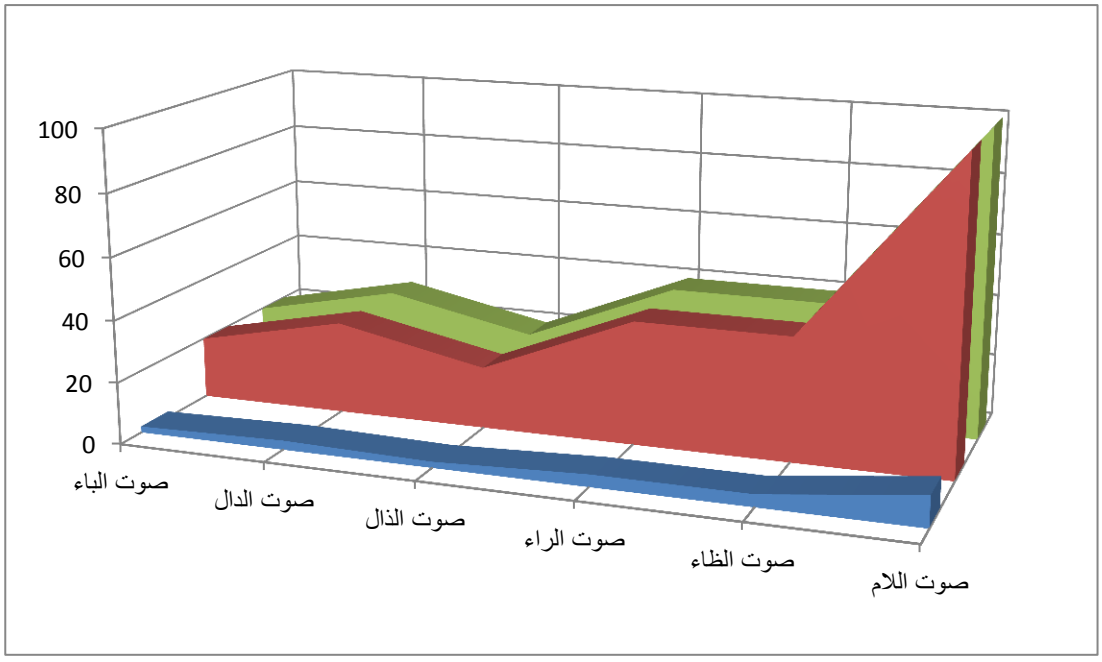

جدول توضيحي لنسبة الأصوات في آية النموذج الأول

[1] - حاشية السيد الشريف علي بن محمد زين الدين الجرجاني على الكشاف،ج ١،ص٤٥٨ (بتصرف).
[2] - لافي، نعيم(١٩٨٥م) **حروف القرآن: دراسة دلالية في علمي الأصوات والنغمات،العدد(١٠٢)**،ص١٠٤،مجلة الفيصل،الرياض.

النموذج الثاني:

قريب من هذا الأداء التصويري الجميل لفن التشبيه، تلك الصورة التشبيهيه الحيّة التي تنصهر فيها كلّ الأنسجة والخيوط والأفكار الّتي قام عليها البناء اللّغويّ لسورة النور، وحملت بين طياتها صوراً متعددة تناولها القزويني[1] بالاهتمام وهي قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾[2].

مناسبة آية المثل القرآني:

تلفت آية المثل القرآني السابقة، بجرسها الإيقاعي، انتباه المتلقي، إلى أن هناك صلة وثيقة بين الجرس الصوتي والتأثيرات الشعورية والوجدانية التي تصاحب التناغم الصوتي، إن سورة النور سورة مدنية، عدد آياتها (٦٤) آية، وقبل عرض المشهد الذي ترسمه لنا الآية في السورة كانت الآيات السابقة لهذا المثل تتحدث بإعلان قوي حاسم عن تقرير هذه السورة. بكل ما فيها من حدود وتكاليف وآداب وأخلاق ﴿سُورَةٌ أَنزَلۡنَٰهَا وَفَرَضۡنَٰهَا وَأَنزَلۡنَا فِيهَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ﴾[3]، كان هذا **" البدء الفريد على مدى اهتمام القرآن بالعنصر الأخلاقي في الحياة؛ ومدى عمق هذا العنصر وأصالته في العقيدة الإسلامية، وفي فكرة الإسلام عن الحياة الإنسانية**[4]**"**وتدور سورة النور حول محاور عدة رسمتها السورة للمتلقي في طياتها وتنغيم آياتها سواء على سبيل التربية ووسائلها في تقويم سلوك الأمة و بيان الحدود الإلهية، وذلك عبر مخاطبتها لقلب المؤمن الواثق بنور الله وآياته الموجودة في نواميس الكون وثنايا الحياة تارة، وتارة أخرى بمخاطبة وجدان ذلك الإنسان المرهف وضميره، **"وتتداخل الآداب النفسية الفردية، وآداب البيت والأسرة، وآداب الجماعة والقيادة بوصفها نابعة كلها من**

---

[1]- القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**، ص٢١٨.
[2]- سورة (النور: ٣٥) .
[3]- سورة (النور:١).
[4]- قطب، **في ظلال القرآن**،ج٦،(ص٤٥).

معين واحد هو العقيدة في الله، متصلة كلها بنور واحد هو نور الله.[1]"وتنتظم معالم السورة عبر وحداتها الفنية، لترسم للمتلقي بتنغيمها الصوتي و جرسها الإيقاعي جسور بناء تمر عبر خمس مراحل تسلكها الأمة الإسلامية في بناء كيانها وقوانينها وأنظمتها الداخلية:

المرحلة الأولى: مرحلة البدء:

وفي هذه المرحلة رسمت السورة للمتلقي عبر تراكيب آياتها وتنغيم أصواتها، المنهج الرباني للأمة المحمدية وذلك ببيان حاسم قوي ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا ﴾وتبع ذلك بيان رباني آخر يشرح موقفه من جريمة بشعة يندى لها الجبين وترفضها الفطرة الإنسانية وهي جريمة الزنا، وأنها ليست من صفات تلك الأمة ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ﴾، ثم جاء تصريح رباني آخر يبين فيه للجماعة المسلمة، حد قذف المحصنات وبيان خطورتها إذا فتكت بالمجتمع المسلم؛ ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ باستثناء الأزواج من هذا الحد، مع تقدير المولى بذلك بالتفريق بينهم بالملاعنة﴿وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ ﴾ورسمت السورة بصفحاتها المشرقة بنور الله ما حدث لأم المؤمنين عائشة في حادثة الإفك﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ﴾وتنتهي **" هذه المرحلة بتقرير مشاكلة الخبيثين للخبيثات، ومشاكلة الطيبين للطيبات. وبالعلاقة التي تربط بين هؤلاء وهؤلاء**[2]**"** ﴿ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَۚ﴾[3] .

المرحلة الثانية:

تصورها سورة النور بمفرداتها وأحكامها الشرعية، بمشهد يسود فيه السكينة والمحبة وهو يرسم للأمة قواعد الدولة ومرتكزاتها، وهي مرحلة التغيير ببيان الطرق الواقية من وقوع الفرد والمجتمع في الجريمة، ووضعت السورة عدة وسائل تجنب النفس البشرية الوقوع في شباك وخطوات الشيطان والإغراء والغواية. فبدأت بتلك الوسائل التي ستكون درعاً منيعاً للأمة، مبتدئة بآداب البيوت

---

[1]- قطب، **في ظلال القرآن**،ج٦،(ص٤٥).
[2]- المرجع نفسه.
[3]- سورة (النور:٢٦).

والاستئذان على أهلها﴿لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ﴾، وجاءت الأوامر الإلهية في آيات تلك السورة الفاضلة موجهة للفرد المسلم بـ غض البصر﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ﴾والنهي عن إبداء الزينة للمحارم﴿وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ...﴾، وتبع ذلك النهي الحض على الزواج﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡ﴾، ثم رسمت الآيات شدة التحذير الإلهي في دفع الفتيات المسلمات على البغاء ﴿وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ﴾وجاءت كل هذه الوسائل وقائية لضمان طهر تلك الأمة المسلمة والحفاظ على هويتها ورسم صورة من التعفف في عالم الإنسانية، وتقيد الجماعة المسلمة بتلك الأوامر والابتعاد عن النواهي، وتبعدها عن كل **" المؤثرات التي تهيج الميول الحيوانية، وترهق أعصاب المتحرجين المتطهرين، وهم يقاومون عوامل الإغراء والغواية**[1]**"**.

المرحلة الثالثة:

وهي مرحلة البناء الداخلي للمجتمع المسلم، فقد تضمنت آيات تلك السورة العظيمة مجموعة آداب تربطها بالإشراق الرباني المنبعث من نور الله وضربت مثالاً للطهر والسكينة، وهي بيوت الله التي لا يعمرها إلا الذي وقر الإيمان في قلبه وبان ذلك النور الرباني على جوارحه،﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾[2].

وفي لوحة جمالية مغايرة يصف لنا حال الذين كفروا ولم يستقر الإيمان في قلوبهم ولم يتذوقوا طعم السعادة الإلهية بأن أعمالهم كسراب من اللمعان الكاذب؛ أو كصورة تلك الظلمات بعضها فوق بعض ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً﴾[3]،﴿أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ..

---

[1]- قطب، **في ظلال القرآن**،ج٦،ص٤٥.

[2]- سورة (النور:٣٦).

[3]- سورة (النور:٣٩).

ظُلُمَٰتٌۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ﴾[1]، ثم تكشف الآيات عن أسرار نور الله في الكون والمخلوقات وكيفية تسبيحها لخالقها ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ﴾[2] وتكشف الآيات عن" **فيوض نور الله في تسبيح الخلائق كلها لله، وفي إزجاء السحاب. وفي تقليب الليل والنهار وفي خلق كل دابة من ماء، ثم اختلاف أشكالها ووظائفها وأنواعها وأجناسها، مما هو معروض في صفحة الكون للبصائر والأبصار**[3] ".

المرحلة الرابعة:

وهي مرحلة البناء الخارجي لذلك المجتمع وتلك الأمة الربانية، تحدثت السورة و بينت آياتها ذلك الجفاء في تعامل المنافقين مع نبي الرحمة في مجتمع المدينة فرسمت لذلك المجتمع الآداب الواجبة مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم- في طاعته وتطبيق سنته والتحاكم إليه﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ ،﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ﴾. وصورت السورة في المقابل صورة أدب الفئة التي استقر نور الله فيها وظهر ذلك بطاعتهم لربهم ورسوله، وأنه بسبب هذا الانصياع سيجعل الله لهم نصيباً في الاستخلاف على هذه الأرض ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾وتمكين تلك الفئة المؤمنة، ونصرها على الفئة الكافرة ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ﴾.

---

[1]- سورة (النور:٤٠).
[2]- سورة (النور:٤٣).
[3]- قطب، **في ظلال القرآن**،ج٦،ص٤٥.

المرحلة الخامسة:

تؤكد مقومات تلك الأمة وطرق تطويرها وتفوقها على باقي الأمم السابقة وذلك بالالتزام بـ آداب الاستئذان والدخول إلى البيوت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ وآلية استقبال الضيوف في محيط بيوت الصحابة مع الأقارب والأصدقاء ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ ... وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَن تَأۡكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنِكُمۡ﴾ لقد رسمت السورة للمتلقي حياة الجماعة المسلمة، وكيفية أدائها للآداب وكأنها أسرة واحدة متماسكة يقودها رئيس واحد وهو المربي والمعلم ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ لَّمۡ يَذۡهَبُواْ حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُ﴾[1].

أثر التشبيه في آية المثل القرآني السابق:

ساهم فن التشبيه هنا في تحريك نفس المتلقي، وعمل على توضيح معنى آية المثل القرآني،بعد نقله إلى العيان حياً وفي ذلك يقول عبد القاهر الجرجاني" **إن أنس النفوس موقوف على تخرجها من خفي إلى جلي وتأتيها بصريح بعد مكني** [2]"ومن ذلك يتضح للمتلقي أن فن التشبيه، لديه قدرة دلالية كبيرة لإخراج المعاني من الخفي إلى الجلي مع اقتران الجانب المعنوي بالجانب الحسي، إذ إن العلاقة بين المشبه والمشبه به تجعل المعنى الدلالي عرضة للتنويع المستمر وذلك لاشتراك السياق في هذه العلاقة التآزرية.

ولو تأملنا نظم التعبير في آية المثل القرآني السابق وأساليبه، نجد أن التركيب فيها منسجمٌ مع الأداء التنغيمي، فالتشبيه يمتلك قدرة تصويرية كبيرة لتمثيل المعاني المعقولة محسوسة فلفظة ﴿نُورُ﴾، ﴿نُورِهِۦ﴾، ﴿يُوقَدُ﴾، ﴿يُضِيٓءُ﴾، ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖ﴾، ﴿لِنُورِهِۦ﴾، شكلت تلك الألفاظ بصوامتها وصوائتها نسيجاً متماسكاً ومتكاملاً، وهذا الانسجام الداخلي بين مفردات آية المثل القرآني، لفظاً وسياقاً لا لموضوع التشبيه وتعبيراته ودلالاته وإنما **"بديع التعبير والرصف وجمال النسق والمنزلة**

---

[1]- سورة (النور:٤٦).

[2]- الجرجاني،عبد القاهر،**أسرار البلاغة**، ص١٠٨-١٠٩.

العليا فيها[1]**"**، وجعلت لفن التشبيه وبلاغته مساهمة واضحة في بناء الصورة الفنية فيه ، وقد أشار الخطيب القزويني إلى قيمة هذا النوع من التصوير بقوله:**" ومن الدليل على أن للإحساس من التحريك للنفس، وتمكين المعنى ما ليس لغيره** [2]**"**.

وعند قراءة المتلقي للمثل القرآني السابق، وتكرار لفظة**"النور**[3]**"** ودلالاتها﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾، يعلم أن هذا التكرار لتلك اللفظة ما جاء عبثاً، وإنما تكمن فيه قمة الإعجاز، وتعد هذه الآية من أغرب الآيات في كتاب الله، إذ جعل الله تعالى نور الوحي مع نور العقل﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖ﴾ ، ولا يمكن لأحد أن يبصر بأحد النورين دون الآخر، كإنسان قد فقد بصره، وجيء به أمام أشعة الشمس الملتهبة، فإنه لا يستطيع أن يبصر؛ لأنه فقد النور الداخلي، وكذلك الأمر لو جيء بإنسان مبصر، ووضع في كهف موحش مظلم ليس فيه شعاع نور، يستحيل أن يبصر ذلك الإنسان مع وجود النور الداخلي(البصيرة) لكن النور الخارجي غير موجود، فاحتاج المبصر إلى نور داخلي ونور خارجي، و**" كذلك الإنسان يحتاج إلى نور العقل- وهو داخل فيه - ونور الوحي، ولذلك قال سبحانه** ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖ﴾، فالعاقل مهما بلغ من الفكر والعبقرية ولم يهتد بالوحي الإلهي، فإنه لا يمكن أن يهتدي؛ لأنه يحتاج إلى وحي الرسل، والنور الإلهي، ولو كان مجنوناً وجيء بالوحي فلا يمكن أن يقبل، ولا يمكن أن يفقه، ولا يمكن أن يعلم، ولا يمكن أن يهتدي؛ لأنه يحتاج إلى النورين. والله سبحانه وتعالى جعل الزيت نوراً، وجعله مما يُستصبح به ويستضاء، فقال تعالى: ﴿زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ﴾[4]**"**، هو سبحانه الذي يسبح في نوره كل كائن، ويسبح بحمده كل جامدٍ وعاقل، ويستقي من نوره كل مخلوق بشكل متواصل، فلو انقطع لزال الوجود، ولكي يُجسد صورة وصول ذلك النور إلى كل شيء نراه، ولا يجعل المتلقي**" يذهب بخياله القاصر لرسم صورة النور**[5]**"**. جاءت الآيات اللاحقة توضح

---

[1]- الباقلاني، **إعجاز القرآن**، ص٣٧٣،٣٥٣،٣٤٤.

[2]- القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**، ج٢، ص٣٢٣.

[3]- يرد " النور " في القرآن العظيم مفرداً دائماً،أما " الظلام " فيأتي في القرآن العظيم دائماً بصيغة الجمع، وقد تكون الحكمة من إفراد " النور " وجمع " الظلمات " هي أن النور مستمد من نور الله، الذي هو صفة من صفاته سبحانه وتعالى.انظر: النورسي، بديع الزمان(٢٠١٤م) رسائل النور،ط١،ج٤،ص١٢٥، شركةrnk،اسطنبول، تركيا .

[4]- الشنقيطي، محمد محمد مختار(٢٠٠٦) **زاد المستقنع**، ط١،ج٩، ص١٤٥، دار الكتب العلمية،المدينة المنورة.

[5]- قطب، **التصوير الفني في القرآن**، ص٥٠.

ذلـــــك﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖ﴾. ومثّل ارتباط الدلالة بالتشبيه أثراً واضحاً في تجليات المعنى المقصود وإزاحة الغموض بوصفه عنصراً أساسياً في بناء الصورة الجمالية، والمتأمل لآية المثل السابق، الذي طفح فيه النور والضياء، وقد استطاع ملأ قلب المؤمن نور الإيمان، الذي خلقه فن التشبيه بأدائه التنغيمي، وجرسه الإيقاعي وتلوينه الصوتي، يرى أن الأصوات المجهورة التي بلغ عدد تواترها في آية المثل القرآني السابق(٨٨) صوتاً، وقد ساهمت بشكل كبير في رسم تلك الصورة كما هو مبين في الجدول، الذي يوضح ذلك التأثير والمساهمة لتلك الأصوات، وجاءت الأصوات المهموسة التي بلغ عدد تواترها (٣٤) صوتاً مؤثرة، أما الأصوات الانفجارية التي بلغ عددها (٣٩) صوتاً، وكان لها الدور البارز في آية المثل، وكذلك الأصوات الاحتكاكية التي تواترت في آية المثل القرآني(٢٤) صوتاً، كما في الجدول رقم (٤) الآتي:

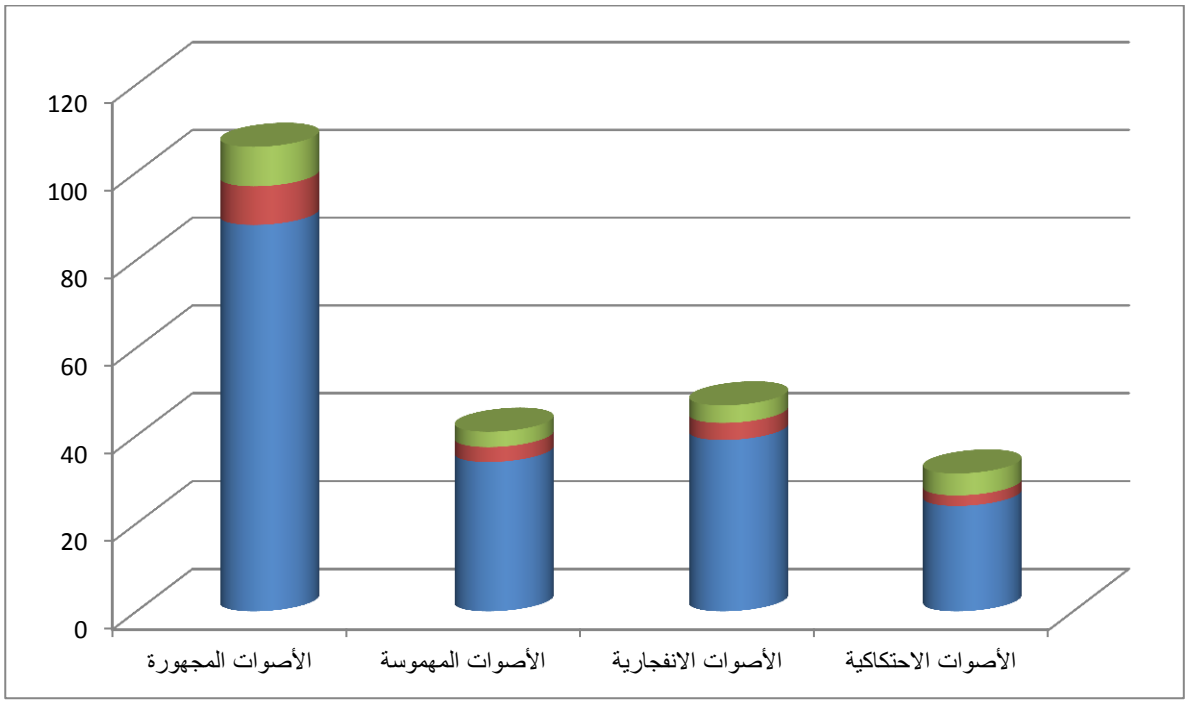

جدول توضيحي لنسبة تواتر الأصوات في آية المثل القرآني السابق ... رقم (٤)

لقد رسمت الأصوات المجهورة في آية المثل السابق، لذهن المتلقي لوحة جمالية في نسقها ومدها وتنغيمها وإدغامها، واستطاعت أن تجسد جمال تلك الصورة، الموحية المعبرة، وهذا ما بهر العرب بهذا الفن لأنه انسجم مع فلسفتهم الجمالية، **" لقد كانوا- عموما- مفتونين بالتشبيه يفضلونه على الاستعارة، حتى لقد كثروا مسائله وألوانه فلم يكتفوا بعدّ ما فيه أداة فقط على أنه تشبيه،بل عدوا الخالي منها تشبيهاً أيضاً**[1] **"**.

الأصوات المجهورة التي وردت في آية المثل القرآني		
الصوت	المفردة القرآنية	عدد ورودها
الباء	مِصۡبَاحٌ، ٱلۡمِصۡبَاحُ، كَوۡكَبٌ، مُّبَٰرَكَةٍ، غَرۡبِيَّةٍ، وَيَضۡرِبُ، بِكُلِّ	**٧ مرات**
الجيم	زُجَاجَةٍ، ٱلزُّجَاجَةُ، شَجَرَةٍ	**٥ مرات**
الدال	دُرِّيٌّ، يُوقَدُ، يَكَادُ، يَهۡدِي	**٤ مرات**
الراء	نُورٌ، وَيَضۡرِبُ، لِنُورِهِۦ، نُورٍ، نُورٍ، غَرۡبِيَّةٍ، مُّبَٰرَكَةٍ، شَرۡقِيَّةٍ، شَجَرَةٍ،	**١٣ مرة**
الزاي	زُجَاجَةٌ، ٱلزُّجَاجَةُ	**٣ مرات**
الضاد	وَٱلۡأَرۡضِ، يُضِيٓءُ، وَيَضۡرِبُ	**٣ مرات**
العين	عَلَىٰ، عَلِيمٌ	**مرتين**
الغين	غَرۡبِيَّةٍ	**مرة واحدة**
اللام	عَلِيمٌ ٱللَّهُ، بِكُلِّ، لِلنَّاسِ، ٱلۡأَمۡثَالَ، ٱللَّهُ، لِنُورِهِۦ، عَلَىٰ، ٱللَّهُ، لَمۡ، وَلَوۡ، وَلَا غَرۡبِيَّةٍ، لَّا شَرۡقِيَّةٍ، ٱلزُّجَاجَةُ، ٱلۡمِصۡبَاحُ، مَثَلُ، وَٱلۡأَرۡضِ، ٱلسَّمَٰوَٰتِ	**٢٩ مره**
الميم	عَلِيمٌ، مَن، تَمۡسَسۡهُ، لَمۡ، ٱلۡأَمۡثَالَ، مُّبَٰرَكَةٍ، مَن، كَمِشۡكَوٰةٍ، ٱلسَّمَٰوَٰتِ، مَثَلُ، مِصۡبَاحٌ، ٱلۡمِصۡبَاحُ	**١٢ مرة**
النون	لِلنَّاسِ، لِنُورِهِۦ، نُورٍ، كَأَنَّهَا، نُورٌ، نُورِهِۦ	**٩ مرات**
المجموع		**٨٨ مرة**

[1]- الرباعي، **الصورة الفنية في النقد الشعري"دراسة في النظرية والتطبيق"**،ص٥٠.

تلك اللوحة الجمالية التي رسمتها لنا آية المثل القرآني السابق في نسق آياتها، وجمال مفرداتها، وتنغيم تراكيبها ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾، وقوة مفرداتها، ﴿كَمِشۡكَوٰةٖ﴾، ﴿مِصۡبَاحٌ﴾،﴿يُوقَدُ﴾ ﴿زُجَاجَةٖ﴾،﴿يُضِيٓءُ﴾،﴿نُّورٍ﴾،وطريقة نظمها لرسم صورة التشبيه التي تضم كل وحدات المثل القرآني البعيدة والقريبة عن دائرة الضوء، في تجاذب الصورتين، صورة الضوء والعتمة **" وتكشف عن المعنى الأعمق للحياة والوجود**[1]".

ويلمس المتلقي ذلك بصوت (الباء) والأثر الذي أسدله على آية المثل، فقد استطاع بجرسه الإيقاعي الهادئ، وتنغيمه الجميل الدافئ، وإيحاء شحناته الإيمانية الليلية عبر مصباحه ﴿فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ﴾، أن يرسم لذهن المتلقي مشهد ذلك النور المنبعث من المصباح ﴿كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ﴾، لم تخلق الصورة في آية المثل السابق معنى جديداً وليس القصد منها ذلك إذ **" إن الصورة لن تغير من طبيعة المعنى في ذاته إنها لا تغير إلا من طريقة عرضه وكيفية تقديمه**[2]**"** ويلاحظ المتلقي لآيات الأمثال أن للصورة الفنية في المثل مساحة كبيرة، فهي تشكل بواسطة الصورة التي ترسمها أسلوباً متميزاً في التعبير عن المضمون وتستطيع تحويل التعبير في داخله من التقرير إلى التصوير فقد رسم لنا المثل السابق صورة تنغيمية، تكسوها الروعة والجمال في وصف هذا المصباح**" الذي استطاع بنوره المستمد من نور الله تعالى أن يبدد ظلمة الليل، وتمزيق دجى الكفر والنفاق والإلحاد**[3]**"**.ومثله جدير أن يبدد ظلام الشك، وقد حققت جمالية هذه الصورة للمتلقي كشف الترابط بين عناصرها لتظهر لفظة(النور) بأعلى قيمها (مشكاة ، زجاجة، مصباح، زيت) ومستوى كشف الدلالة الموضوعية للمقصود من الصورة مستمداً من دلالتها الرمزية على قلب المؤمن.

---

[1]- الرباعي، **في تشكل الخطاب النقدي**(مقاربات نقدية معاصرة)، (ص١٦٤).

[2]-عصفور،جابر(١٩٩٢م) **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي**، ط٣،ص ٣٢٣،المركز الثقافي العربي، القاهرة.

[3]- المرجع السابق والصفحة نفسها.

وقد ساهم ملمح التفخيم في لفظة (مصباح) كذلك بما فيه من دلالات الوضوح والبيان في التجليات الإلهية والتحدي بأن يأتوا بمثل ذلك النور لمن أضله الله (يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ) يرى المتلقي أن أثر صوت(الباء) وما جاء من قبله صوت الصاد المفخم هو الأكثر انسجاماً مع سياق التعظيم لصفة ذلك المصباح المضروب لنور الله تعالى، الذي بدأت به آية المثل القرآني السابق ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٖ﴾ في أسلوب التأكيد والتعبير بالصوت المفخم(مِصۡبَاحٌ)(ٱلۡمِصۡبَاحُ) يوحي للمتلقي بتلك القوة لطمس تلك العتمة ويشعر السامع بوقعها، فطبيعة الصراع بين الحق والباطل، تحتاج إلى قوة وعزيمة ووضوح، ويبرز ذلك التصوير الصوتي جرس الألفاظ وتعاقب الأصوات وطبيعة المخارج التي تشكل جانباً إنسانياً عاماً لدى جميع البشر، بحيث لو ركز المتلقي فيما يسمع من أصوات في آية المثل السابق، لشكل لديه تصوراً واضحاً يوحي إلى المعنى المراد من المثل" **وذلك أن الشبه(التصوير) ينصرف إلى المفهوم (المعنى) من الحروف والأصوات ومدلول الألفاظ وهو الذي ينور القلب**[1]"وذلك يعمل على توضيح المعنى المراد.

وفي تنغيم صوت(الدال، الراء، الزاي) كما في قوله تعالى:﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ وقوله:﴿دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا ﴾وقوله:﴿وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾قد ورد تواتر تلك الأصوات في آية المثل السابق (٢٠ مرة)، وكان في إيقاعها الداخلي ورسم حروفها الخارجي تنغيم صوتي، ما يوحي للمتلقي بجمالية الأداء في مفردات الآية وأن لكل دال مدلول. لقد استطاعت مفردات آية المثل السابق بتآلفها، العمل على تفريغ الطاقات الانفعالية ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ﴾، والشحنات الدلالية التي اكتسبتها للمفردة القرآنية في آية المثل وذلك من خلال استعمالها في مواضع غير مألوفة، مما شكّل انزياحاً عن أصل الوضع الطبيعي بأن يكون لكل" **دال مدلول واحد في أصل الوضع**" وجاءت الأصوات هنا بالإنذار والوعيد لمن يتجرّأ على المساس بنور الله في السموات والأرض وفي المخلوقات والكائنات، وكذلك

[1]- الجرجاني،عبد القاهر،**أسرار البلاغة**،ص٦١.

بصفة التحدي أن يأتوا بمثل ذلك النور؛ لأن هذه الأصوات المجهورة ذات وقع قوي ومؤثر يكشف للمتلقي أبعاد المعنى المراد في آية المثل السابق وفي قوله تعالى:﴿فِي زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ﴾،﴿كَوۡكَبٌ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ﴾،﴿مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا﴾، لقد رسم صوت (الزاي) في لفظة (الزجاجة) واحدة الزجاج وهي اسم جمع للجنس لوحة جمالية مفعمة بالخيال فكان صوت(الزاي) الذي يعبر عنه أقرب شيء للتعبير عن صفة الزجاجة وصفاء جدارها وتصوير ذلك بكل وضوح لذهن المتلقي واستطاع صوت(الزاي) من خلال تعريف الزجاجة ﴿فِي زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ﴾، في بداية الحديث والوصف في آية المثل القرآني أن **" يجبه السامع بالضخامة... وبذا يشترك نظم الجملة وجرس اللفظة في تصوير المعنى**[1]**"** وتكرار الأصوات ذات طبيعة متقاربة في صفة الجهر فتلازم معاني متقاربة ومترابطة كما في آية المثل السابق ، ويرى المتلقي التتابع الصوتي لأصوات الجهر، فصوت الزاي﴿زُجَاجَةٍ،ٱلزُّجَاجَةُ﴾، وصوت الدال﴿ دُرِّيّٞ﴾وهو اسم منسوب إلى الدر، الجوهر المعروف للشدة ضيائه ولمعانه، ولفظة﴿يُوقَدُ، يَكَادُ، يَهۡدِي﴾، ويأتي الصوت المجهور المفخم يتبعه المجهور المرقق،(نُورٍ – نُورِهِۦ)، و(نُورٍ ، يَهۡدِي ، دُرِّيّٞ)، مع هذا التتابع الصوتي الرابط بين المقدمات (نُورُ- دُرِّيّٞ- يَهۡدِي) والنتائج التي تظهر المصير الموحش والمؤلم الذي يزداد سواداً وضبابية، لمن لم يرزقه الله سبحانه وتعالى معرفة الوصول إليه وإلى نوره الممتد، فمثل الذي رزقه الله معرفته وقذف فيقلبه نور الهداية، بنور المصباح المضيء دون شمس، مع أن نور الشمس أوضح وأتم ولكن المقصود نور مضاعف قد تناصر واشترك مع المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت، حتى يقوى النور ويزيد إشراقاً وإضاءة، وقد أبدع الكرخي في تحديد التشبيه في آية المثل القرآني فقد مثّل **" النور في القلب، والقلب في الصدور، والصدر في البدن، بالمصباح والمصباح في الزجاجة، والزجاجة في القنديل**[2]**"**.

---

[1]- قطب، **في ظلال القرآن**،ج٤، ص٢٢٦.
[2]- النورسي، بديع الزمان، **رسائل النور**،ج٤ ،ص١٢٣.

ويلاحظ المتلقي الانتظام الصوتي الذي يشكل أجمل أشكال الإيقاع داخل آية المثل، له فاعلية وتأثير، فإذا ما ارتبط بالمعنى المراد من الآية كان أقدر على إبرازه، والتأثير به. وفي أصوات (الدال والذال والراء) المجهوره تتابع في الاستعمال في آية المثل القرآني،﴿زُجَاجَةٌ،ٱلزُّجَاجَةُ لِنُورِهِۦ، نُورٍ، غَرْبِيَّةٍ، مُّبَـٰرَكَةٍ ،شَرْقِيَّةٍ، شَجَرَةٍ، دُرِّيٌّ، نُورِهِۦ﴾، فالنسق الصوتي المتكون من تتابع هذه الأصوات في آية المثل السابق ذات الملمح الصعب في النطق فهي تدخل في عمليات إدغام كثيرة وتغير في المخرج في بعض الأوقات؛ ولكن كانت الخاتمة في نهاية الحادثة في لفظة(يَهْدِى) أسهل لفظاً على من كتب الله تعالى له معرفة حقيقة نور الله، وهلاك وضياع على الكافرين الذين انقطعت بهم السبل، ولم يُكتب لهم التوفيق في معرفة حقيقة ذلك النور.

ومن آثار التنغيم الصوتي في آية المثل القرآني تواتر حروف الهمس فيه، فأصوات الهمس جاءت مساهمة في تشكيل عنصر التوسع في وصف ذلك المصباح ونوعية الزيت الذي يذكيها وحال من لامس الإيمان قلبه واستطاع أن يتعرف على خالقه من خلال مخلوقاته ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾

الأصوات المهموسة التي وردت في آية المثل القرآني		
الصوت	**المفردة القرآنية**	**عدد ورودها**
التاء	ٱلسَّمَٰوَٰتِ، كَمِشْكَوٰةٍ،زُجَاجَةٍ،ٱلزُّجَاجَةُ، شَجَرَةٍ ،مُّبَـٰرَكَةٍ، زَيْتُونَةٍ، شَرْقِيَّةٍ ،غَرْبِيَّةٍ، زَيْتُهَا، تَمْسَسْهُ	**١٢ مرة**
الثاء	مَثَلُ، ٱلْأَمْثَلَ	**مرتين**
الحاء	مِصْبَاحٌ،ٱلْمِصْبَاحُ	**مرتين**
السين	ٱلسَّمَٰوَٰتِ، تَمْسَسْهُ ،لِلنَّاسِ	**٥ مرات**
الهاء	ٱللَّهُ ،نُورِهِۦ،فِيهَا، كَأَنَّهَا ،زَيْتُهَا،تَمْسَسْهُ،يَهْدِى ،ٱللَّهُ،لِنُورِهِۦ،ٱللَّهُ، وَٱللَّهُ،	**١١ مرة**
الصاد	مِصْبَاحٌ،ٱلْمِصْبَاحُ	**مرتين**
المجموع		**٣٤ مرة**

فأغلب الأصوات التي تواترت في آية المثل وتتحدث عن النور والحياة وحقيقة الإيمان والمعرفة الإلهية، أصوات مهموسة، كصوت الثاء﴿ مَثَلُ،ٱلْأَمْثَلَ﴾،وصوت التاء﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ، كَمِشْكَوٰةٍ، زُجَاجَةٍ،ٱلزُّجَاجَةُ،... ﴾، ليتناسب كل ذلك مع وصف حال وصورة ذلك النور الإلهي .

استطاعت حروف الهمس في آية المثل السابق والتي بلغ عدد تواترها(٣٤) صوتاً، أن ترسم بتنغيم أصواتها وإيقاع صوامتها وصوائتها صورة مفعمة بالجمال الكوني المنبعث من نور الله تعالى وجاء صوت(التاء) وهو صوت مهموس وانفجاري شديد، ويعطي دلالة الاضطراب في الطبيعة الملامس لها بشدة، وعلى الرغم مما أسند إليه من الشدة والانفجار والقوة والتمكين إلا أن**" صوته المتماسك المرن يوحي بملمس بين الطراوة والليونة**[1]**"**وكأن جرس هذا الصوت بنعومته وليونته يرسم للمتلقي، حال الزيت الذي يوضع في الزجاجة حتى تضيء ذلك النور فملمس الزيت يدل على الليونة والنعومة ﴿دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا ﴾، فصوت (التاء) يوحي فعلاً بإحساس لمسي مزيج من الطراوة والليونة، ومن شدة ليونة الزيت لتلك الشجرة ذات الورق الناعم فإنه يضيء بلمعانه الكون﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾فقد استطاع بملمسه ورطوبة زيته ونعومة أوراقه وصفاء زجاجه، أن يتفق هذا الصوت المهموس مع المعنى المراد. وجاء صوت (التاء) المهموس في لفظة أخرى من مفردات آية المثل القرآني السابق بمعنى الفضاء والأجرام العلوية والسفلية،﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، فجرس الصوت هنا رسم لنا مشهد انتشار ذلك النور في كل مخلوقات الله.

وقد استطاع صوت(التاء) رسم لوحة تنغيمية جمالية مليئة بالتشبيه ومفعمة بدقة التصوير لتحدي نور الله وقدرته في خلقة لمنكري الربوبية والألوهية والجاحدين بآياته، فجاءت مفردات آية المثل القرآني حاضرة لبيان ذلك الإعجاز وقوة التحدي لهم فجاءت صورة (المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت)؛ لتكشف لذهن المتلقي أكثر من سر من أسرارها الفنية والدينية والتربوية والعقدية التي لا تنتهي، وقد يلمس المتلقي في المفردات المستخدمة، إطلالات صوتية تشكل في سياقها مرتكزات لافتة تدعو المتلقي أو الدارس الأدبي للتأمل، فيكون الصوت المفرد مساعداً ومكملاً لمعالم صورة **" تارة**

[1]- عباس، **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، ص٥٥.

بجرسه الذي يلقيه في الأذن وتارة بظله الذي يلقيه في الخيال،وتارة بالجرس والظل معاً[1]"ومن ذلك قوله:﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ ﴾في الآية تصوير لحالة النور الذي استقر في قلب المؤمن المحب لخالقه، وهو على يقين مما يلقيه في هذا الطريق من صعاب؛ لأنه مقبل على جنة عالية،ولكن الدقة العجيبة في الوصف واللغة في مراعاة الحال يتجلى كل ذلك في هذا السياق البسيط في تراكيبه العميقة في دلالاته فهي تدخل المتلقي في جو من الانتباه والتيقظ لما سيأتي، فما صفات المصباح والزجاجة كأنها كوكب دري وهذا الكوكب ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ﴾ وقد استطاعت هذه اللوحة الجمالية أن تمكن السامع من استيعابها صورة ورمزاً في آن واحد؛ لأنها مزجت في الصورة المرسومة لنا دلالة موضوعية بين موجودات الكون (المعتم) وخصائص(النور)- باعتباره أشرف مستوى في الخلق - وطبيعة الاستجابة النفسية في صورة ترشد للمعرفة المؤدية للإيمان بالواحد الأحد.

ومن التصوير المرتكز على البعد الصوتي ويلمس المتلقي جمال تعبيره الأدبي، الأصوات الانفجارية وتأثيرها النفسي في المعنى المراد في آية المثل السابق، لقد ساهمت الأصوات الانفجارية بشكل ملحوظ بتقريب المشهد التصويري لذهن المتلقي للوصول إلى أعماق أسرار المثل السابق المضروب، وكان لصوت (الهمزة) الذي بلغ عدد تواتره (٦) مرات في الآية ظهور متميز في تقريب المعنى لأذن المتلقي ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا﴾، ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ﴾ ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فالتتابع والتكرار لصوت المهموز الذي هو أقوى الأصوات الانفجارية وأعمقها﴿وَٱلْأَرْضِ، كَأَنَّهَا، ٱلْأَمْثَٰلَ يَشَآءُ، يُضِىٓءُ، شَىْءٍ﴾، قد أعطى لآية المثل، تنغيماً و إيقاعا موسيقياً﴿زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾، فمخرج الهمزة وهي أقرب الأصوات الانفجارية جاءت في آية المثل القرآني للتعبير وإظهار ذلك النور وشدة إضاءته، ارتبط كل هذا التتابع مع حالة الكفار واندهاشهم من اتساع ملكوت الله سبحانه وتعالى: ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾.

---

[1]- سيد قطب(١٩٤٧) **النقد الأدبي أصوله ومناهجه**،ط٨،ص٤٤، دار الفكر العربي،القاهرة.

الأصوات الانفجارية التي وردت في آية المثل القرآني		
الصوت	**المفردة القرآنية**	**عدد ورودها**
الهمزة	وَٱلۡأَرۡضِ، كَأَنَّهَا ٱلۡأَمۡثَلَ ،يَشَآءُ، يُضِيٓءُ، شَيۡءٍ	**٦ مرات**
الباء	مِصۡبَاحٌۖ،ٱلۡمِصۡبَاحُ، كَوۡكَبٌ، مُّبَٰرَكَةٖ ، غَرۡبِيَّةٖ، وَيَضۡرِبُ، بِكُلِّ	**٧ مرات**
التاء	ٱلسَّمَٰوَٰتِ، كَمِشۡكَوٰةٖ،زُجَاجَةٖ،ٱلزُّجَاجَةُ ،شَجَرَةٖ ،مُّبَٰرَكَةٖ، زَيۡتُونَةٖ، شَرۡقِيَّةٖ،غَرۡبِيَّةٖ ،زَيۡتُهَا،تَمۡسَسۡهُ	**١٢ مرة**
الدال	دُرِّيٌّ، يُوقَدُ، يَكَادُ، يَهۡدِي	**٤ مرات**
القاف	يُوقَدُ، شَرۡقِيَّةٖ	**مرتين**
الكاف	كَمِشۡكَوٰةٖ ، كَأَنَّهَا، كَوۡكَبٌ ، مُّبَٰرَكَةٖ ، يَكَادُ ،بِكُلِّ	**٨ مرات**
المجموع		**٣٩ مرة**

وتأتي الأصوات الانفجارية في آية المثل القرآني، داعمة للتصوير الفني والتنغيم الصوتي، حيث تظهر عمقاً لا ينكر معها ذلك الأثر لتلك الأصوات ولطبيعة الأصوات دور في رسم الصورة وتخيل الحالة النفسية المرافقة للحدث.

جاء الخطاب الإلهي في آية المثل، موحياً بتجلي عظمة الخالق الذي سبح له كل ما في السموات والأرض، لقد رسمت الأصوات الانفجارية في آية المثل السابق﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٖۖ ٱلزُّجَاجَةُ﴾ لوحة جمالية بتجويدها ونبرها، فقد بدأت بنغمة متوسطة﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ بخط أفقي ظاهر مع الجملة الخبرية﴿ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٖۖ ٱلزُّجَاجَةُ﴾حتى تصل إلى قوله:﴿ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٌ دُرِّيٌّ﴾، حيث يلمس المتلقي صعود النغمة إلى قوله تعالى:﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾، التي فيها ملمح الجمال والتعلق برب الأرض والسماء وأن الذي لم يرَ ويلمس ذلك الجمال في قلبه لن يصل إلى الطريق الصحيح، صعدت النغمة لتنسجم مع هذا المعنى بقوة التحدي للكفار الذين جحدوا بآيات الله الكونية.

فجاءت النبرة العالية في آية المثل، تتلاءم مع الإنذار والوعيد لهم، وتعود النبرة إلى الاستقرار بالخط الأفقي مع نفي الهداية والوصول لرب الأرض والسموات ﴿يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾،كانت تلك اللوحة الغنائية التي خطتها (صوامت وصوائت) تلك الآية في غاية الدقة والجمال التعبيري في عرضها المشهد، بحركاته وخطواته، والجمال في أداء الصورة الفنية وتأثيرها.

جاءت تلك الأصوات في آية المثل السابق، لترسم جمال تلك الصورة، الموحية المعبرة، تلك اللوحة الجمالية التي رسمتها الآية في نسق آياتها ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾، وقوة مفرداتها، ﴿نُورِهِۦ﴾ ﴿كَمِشۡكَوٰةٖ﴾، ﴿مِصۡبَاحٌ﴾، ﴿يُوقَدُ﴾، ﴿زُجَاجَةٌۖ﴾، ﴿يُضِيٓءُ﴾، وطريقة نظمها لرسم صورة التشبيه التي تضم كل وحدات المثل القرآني البعيدة والقريبة عن دائرة الضوء في تجاذب الصورتين صورة الضوء والعتمة" **وتكشف عن المعنى الأعمق للحياة والوجود**"[1].

ويستشف المتلقي التنغيم الصوتي لهذا المثل السابق، من خلال التراكيب حيث يستعمل القرآن الكريم التراكيب المتعددة في تشكيل الإيقاع، والناظر لآية المثل القرآني هذا، يجد فيه التدرج في طول التركيب، النمو التدريجي الذي يأخذ بالازدياد فتبدأ من التركيب القصير إلى الطويل، وكأنه تصعيد تدريجي لدرجة التنغيم الصوتي، ويتكرر هذا كثيراً في مطالع السور وبصورة أقل في ثناياها حيث يتناسب إلى حد كبير مع تهيئة المتلقي، وتهيئة جهازه التنفسي وجهاز النطق عنده، ومثال ذلك التدرج.

﴿ٱللَّهُ .....

نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ.....

مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌ.....

ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٖۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ.....

مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ

[1]- الرباعي، **في تشكل الخطاب النقدي**(مقاربات نقدية معاصرة)، (ص١٦٤).

وجاءت ألفاظ وصورة الإطار العام لهذا المثل القرآني فيها عمق وإيحاءَ، فالنور المراد به هنا هو النور" **الذي يغمر القلب ويشرق على الضمير فيهدي إلى سواء السبيل، أو لا ترى أن القلب ليس في حاجة إلى أكثر من هذا المصباح يلقي عليه ضوءه فيهتدي إلى الحق. ثم ألا ترى في اختيار التشبيه إيحاء بحالة القلب، لَفَّهُ ظلام الشك فهو متردد خائف قلق، ثم لا يلبث نور اليقين أن يشرق عليه...** [1]".

وقد انتظمت آية المثل القرآني السابق في وحداتها الصوتية، وظهر ذلك واضحاً في حروف الاحتكاك فصوت(الثاء، الحاء، الزاي، السين، الشين، الصاد، العين، الفاء، الهاء، الغين)، وقد بلغ عدد تواترها في آية المثل القرآني،(٢٤) مرة كما في الجدول المرفق.

الأصوات الاحتكاكية التي وردت في آية المثل القرآني		
الصوت	**المفردة القرآنية**	**عدد ورودها**
الثاء	مَثَلُ،ٱلْأَمْثَالَ	**مرتين**
الحاء	مِصْبَاحٌ،ٱلْمِصْبَاحُ	**مرتين**
السين	ٱلسَّمَٰوَٰتِ، تَمْسَسْهُ ،لِلنَّاسِ	**٥ مرات**
الصاد	مِصْبَاحٌ،ٱلْمِصْبَاحُ	**مرتين**
الفاء	فِيهَا، فِي	**مرتين**
الهاء	ٱللَّهُ ،نُورِهِۦ،فِيهَا، كَأَنَّهَا ،زَيْتُهَا،تَمْسَسْهُ،يَهْدِى،ٱللَّهُ،لِنُورِهِۦ،ٱللَّهُ، وَٱللَّهُ،	**١١ مرة**
المجموع		**٢٤ مرة**

استطاعت الأصوات الاحتكاكية ومن خلال لغة التصوير المعتمدة على التشبيه وهي لغة حسية، أن تُجسد المعنى المراد من ضرب المثل" **وذلك لأن هذه اللغة هي اللغة الأولى والتي كانت سبيل الإنسان إلى العلم الأول الذي أتى النفس من طريق الحواس، وكأننا حين نخاطب النفس بهذه اللغة إنما نرجعها إلى طفولتها الأولى، وهذا بلا ريب أفعل وأكثر إثارة وتهيجاً**[2]"وجاء صوت(الثاء) في آية المثل القرآني، وهو صوت مهموس رخو، يصف المشهد للمتلقي على أكمل وجه، ونلمس ذلك في براعة الاستهلال، التي تصدرت هذا المثل القرآني﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، إذ تمثل خلاصة شديدة

[1]- بدوي، **من بلاغة القرآن**، ص١٩٤-١٩٥.
[2]- أبو موسى، **دراسة في البلاغة والشعر**،ص٩٧.

التكثيف للصورة المثلية التي تبعتها مباشرة، وكأنها لوحة جمالية تعبيرية لعنوان يتصدر نصاً، وإذا كان في" **النص وحدة مركزية تنزع إلى تلخيصه بإحكام**[1]" الصورة الفنية التي رسمتها الآية ما هي إلا تلخيص لمشهد روحي تحقق عند هذه العبارة الاستهلالية﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ ومع هذا التلخيص لا نستطيع أن نتجاهل تلك الأبعاد الدلالية والتركيبية التي توفرها للمثل السابق، وقد أعلنت آية المثل هنا، ملكية الله لما في السماوات من كواكب ومجرات وملائكة وما في الأرض والبحار من مخلوقات، وعلم الله تعالى قد بلغ أبعد ما بين ذلك، وما تندرج على ذلك حناياهم، والمآل إليه سبحانه وتعالى، وحسابهم على ما يعلمه من أمرهم، وهو بكل شيء عليم، تختزل طيات المثل القرآني، وما فيه من معانٍ.

فالمتأمل في الأصوات الاحتكاكية، يجد أنها تمتلك الكثير من وسائل التصوير في آية المثل القرآني،﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾،﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌ﴾،إن أغلب ما في الكون، إن لم يكن كله على فطرته التي فطره الله عليها يتسم بالجمال والزينة ما لم يأت بعض البشر فيعبثون بها، فالصورة في آية المثل الناتجة من تفاعل الأصوات الاحتكاكية تقيم علاقات تناسق وتناسب أساسها الإحساس بالجمال بين الإنسان وما يحيط به من مظاهر الكون" **فالقرآن الكريم إذ يقيم هذه العلاقة الجمالية فإنه استكمالا للبناء النفسي والربط الوجودي للإنسان يصحح علاقة الإنسان بذاته جسماً وروحاً ويصحح علاقته بالظواهر الإنسانية والحضارية والكونية**[2]".

وعملت آية المثل القرآني هنا بوحداتها الصوتية، على تفصيله وتقطيعه يظهر ملاءمة الأشكال والنظائر بعضها لبعض﴿كَمِشۡكَوٰةٖ﴾﴿مِصۡبَاحٌ﴾، وتتناسق المعاني بين مفرداتها"**و يتجاوب النظم فيها**[3]"، ومن ذلك التجاوب، الإفصاح عن المسند إليه وهو لفظ الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾بـ ﴿نُورُ﴾،حيث تحقق ذلك التناغم الصوتي، دون أي قاطع يفصل بينهما، وقد أسهم هذا الإسناد وعدم الفصل بينهما في بيان أوضح المعاني وفق عبارة شديدة التكثيف مكونة من لفظتين تشكلان في تناغمهما جملة تامة،وفق لوحة تبين للسامع والمتلقي أنه كلما ضاقت العبارة رحب معناها .

---

[1]- نور الدين، صدوق(١٩٩٤م) **البداية في النص الروائي،ط١**،ص١٨،دار الحوار، سوريا.

[2]- حجازي،محمد (١٩٩٨) **الإحساس بالجمال في ضوء القرآن الكريم**، ط١،ص٦١، دار الوفاء، الإسكندرية.

[3]- الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل ووجوه التأويل** ،ج١،ص١٢٨ (بتصرف).

ومما زاد من تمام المعنى في آية المثل، واكتمال تركيبها ودلالتها،ولا يمكن الاستغناء عنها مجيء (السموات والأرض) بحروفها ونغمها المهموس(صوت التاء وصوت السين) وإيقاعها المتناسق(ا س / سا / م / وا / تِ / ول / أر/ ض)، وهي ترسم للمتلقي تلك الصورة المثلية المكتسبة بالتبعية الدلالية، وقد صورت واقع الحال في السموات والأرض التي يكسوها الظلام والعتمة، غير أن اقترانها بلفظة (نور) أسدل على تلك العتمة الاستنارة بنور الله، وما هي إلا سيميائية موحية بـ(عتمة الكون)، وقد يكون في ذلك إشارة لعدم استخدام لفظة (ضياء) بدلاً من لفظة(نور)، وكأن النور ضوء مكتسب بخلاف الضياء، الذي هو مبعث الضوء، وهذا تقريب حاد واضح وجلي، بين دلالتي (نور الله)، و(عتمة الكون)، في تركيب واحد.

هذه اللوحة الجمالية، لآية المثل تبرر لنا صعوبة استحصال دلالة (العتمة)، كما في قوله تعالى:﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۚ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾[1]. وهذا التقريب أدى إلى شدة سطوع دلالة النور التي أخذت مكاناً واضحاً للمتلقي، وبدت ملامح الاستنارة ليس دلالياً فحسب وإنما تركيباً كذلك، خلاف نظيرتها المضادة وهي العتمة، التي أخذت ركناً مظلماً في المثل، وقد رسمت آية المثل القرآني هنا، صورة معادلة دلالياً، لما تم اختزاله في هذه العبارة، بتوظيف مضاعف لفن التشبيه، من خلال عدم الاكتفاء بالكاف وإنما تعضيد ذلك بعبارة رابطة هي ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾، وقد ساهمت في رفع قوة التعادل بين طرفي التشبيه .

وقد تنوعت واختلفت أراء البلاغيين في تفسير لفظة ودلالة (النور)التي تكررت في هذا المثل القرآني﴿ٱللَّهُ نُورُ﴾، ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾، ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾، ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ﴾وجعلت إحالة الضمير إلى نور الله في العبارة الاستهلالية، معززاً من دلالة النور﴿مِصْبَاحٌ﴾، ﴿زُجَاجَةٍ﴾، ﴿ٱلزُّجَاجَةُ﴾، ﴿يُوقَدُ﴾،

[1]- سورة (القصص:٧١).

وجعلت عند بعضهم استعارة تصريحيه،" **وأن النور هو الحق، جاء استعارة النور له كاستعارة الظلمة للباطل ووجه الشبه الظهور**[1]"، ويلاحظ أن جميع الآراء تأولت معنى النور وانفرد بعض المفسرين بقوله:" **إن إطلاق اسم النور على غير النور الأول مجاز محض**" [2]. والمعروف أن النور من أسماء الله تعالى وعلى هذا الرأي فالنور هو الحقيقة وكل ما عداها من النور فهو صورة. الأمر الذي أدى إلى اختلاف الآراء حول عائديه هذا التشبيه[3]. فظهور لفظة(مشكاة) المعتمة التي اقترنت بكاف التشبيه مباشرة﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ﴾، في وسط نص ممتلئ بدلالة النور، أظهرت للمتلقي أسلوباً بلاغياً تحقق فيه قطع الانسياب الطبيعي لمتتالية نص المثل القرآني مع التأكيد على تعادلها الدلالي للعبارة السابقة لها، ورسم لوحة دلالتي (نور الله) و(عتمة الكون) وقد أصبحت جلية للمتلقي ولكن بشكل مخالف ومعكوس؛ لأن لفظة(المشكاة) المعتمة التي تستمد نورها من تواجد المصباح فيها، تعادل الكون أما المصباح ومتعلقاته من ﴿ٱلزُّجَاجَةُ﴾،﴿يُوقَدُ﴾،﴿يُضِيٓءُ﴾،﴿نَارٞ﴾شكل خارجي فيعادل نور الله.

والنكرة من حيث الدلالة العامة في آية المثل القرآني، يقصد بها الواحد من الأفراد أو الجنس عموماً، فكلمة (نور) مثلا في معناها المجرد عامة تشمل كل مظهر من مظاهر النور المعتاد، لكن السياق والأثر الشعوري وطبيعة الخطاب وغير ذلك يمنحها معنى خاصاً غير الذي ذكر، فقوله تعالى:﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖ﴾، ضرب من الفخامة والمبالغة، فليس هو نوراً واحداً معيناً أو غير معين فوق نور آخر مثله وليس هو مجموع نورين اثنين فقط، بل هو عبارة عن نور متضاعف، من غير تحديد لتضاعفه بحد معين.

---

[1]- المرادي، أبو محمد بدر الدين(١٩٩٢م)**الجنى الداني في حروف المعاني**، تحقيق: فخر الدين ومحمد نديم، ط١، ص٢١٧، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

[2]- الالوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج١٨، ص١٦٠-١٦٦ .

[3]- في الفكر الصوفي كانت المشكاة إحدى مراتب العقل بوصفها تمثل العقل الهيولاني فكما يوضع النور في المشكاة فالنفس مستعدة لأن يفيض عليها نور العقل بالفطرة أيضاً، وإذا قويت فإنها ستؤدي إلى مرتبة أخرى تحصل فيها مبادئ المعقولات وتتمثل بالزجاجة، فإذا بلغت درجة تتمكن من تحصيل المعقولات بالفكرة الصائبة فهي الشجرة، فإذا صارت أقوى وبلغت درجة الملكة أي حدس المعقولات فهي الزيت، فإذا كانت أقوى فيكاد زيتها يضيء، فإذا كان يتعامل مع المعقولات وكأنه يشاهدها فهو المصباح للتوسع انظر على سبيل المثال، الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد(١٩٧٥م) **معارج القدس في مدارج معرفة النفس**، ط٢، ص٥٥-٥٦ ، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان.

ويستوقفنا قوله تعالى:﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ﴾،التي لم يصمت عندها الدارسون من قبلنا، وهم أمام تعليل لمشهد تلك الصورة التشبيهية، وسبب تشكيلها على هذه الهيئة للدلالة على النور الإلهي. وهو يبرز في هذا المثل القرآني ليكون شاهداً في تعبيره الحقيقي والمجازي بين الهدف الديني والهدف الفني، الذي شكلته الصورة الجمالية من المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت، وهناك أجرام سماوية وغيرها أوضح في الدلالة على النور فيها ." **إن القرآن الكريم إذا لم يجد في بعض التشبيهات المشبه به الفائق على المشبه -حقاَ ووقعاَ- تخيره مما هو المثل الأعلى في نظر المخاطبين وإن لم يكن من هذا العلو على القدر المطلوب... فالقرآن يختار من الصور الأدبية ما يمكن أن يكون من الصور العالمية التي تظل موحية والتي يظل فعلها القوي الساحر مهما اختلفت البيئات وتتابع الزمن**[1]".

وهكذا يجمع النسق القرآني في هذا المثل تعبيراته الجمالية، ويرسم لوحة تشبيهية، توضح للسامع المسوغ الدلالي لخلخلة الترتيب السالف وانعقاد بنية الصورة على هذه الشاكلة، من خلال الجمع بين مشبه يقف على الطرف النقيض مما شبه به. وتسترسل في هذه الصورة وتتبع ما ولدته من صور جزئية تتمحور جميعاً حول (المصباح)، تقف جميعها قبالة لفظة مفردة هي (مشكاة)، من شأنه أن يقدم إجابة وافية. هذا ما بهر العرب بالتشبيه فهو من أعمدة " **الصورة في النظرية الشعرية العربية القديمة**[2]".

ورسمت بتنغيمها صورة مفعمة بالجمال وكأنها صورة تحد لمنكري قدرة هذا القرآن على الإعجاز فجاءت صورة(المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت) لتحقق أكثر من هدف جمالي وديني في آن وقد مكنت هذه الصورة الجمالية والمتلقي من استيعابها صورة ورمزاً في آن واحد، فقد استطاعت المزج في الصورة التي رسمتها في دلالة موضوعية بين موجودات الكون (المعتم) وخصائص (النور)- باعتباره أشرف مستوى في الخلق - وطبيعة الاستجابة النفسية، في صورة ترشد السامع للمعرفة المؤدية للإيمان بالواحد الأحد مما لا يمكن لأي صورة أخرى أن تحقق ذلك أو مثله. وهذه الدلالة مبثوثة في ثنايا السموات والأرض ومن فيها وما على قلب السامع البشري المتنقل في أبعاد الكون من السماء والأرض إلا أن يستوعبها.

---

[1]- لاشين، **البيان في ضوء أساليب القرآن**، ص٧٧ -٧٨ .
[2]- الرباعي، **الصورة الفنية في النقد الشعري" دراسة في النظرية والتطبيق"**، ص ٥٠.

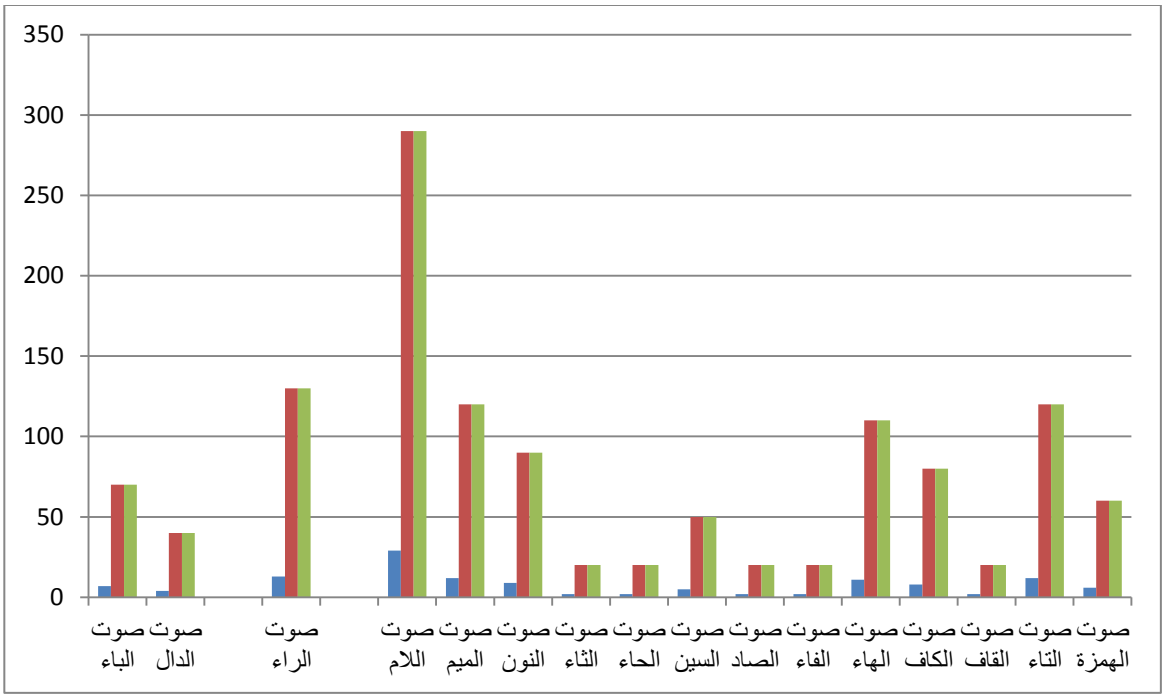

جدول توضيحي لنسبة الأصوات داخل آية المثل القرآني السابق

ويقابل هذا التنقل في أبعاد الكون من السموات إلى الأرض دلالة موضوعية من المشكاة إلى الزجاجة ومن الزجاجة إلى المصباح ومن المصباح إلى الشجرة ثم إلى الزيت.ويرى السامع المتمعن في إعجاز هذا المثل القرآني إيحاءات كثيرة فمثلاً:

الدال	المدلول	
الشجرة	**ترمز للإرث النبوي المبارك**	وهي دلالة موضوعية تشير إلى طريق المعرفة والإيمان من زمن إبراهيم عليه السلام إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم- خاتم الأنبياء،حنيفية منحازة عن الشرق والغرب، متميزة في العقائد والقيم ومناهج المعرفة.
الزيت	**يرمز للإيمان**	لأن نور المصباح ونور الزيت يقابلان نور العلم ونور الإيمان لقوله تعالى: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ ذلك النور المتصل الذي لا ينقطع بسبب صفائهم الدائم

ويتم تكملة المثل القرآني،" **يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، ولو وقفت الصورة عند الكوكب الدري لما استكملت ملامحها.بل أعطت للسامع مدلولاً يكشف عن سنة إلهية وحقيقة كونية وهي أن كل شيء، مخلوق: خلق وفي تكوينه سر هدايته انسجاماً مع الكون، وقلب الإنسان المتلقي لهذه المعرفة وهذا الإيمان هو أشرفها وأزكاها ذلك لأن قلب المؤمن سراجه فيه نوره**[١]".

والنظرة الدقيقة في الصورة التي يرسمها هذا المثل القرآني، باعتباره أسلوبا معتمداً في التعبير القرآني، تبين شأنا آخر بعيداً عن الاستنتاجات السطحية، حيث يدخل عامل الإثارة النفسي والشعوري في بنية نظم المثل القرآني، ليكشف أن الملمح النفسي في الصورة أعمق من أي مستوى آخر؛لأن الصورة تعرفنا في الأصل على صفات الخالق المبدع، ولا يتحقق هذا التعرف إلا من خلال شواهد طبيعية في حياة الإنسان باستخدامه الآلة البشرية التي ترشده على عظمة المبدع الصانع فرسمت تلك الصورة لتقرب إلى العقل البشري ووصفها بصورة المشكاة ثم يأتي البرهان الرباني على ذلك الملمح لكي" **يدرك السامع كيف أن النور الخالق يبدع النور المخلوق فقال تعالى: ﴿يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ لأن الكون كله في أصغر ذرة، فيه إشعاعات منطلقة لا قوام لها ولا مادة إلا النور**"[٢].

وفي تنغيم إيقاعي التعبير نشاهد الدلالات التي صورتها لنا لفظة (المشكاة والمصباح والزيت والنور) فقد شبه الله" **نوره الذي يلقيه في قلب العبد المؤمن بالمصباح ووضع المصباح في مشكاة داخل زجاجة**"[٣]. وتعليل ذلك أن نور المعرفة وما يحتويه من آلات تجتمع فيه، الفهم والمنطق وذهن العقل البشري، واليقظة الداخلية الباطنية والخارجية المدركة للعالم وزيت الشجرة المباركة، وما فيها من نفع وصفاء ذلك الزيت من الشوائب،"**وقع التشبيه في نوره دون نور الشمع مع أنه أتم من نور المصباح**[٤]"والإيحاء هنا دلت عليه قرينة وهي لفظة(زيتونة مباركة) لا يحققه أن يكون وقود المصباح شمعاً.

١- الالوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**،ج ١٨،ص١٧٠ .
٢- حوى، سعيد محمد(١٤٢٤هـ)**الأساس في التفسير**، ط٦، ج ٧،ص٣٧٧٢، دار السلام، القاهرة، مصر.
٣- ابن الأثير، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**،ج ٢، ص١٢٨،١٢٧.
٤- درويش، محي الدين (١٩٩٢م)**إعراب القرآن الكريم وبيانه**،ط٣،ج٦،ص٦٠٩-٦١٠، دار ابن كثير، اليمامة.

ومما رفع مستوى التنغيم الصوتي ترديد الألفاظ بأعينها في الآية نفسها﴿ٱللَّهُ نُورُ﴾،﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾،﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾،﴿يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ﴾،﴿مِصۡبَاحٌ﴾،﴿زُجَاجَةٍ﴾،﴿ٱلزُّجَاجَةُ﴾،﴿يُوقَدُ﴾،﴿يُضِيٓءُ﴾، ﴿نَارٌ﴾،﴿ٱلۡمِصۡبَاحُ﴾، فتكرار لفظة (النور) يعتبر من أساليب التعبير التي تحقق الغرض في لفت انتباه السامع، وإثارته نفسياً وتحريض الحس والوجدان الداخلي لديه أما تكرار لفظة (المصباح، والزجاجة) حيث جاءت مرة نكره ﴿مِصۡبَاحٌ﴾،﴿زُجَاجَةٍ﴾ومرة معرفة،﴿ٱلۡمِصۡبَاحُ﴾،﴿ٱلزُّجَاجَةُ﴾ جاء ذلك التناغم ليترابط ذهن وخيال السامع في إدراك الصورة ولا يتوهم بعيداً فيضيع فقد أصبح المصباح والزجاجة معروفين للسامع بعد التمهيد لهما بذكرهما نكرتين ولأهمية أثرهما في الصورة تكرر ذكرهما. ونلمح مكاناً آخر لتكرار كلمة : مصباح للمرة الثالثة لكنه لم يذكر: استغناء بما ذكر وإثارة للذهن حرصاً على ترابطه مع الخيال فيما استقر عليه إدراك الصورة مسبقاً؛ ذلك أن نائب الفاعل للفعل (يوقد) هو المصباح فكأن أصل التركيب :

كمشكاة ..... فيها مصباح .

المصباح..... في زجاجة المصباح

وكل ذلك يوقد من شجرة مباركة فالمصباح مستحضر في الصورة الأخيرة ذهنا وليس ذكراً ولو تأملنا إلى التنغيم الصوتي مرة أخرى في كلمات آية المثل القرآني الذي بين أيدينا نرى أن مجيء الفعل (يكاد) أخرج صورة الزيت من المبالغة إلى المقاربة المقبولة المؤثرة.

والصورة غنية بالدلالات في المثل القرآني فهي تمثل ينابيع متعددة من نور. ولهذا سميت السورة كلها بسورة النور؛ لأن ما يستدعيه ذكر النور أن تذكر الظلمة والظلمات ومن صور التنغيم في آية المثل القرآني ورود المقارنة والمفاضلة كما في المقطع التالي قوله تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً﴾[1] ثم قال في موضع آخر﴿أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ

[1]- سورة (النور:٣٩).

مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ﴾[1] وانتهت الآية بقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾، لقد رسمت آية المثل هنا صورة للمفاضلة والمقارنة و**"هذان مثلان للكافر**[2]**"**.

وصورت لنا إيقاعات المثل القرآني، بتعبيراتها الجمالية صورة المشكاة على أنها بيت النور ويقابلها فيؤول الآية (في بيوت أذن الله أن ترفع...) **" فالمشاهد منسجمة متناسقة تكشف عن مدى التناسق الفني في الصورة القرآنية"**[3].

وجاء التنغيم ليحقق معادلة نصية دلالية ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ ﴾ فقد وظفت اللفظ المناسب بالصوت المناسب المنسجم لهذا اللفظ فكل لفظة في كتاب الله تعالى لها مكانتها وموضعها من الآية أو العبارة أو الجملة، بصورة محددة بحيث لا يسد مكانها أي لفظة أخرى، واختيار النص القرآني بشكل عام والمثل القرآني بشكل خاص، اللفظ المناسب في الموقع المناسب من عدة وجوه، وبمختلف الدلالات، إلا أن**" استنباط ذلك صوتياً يوحي باستقلالية الكلمة المختارة لدلالة أعمق، وإشارة أدق بحيث يتعذر استبدال ذلك بغيره، إذ لا يؤدي غيره المراد الواعي منه، وذلك معلم من معالم الإعجاز البياني في القرآن**[4]**"**.

ويلاحظ مجيء مقطع المثل القرآني ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ ﴾، وما بعدها﴿.. وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾، تسبقه آية وتختمه آية وهما متقاربتان في الدلالة والألفاظ، فالأولى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[5]،جاء لفظ كل من (مبينات، ومثلاً، وموعظة)، كلها تمهيد لآيات النور باعتبارها دليلاً هادياً ومثلاً مطابقاً للفكرة المعروضة، وإثارة نفسية مطلوبة.وختم مقطع النور بآية مشابهة في قوله تعالى:﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾، فالآيات واضحة بينة وضوح

---

[1]- سورة (النور:٤٠).
[2]- الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج٣، ص٤٨٠.
[3]- حوى، **الأساس في التفسير**،ج ٧، ص٣٧٧٢.
[4]- بدوي، **من بلاغة القرآن**،ص١٩٤-١٩٥.
[5]- سورة (النور: 61)

النور والنور هداية يهبها الله لمن يشاء وقد فُسر[1] قوله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ بأنه هادي أهل السموات والأرض، والمراد من(مَثَلُ نُورِهِۦ) أي: مثل هديه، وبيانه، وهي آياته المبينات، وهذا القول هو المختار[2]؛ لأنه تعالى ذكر قبل هذه الآية﴿وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖ وَمَثَلٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾[3]، والتشبيه في هذا المثل جاء تشبيهاً لأمر عقلي بأمر حسي، ولا يخفى ما في التمثيل من تجسيد للأمور المعنوية، وتقريبها للأذهان.

ويرسم هذا المثل القرآني لوحة إبداعية يتجسد فيها التنغيم الصوتي، لكن ليس في التراكيب فحسب ولا في أصواته المهموسة أو المجهورة، وإنما جاء في فاصلته التي ختم بها وما تؤديه تلك الفاصلة القرآنية، من دور جمالي وإيقاع موسيقي منغم، من حيث طولها أو قصرها، ومن حيث القرار الذي تنتهي إليه إذ النفس تترقب نهاية المثل القرآني، فما إن تصل إليها حتى ترتاح وتستمتع، واللفظة الأخيرة في آية المثل القرآني هي الفاصلة إذ عندها ينفصل الكلام وتؤدي **" أهم دور في قواعد التشكيل الإيقاعي لهذا الكتاب المعجز**[4]**"**.

والفاصلة في عروض الشعر جزء من التفعيلة، كالسبب والوزن وهي تتكون من **" " ثلاثة أو أربع متحركات يليها ساكن**[5] "وهي **" في السجع شبيهة بالقافية في الشعر**[6]**"** وقد عد البعض الآية كلها إن كانت قصيرة أو التذييل في الآية الكبيرة فاصلة واعتبر السيوطي نهاية الآية فاصلة أخذاً من قوله تعالى:﴿ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾[7]**"ولأنها تفصل بين آخر الآية وما بعدها**[8]**"** والفاصلة القرآنية ظاهرة ظاهرة صوتية تضبط النغم وتبرز مواضع النقرات وتمسك بسيل موجات الشعور المتدفقة وتكون عاملا مساعداً في التنغيم صعوداً وهبوطاً،**" والفاصلة لها أثر في نسق الكلام، واعتدال المقاطع، وتجعل موقعه حسناً في النفوس وتؤثر فيه تأثيراً لا ينكر وتناسب الأطراف وتماثل الحروف، مما**

---

[1]- الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**،ج٤،ص٢١٣.
[2]- الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**،ج ١٨،ص١٦٠-١٦٦.
[3]- سورة (النور: 61)
[4]- اليافي، **قواعد تشكل النغم في موسيقى القرآن**،ص١٤٦.
[5]- الهاشمي،السيد احمد(١٩٧٩) **ميزان الذهب في صناعة شعر العرب**، د ط،ص٦،مكتبة النقاء،بغداد.
[6]- جبور، عبد المنعم(١٩٧٩) **المعجم الأدبي**، ط١م،ص١٨٩، دار العلم للملايين، بيروت.
[7]- سورة (فصلت:٣).
[8]- السيوطي، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**،ج١،ص٢٤ -٢٥.

يريح السامع، ويجذب انتباهه[1]" والعرب قديماً عرفوا القافية والتسجيع ودورها في أهمية تجميل وترصيع الخطاب وتحسين نظمه،" **وقد جرى العرب كتّاباً وشعراء وخطباء على أن يجدوا النغم ففي فاصلة سجع أو قافية شعر، ولكنّ لنظم القران إيقاعاً داخلياً ينبعث حتى من اللفظة الواحدة بسبب تآخي آياته واتساقها كلها بألفاظها ومعانيها وجرسها وإيقاعها**[2]"ولكن نظم القرآن الكريم ليس كنسق الشعر، فلكل خصائصه، وقد نفى القرآن سمة الشعر عنه فقال تعالى:﴿وَمَاهُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴾[3]، وفي موضع آخر ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ﴾[4]،والفاصلة القرآنية بقيمتها التنغيمية الموسيقية تلعب دوراً واضحاً في الأمثال القرآنية فهي كالمفتاح في اللحن الموسيقي، وتمتاز الأمثال القرآنية بتنوع هذه المفاتيح والانتقال فيما بين آياتها في السورة الواحدة بكل يسر وسهوله.

والفاصلة إشارة تميز القرآن من الشعر والنثر المسجوع أو المرسل فهي ظاهرة مطردة وجزء من النظام والنسق الصوتي في القرآن الكريم بل ركن من أركان آية المثل القرآني لفظاً ومعنى بقدر ما هي ركن في المقطع والسورة ومجموع القرآن.

ودلالة الوقف على الفاصلة القرآنية، محطة راحة للفكر البشري واللسان العربي وبعد عناء، ويأتي مردوفاً وأشهره ما كان على النون المردوفة بواو أو ياء، ويكثر ذلك في الأمثال القرآنية المدنية ويتمثل في صيغة جمع المذكر السالم فنجد التنغيم الصوتي يكمن في قرار الفاصلة القرآنية في آية المثل القرآني وقرارها جاء صامتاً(صوت الميم)،التي احتلت المرتبة الثانية بعد صوت (النون) فقد ورد ذكره في الفواصل القرآنية لسورة النور على النحو الآتي:

---

[1]- القنيبي، حامد صادق(١٩٨٤) **المشاهد في القرآن الكريم**، ط١، ص١٨٨،مكتبة المنار،عمان.
[2]- المرجع نفسه.
[3]- سورة (الحاقة: ٤١).
[4]- سورة(يس: ٦٩).

الصوت	الفاصلة القرآنية	عدد ذكرها في السورة
صوت النون	﴿ تَذَكَّرُونَ ﴾	مرتين
صوت النون	﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	٤ مرات
صوت النون	﴿ٱلْفَٰسِقُونَ﴾	مرتين
صوت النون	﴿ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾	مرتين
صوت النون	﴿ٱلْكَٰذِبِينَ﴾	٣ مرات
صوت النون	﴿مُّبِينٌ ﴾	٣ مرات
صوت النون	﴿تَعْلَمُونَ ﴾	٤ مرات
صوت النون	﴿ تُفْلِحُونَ ﴾	مرتين
صوت النون	لِّلْمُتَّقِينَ،تَكْتُمُونَ، ٱلْفَآئِزُونَ ،تُرْحَمُونَ ،تَعْقِلُونَ ، مُّعْرِضُونَ ،مُذْعِنِينَ ، ٱلظَّٰلِمُونَ	مرة واحدة
المجموع		٢٣

الصوت	الفاصلة القرآنية	عدد ذكرها في السورة
صوت الميم	﴿رَّحِيمٌ﴾	٥ مرات
صوت الميم	﴿حَكِيمٌ﴾	٤ مرات
صوت الميم	﴿ عَظِيمٌ ﴾	٥ مرات
صوت الميم	﴿ عَلِيمٌ ﴾	٦ مرات
صوت الميم	﴿ كَرِيمٌ ﴾﴿ أَلِيمٌ ﴾﴿ مُّسْتَقِيمٍ﴾	مرة واحدة
المجموع		٢١

وصوت الراء،(٤ مرات) وصوت الباء(مرة واحدة) على النحو الآتي:

الصوت	الفاصلة القرآنية	عدد ذكرها في السورة
صوت الراء	﴿ نُورٍ ﴾﴿ ٱلۡمَصِيرُ ﴾﴿ قَدِيرٌ ﴾ ﴿ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾	٤ مرات
صوت اللام	﴿وَٱلۡأٓصَالِ﴾	مرة واحدة
صوت الباء	﴿ حِسَابٍ ﴾	مرة واحدة

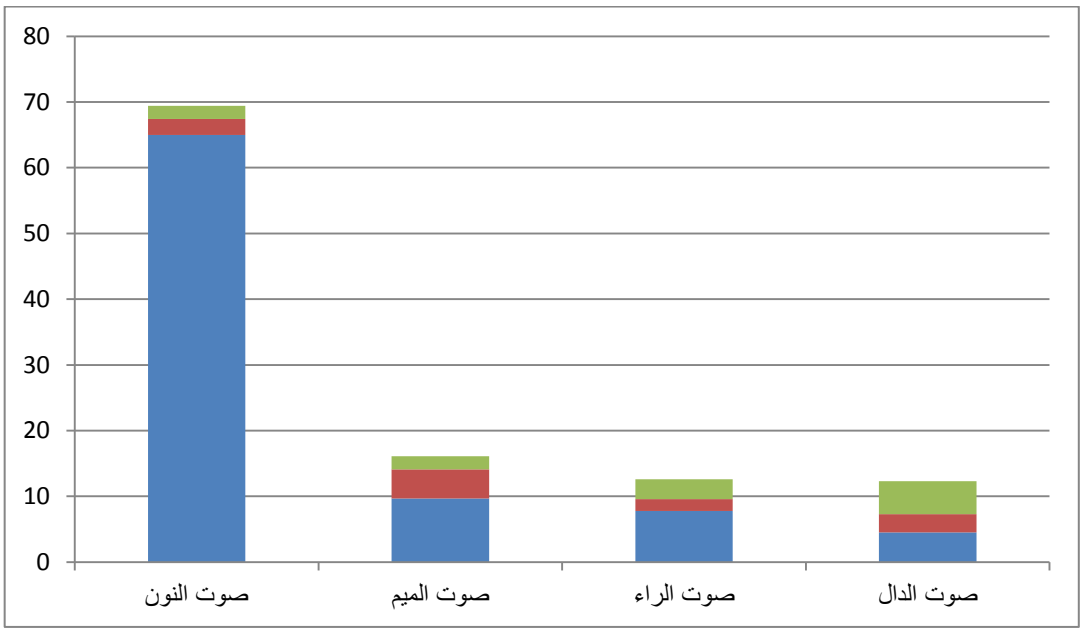

" فنسبة النون وحدها ٦٥%، تليها وبفارق كبير الميم٩.٧%، ثم الراء٧.٨%، ثم الدال ٤.١%[1]" وهذه حكمة إلهية أن تكون النسبة الأعلى للنون والميم وذلك لتميز هذين الصوتين بأنهما" **أطول الصوامت العربية من حيث المدة الزمنية التي يستغرقها كل منهما في النطق**[2]" ويتميزان بالغنة التي تلازمهما، فيضفيان على آية المثل بعداً تنغيمياً ذا جرس موسيقي هادئ، تجاوزت بتنغيمها وإيقاعها قافية الشعر وتفعيلاته، فجاءت مطابقة لبعضها حيناً ومغايرةً حيناً آخر وفقاً لما يقتضي

[1] - العبد، محمد السيد (٢٠٠٤م) **من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم**،العدد(٢١٤) ص٨٨،مجلة العربية للعلوم الانسانية، الكويت.

[2] - الفقرا، هايل محمد(١٩٩٦) **ظاهرة الانسجام الصوتي في القرآن الكريم**،ص٢٠٦،رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن.

السياق والإيقاع والصوت والدلالة والأداء الصوتي سواء على مستوى الآية أو المقطع أو حتى السورة.

فسورة النور تفتتح بقوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1]، وهذا الافتتاح الذي تتوجه القدرة الربانية، ما هو إلا دليل على هيمنة العناية الربانية على البشر في تنزيل الآيات والأحكام الواضحة، ليمثل البشر وتستقيم مناهج الحياة. ويتكرر هذا المسارعند استئناف محور آخر من محاور السورة، إذ نجد قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾[2]. ثم يتكرر مضمون هذه الآيات أحياناً عند كل محورأو مناسبة تستدعي ذلك ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ﴾[3]، ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾[4]، وتتشابك هذه المسارات مع بعضها بمثل هذه الآيات داخل السورة وهي ترسم للمتلقي هيكل الوحدة الفنية للسورة بصورة تنغيمية، وبنية أسلوبية، وعامل نفسي.

---

[1]- سورة (النور:١).
[2]- نفس المصدر.
[3]- نفس المصدر (الآية : ٥٨).
[4]- نفس المصدر (الآية : 61).

الفصل الثاني : تشبيه الأمثال القرآنية في رسم الشخصيات:

مدخل:

يستعرض هذا الفصل أنواع الشخصيات المرسومة في آيات الأمثال القرآنية الصريحة، والسمات الفنية المشتركة بين بعض هذه الأنواع، ويوضح للمتلقي طريقة رسم الشخصيات في آيات الأمثال ويليه تحليل لنماذج من آيات الأمثال الصريحة للوقوف عند طريقة رسم الشخصيات فيها، وأهم ما فيها من سمات. ويلمس المتلقي عند تتبعه لآيات الأمثال الصريحة مجيء الشخصيات فيها على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: منها صُوِرت فيه نماذج إنسانية متكررة، منها رسم نماذج لشخصيات المنافقين وطريقة إيمانهم وتعاملهم مع الصدقات، والمؤمنين وقوة تمسكهم وترابطهم داخل المجتمع الإسلامي، والكافرين ومحاربتهم لله ولرسوله، واليهود ومكرهم وخداعهم ونقضهم للمواثيق والعهود، والأنبياء والمرسلين ومحاربة أقوامهم لهم، ولشخصية المتبع هواه ومصائد الشيطان له، وصاحب الجنتين، وأهل القرية و حصائد ظلمهم وكفرهم، وأصحاب القرية.

النوع الثاني: جاء هذا النوع بعد **أن** ذكرت فيه آيات المثل لذهن المتلقي شخصيات مسماة باسمها وهذه الشخصيات هي: آدم وعيسى عليهما السلام كقوله تعالى:﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾[1] وجاءت كذلك بـ اسم محمد- عليه الصلاة والسلام - كقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[2] وتم ذكر مريم بنت عمران في قوله:﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَانَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾[3].

والنوع الثالث: الإنسان بعامة: وفي هذا النوع نلحظ أن الكائنات الأخرى ما هي إلا صورٌ جيء بها رافدة لحاجات ذلك الإنسان مثل:(الكلب والذباب والعنكبوت،) وتحدث أيضا عن بني إسرائيل كقوله

---

[1]- سورة (آل عمران: ٥٩).
[2]- سورة (الفتح: ٢٩).
[3]- سورة (التحريم: ١٢).

تعالى:﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْهُمْ قَائِلُونَ﴾[1] وحديثه عن امرأة فرعون وشخصية امرأتا نوح ولوط ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ﴾[2] .

ويلمس المتأمل في ضرب الأمثلة السابقة أن هناك عاملاً مشتركاً في الشخصيات السابقة جميعاً شخصيات بشرية، وهناك أنواع أخرى من الشخصيات، كالشخصيات الغيبية مثل: الملائكة، الشياطين كقوله:﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾[3].وأخرى لحشرات وحيوانات﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا﴾[4] والحديث عن الكلب بقوله:﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾[5] والعنكبوت لقوله:﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾[6] وكذلك الحمار بقوله:﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾[7].

والمتأمل في تنغيم آيات الأمثال السابقة يجد التنوع في رسم الشخصيات، مابين شخصيات بشرية مختلفة ما بين رجل وأخرى امرأة (محمد وعيسى-عليهما السلام- ومريم وزوجة فرعون...) وشخصيات أخرى (بنو إسرائيل، أصحاب الجنتين) وأنواع أخرى لشخصية القوي والضعيف، وشخصية للمصيب والمخطئ، وشخصية للخيّر والشرير، وشخصية تمثل أفراد، وشخصيات أخرى تمثل جماعات....إلخ.

---

[1]- سورة (الأعراف: ٤).
[2]- سورة (التحريم: ١٠).
[3]- سورة (الصافات: ٦٥).
[4]- سورة (الحج: ٧٣).
[5]- سورة (الأعراف: ١٧٦).
[6]- سورة(العنكبوت:٤١).
[7]- سورة (الجمعة : ٥).

يتناول التعبير القرآني الأمثال القرآنية بقصة تعتمد على تصوير المشاهد والمناظر التي يعرضها، ويعمل على تحويلها إلى قصة تدور بين الجماعة المسلمة، لا قصة تروى وقد مضت أحداثها وطويت بين ثنايا السنين.

ولو تتبعنا صورة رسم الشخصيات في آيات الأمثال القرآنية الصريحة- بغض النظر عن كونها شخصيات في قالب قصصي أو في قوالب أخرى- يلحظ أن الحديث عنها إما أن يكون بصيغة الجمع كأن يكون المراد جماعات تتسم بنفس السمات كالحديث عن المنافقين، وعن المشركين، وعن المؤمنين، وعن اليهود، وعن أصحاب القرية، وإما أن تشتمل الآيات على ما لا يقل عن شخصيتين كالحديث عن خلق آدم وعيسى عليهما السلام، وكالحديث عن المنسلخ عن آيات الله المتبع للشيطان، والحديث عن قصة صاحب الجنتين وصاحبه، و يكمننا القول " **إن التصوير في مشاهد القصة ألوان لون يبدو في قصة العرض والإحياء، ولون يبدو في تخيّل العواطف والانفعالات، ولون يبدو في رسم الشخصيات، ...**[1]" .

ويرى المتأمل في آيات الأمثال الصريحة، بعض الشخصيات المرسومة قد وسمت باسمها أو صفتها، ولم ترسم من الناحية الجسدية والخلقية عدا وسم المنافقين، والكافرين، الملحدين بآيات الله قد وصفتهم الآيات بالصم ، والبكم، كقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡىٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾[2]، وذلك لا يعني المقصود هذه الصفات الجسدية، وإنما جاء المقصود به التغافل عن الحق، فكأنه لا يرى ولا يسمع ولا يعقل من الحق شيئا. والمتأمل سياق آيات الأمثال القرآنية التي رسمت للمتلقي تلك الشخصيات وقامت بتعددها في نسق الأمثال ما هو إلا تمثيل حقيقي لصورة الصراع بين الحق والباطل، وجانب الخير والشر، وتحقيق الحوار يكشف للمتلقي حقيقة تلك الشخصيات، ويُظهر طريقة تفكيرها ، ومنهجها الذي تسير عليه. وجاء عرض الشخصيات في الأمثال القرآنية من خلال تفكيرهم، وأعمالهم ، وحركاتهم، وعن طريق الحوار الكاشف عن جوانب هذه الشخصيات. ومنهجها الذي تسير عليه.

---

[1]- قطب ،**التصوير الفني في القرآن**،ص١٩٠.
[2]- سورة (البقرة: ١٧٨).

النموذج الأول:

ومن آيات الأمثال القرآنية التي تكشف للمتلقي عن ماهية الشخصيات المرسومة فيها، بالصورة التي يعرضها ويعمل على إثارة الوعي ليدفعنا للبحث عن الدلالة الموضوعية لها إذا لم يكشف عنها السياق أحياناً، مثل قول الله في وصف اليهود ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

مناسبة آية المثل القرآني:

عالجت السورة الكريمة بتنغيم آياتها وجرس مفرداتها، موضوع الجماعة المسلمة، و" **أنها هي المختارة أخيراً لحمل أمانة العقيدة الإيمانية؛** [2]"وافتتحت السورة ببداية مشوقة ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ﴾[3]، وسورة الجمعة، قد نزلت على النبي - صلى الله عليه وسلم- بعد سورة (الصف) وأرادت آيات السورة أن تثبت للمتلقي، تلك الحقيقة الرئيسية التي عالجتها وذلك " **إقرارها في قلوب المسلمين . من كان منهم في المدينة يومذاك على وجه الخصوص**[4]" .

وقد رسمت نصوص سورة الجمعة للمتلقي " **الحالات الواقعة في تلك الجماعة الأولى؛ في أثناء عملية البناء النفسي العسيرة المتطاولة الدقيقة** [5]"ووقفت السورة بالمتلقي في محطات كثيرة وهي تتحدث عن المجتمع المدني، وأضفت السورة حادثة مجيء قافلة تجارية تحمل المتاع والزينة والنبي- صلى الله عليه وسلم- في المسجد يخطب يوم الجمعة في الجماعة المسلمة؛ " **وتركوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قائماً**[6]". ونزل بهم قرآن يتلى إلى يوم الدين ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ

---

[1]- سورة (الجمعة: ٥)
[2]- قطب، **في ظلال القرآن**،ج٧،ص٢٠٠.
[3]- سورة الجمعة(الآية : 1)
[4]- قطب، **في ظلال القرآن**،ج٧،ص٢٠٠.
[5]- المرجع السابق والصفحة نفسها.
[6]- المرجع السابق والصفحة نفسها.

إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾[1]، إلا قليل من الصحابة - قيل اثنا عشر- من الراسخين لم يتحركوا كأبي بكر الصديق رضي الله عنه، وعمر بن الخطاب، مكثوا يستمعون إلى خطبة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- **" كما تذكر الروايات، التي قد لا تكون دقيقة من حيث العدد، ولكنها ثابتة من حيث وقوع هذه الحركة من عدد من الحاضرين اقتضى التنبيه إليها في القرآن الكريم** [2]". رسمت سورة الجمعة صورة المشهد في مباهلة اليهود، ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ ﴾ [3] وأنهم كانوا يتمنون الموت للمبطلين من الطائفتين" **وذلك رداً على دعواهم أنهم أولياء الله من دون الناس، وأنهم شعب الله المختار، وأن بعثة الرسول في غيرهم لا تكون! كما كانوا يدعون! مع جزم القرآن بأنهم لن يقبلوا هذه المباهلة التي دعوا إليها فنكلوا عنها لشعورهم ببطلان دعواهم** [4] ".

<u>أثر التشبيه في آية المثل القرآني:</u>

جاءت آية المثل القرآني، تمثل المعاني كلها في صور تمثيلية رائعة المعنى، بديعة النظم خصبة التشبيه، تنفد إلى قلب المتلقي من نوافذ شتى، ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ ﴾ وقد أضفى المثل القرآني الذي بين يدينا أضعافاً مضاعفة من تلك الصور وجعلها ماثلة للجميع، ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ لقد رسمت لنا آية المثل القرآني، بطبيعة أصواتها ومخارجها وصفاتها: من جهر وهمس وتفخيم وترقيق واحتكاك وانفجار، سمات صوتية، تتشكل في كل صوت ملامح لذهن المتلقي موحية بالقوة والشدة والليونة والسهولة، واستخدامها في نص آية المثل يعطي مؤشراً للمتأمل يوصله إلى إدراك جماليات فنية ومتعة تنغيم من خلال انسجام الصوت مع المعنى والسياق العام، والتشبيه من أكثر الأنواع البيانية في نص آيات الأمثال لتسلط الضوء،على الصورة الحية التي ترسمها، حروف كلماته، وجمله وفواصله، ولتكشف للمتلقي عن

---

[1]- سورة الجمعة(الآية : 11)
[2]- قطب، **في ظلال القرآن**،ج٧،ص٢٠٠.
[3]- سورة الجمعة(الآية : ٦-٧)
[4]- قطب، **في ظلال القرآن**،ج٧،ص٢٠٠.

أسرار التنغيم الصوتي، والانسجام الإيقاعي، لمفردات الصوت والكلمة في آية المثل القرآني، وفي فهم أكثر للتشبيه ينظر إليه في آيات الأمثال القرآنية على **" أنه صورة تجمع بين أشياء متماثلة، وأساس هذا التماثل كامن في النفس والشعور**[1]"وللصورة التشبيهية حصة في غنى المعاني واتساعها ووضوحها؛ لأن طبيعة فن التشبيه تتسم بالوضوح في التركيب والمحافظة على خصوصية كل طرف داخل فيه حيث يقول الجرجاني" **واعلم أنه ليس شيء أبين وأوضح وأحرى أن يكشف الشبهة عن متأمله من التشبيه**[2]"، فبعد أنَّ بيَّن سبحانه أنه آتى فضله قوماً أميين بأن أرسل فيهم الرسل ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ﴾[3]، جاء هذا المثل القرآني" **ليبين أنه آتى فضله أهل الكتاب فلم ينتفع به من اعتقد أن العلم هو في حمله دون فهم ما فيه**[4]".

ولفن التشبيه في آيات الأمثال القرآنية، فوائد يلمسها المتلقي قد لا تتحقق إلا به" **أما فائدة التشبيه من الكلام فهي أنك إذا مثلت الشيء بالشيء فإنما تقصد به إثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به أو بمعناه، وذلك أوكد في الترغيب فيه أو التنفير عنه**[5]" وهذا مثل ضربه الله تعالى لأحبار بني إسرائيل المعاصرين لرسول الله - صلى الله عليه وسلم-، والمراد به عموم اليهود، مَثَّلهم فيه في حملهم للتوراة، وعدم انتفاعهم بها بحمار يحمل أسفارًا.﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ﴾ ووجه ارتباط آية المثل القرآنيبما قبلها أنه سبحانه وتعالى، لمَّا أثبت في الآيات السابقة لآية المثل التوحيد والنبوة، أخذت اليهود ذلك ذريعة لإنكار سعة رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم -، وزعموا أنه عليه الصلاة والسلام بعث إلى العرب خاصة، ولم يبعث إليهم، فعند ذلك نزلت الآية، والمشهورعن اليهود أنهم كانوا ينتظرون مبعث الرسول منهم ليجمعهم بعد فرقة، وينصرهم بعد هزيمة،﴿وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[6]. أي: يطلبون

---

[1]- الرباعي،عبد القادر(١٩٩٩م) **الصورة الفنية في شعر أبي تمام**،ط٢،ص٢٠٣، دار الفارس،عمان.
[2]- الجرجاني، عبد القاهر، **دلائل الإعجاز في علم المعاني** ،ص٤٢٤.
[3]- سورة الجمعة(الآية : ٢).
[4]- ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٣،ص٢١٣.
[5]- ابن الأثير، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**،ج٢، ص١٢٤.
[6]- سورة(البقرة: ٨٩).

الفتح بذلك المنتظر،﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[1]. والقرآن الكريم

يمتاز في أسلوبه العذب، ويظهر ذلك من خلال استقراء آية المثل القرآني، والظواهر الفنية الكامنة في أعماق ذلك المثل، فالأصوات المجهورة التي وردت في آية المثل(٥٤) صوتاً، لها قوتها ولها تأثير مختلف عن المهموسة التي وردت في آية المثل(١٢) صوتاً، وكذلك التفخيم والترقيق والشدة والرخاوة، وقد احتوت آية المثل القرآني على (١٢) صوتاً انفجارياً، و(١٨) صوتاً احتكاكياً كما في جدول رقم (٢)، ويُلاحظ فاعلية تلك الأصوات وجماليتها المعنوية، التي تؤثر على نشاطه الإيقاعي والانبعاث الموسيقي.

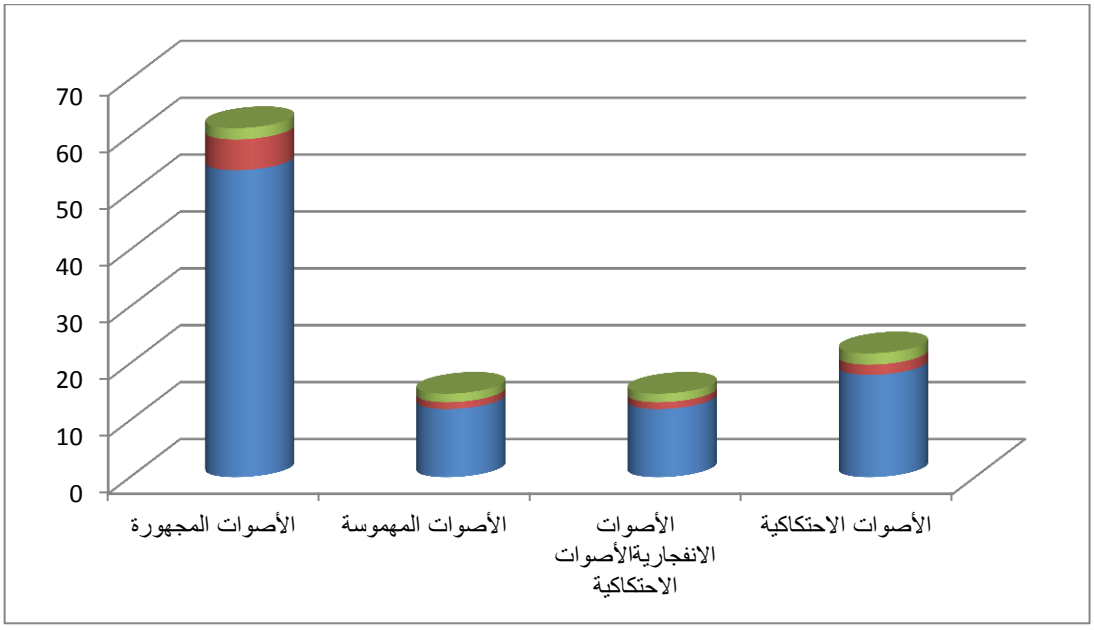

جدول توضيحي لنسبة الأصوات داخل آية المثل القرآني... رقم (٢)

من خلال دراسة مدى تأثير الأصوات المجهورة في آية المثل القرآني السابق، سيتضح مدى الانسجام بين طبيعة الأصوات والمعنى(المعنى الصوتي)[2]. حيث يلاحظ المتلقي الانسجام الصوتي بين الصوت والمعنى في جدول الأصوات المجهورة، وقد ساهمت في إغناء آية المثل بتأثيرها

[1]- سورة(البقرة: ٨٩).
[2]- سلوم، تامر(١٩٨٣م) **نظرية اللغة والجمال في النقد العربي**،ط١،ص٤٤، دار الحوار، اللاذقية، سوريا.

التنغيمي وإيقاعها الموسيقي في مفرداتها، ومن الأصوات الانفجارية البارزة، صوت(الباء) في قوله: ﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ﴾،وقوله:﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾،وجاء هذا الصوت " **شديداً مجهوراً**[1]".

الأصوات المجهورة التي وردت في آية المثل القرآني		
الصوت	**المفردة القرآنية**	**عدد ورودها**
الباء	بِئْسَ، كَذَّبُوا۟، بِـَٔايَـٰتِ	**٣ مرات**
الدال	يَهْدِى	**مرة واحدة**
الذال	ٱلَّذِينَ، كَذَّبُوا۟، ٱلَّذِينَ	**٤ مرات**
الراء	أَسْفَارًۢا، ٱلْحِمَارِ، ٱلتَّوْرَىٰةَ	**٣ مرات**
الظاء	ٱلظَّـٰلِمِينَ	**مرتين**
اللام	مَثَلُ، ٱلَّذِينَ، حُمِّلُوا۟، ٱلتَّوْرَىٰةَ، لَمْ، يَحْمِلُوهَا، كَمَثَلِ، ٱلْحِمَارِ، يَحْمِلُ، مَثَلُ، ٱلْقَوْمِ، ٱلَّذِينَ، ٱللَّهِ وَٱللَّهُ، لَا، ٱلْقَوْمَ، ٱلظَّـٰلِمِينَ	**٢٥مرة**
الميم	ٱلظَّـٰلِمِينَ، ٱلْقَوْمِ، مَثَلُ، يَحْمِلُ، يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ، ٱلْحِمَارِ، لَمْ، ثُمَّ، حُمِّلُوا۟،	**١٣ مرة**
النون	ٱلظَّـٰلِمِينَ، ٱلَّذِينَ ٱلَّذِينَ،	**٣ مرات**
المجموع		**٥٤ مرة**

ويصف علماء الأصوات حرف(الباء) بأنه من " **الأصوات الصامتة المجهورة الشفوية الانفجارية**[2]" ويعد من حروف القلقلة في علم التجويد والتغني بالقرآن الكريم، أي " **يجمع بين الشدة والجهر**[3]"والقلقلة بِحَدِّ ذاتها تعَرّف بأنّها: " **شِدَّة الصّوت**[4]"ويقول العلايلي عن دلالة هذا الحرف:

---

[1]- كمال، بشر(٢٠٠٠م)**علم الأصوات**، د.ط، ص٤٦، دار غريب، القاهرة.
٢- بشر،**علم الأصوات**، ص٩٨.
٣- ماريوباي، **أسس علم اللغة**، ص٩٣.
[4]- المبارك، محمد(١٩٧٣م) **دراسة أدبية لنصوصٍ من القرآن**،ط٤، ص٥٣، دار الفكر، دمشق.

" إنـه لبلـوغ المعنـى، وللقـوام الصـلب بالتفعُـل، ويقـول عنـه الأرسـوزي: إنـه يـوحي بالانبثـاق والظهور[1]".

وقد برز ذلك واضحاً لذهن المتلقي في قوله:﴿ كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ﴾ إن حضور صوت (الباء) المجهور بصفته ومخرجه وتكراره في آية المثل السابق(٣) مرات، حضوراً مناسباً لسياق الكلام، ومن الأساليب النحوية التي استخدمها العرب للتعبيرعن الذم (بئس) وهو فعل جامد وضع لإنشاء الذم،" **ولم تأت (بئس) في القرآن إلا ساكنة العين**[2] "وجاء فاعل بئس في القرآن (٣٦) مـــــــرة مقرونـــــــاً بـــــــال﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴾[3]، ﴿يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾[4]، ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ ﴾[5] وورد(١٠) مرات مضافا إلى ما فيه، وجاء بئسما في تسعة مواضع. وكان الفاعل ضميراً مبهماً مفسراً بنكره في قوله تعالى:﴿ بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾[6]. لقد لقد ذم الله تبارك وتعالى أولئك القوم، ودمغهم بأنهم مكذبون بآيات الله تعالى، وجردهم سبحانه وتعالى من هداه ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾لأنهم ظالمون لأنفسهم، وكيف يهدي الله الذين هم عن هداه مبتعدون؛ ولآياته مهملون، ولفضله رافضون، إن الهدى لمثل هؤلاء القوم لا يكون.

وجاءت لفظة(بئس) في آية المثل، بعد أن بين الله تبارك وتعالى حال أولئك اليهود في جهلهم وضلالهم وتكذيبهم بالتوراة والقرآن ﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾ و﴿بِئْسَ﴾ لفظ جامع لأنواع الذمّ كلها، وجاءت لفظة(بئس) بجرسها وإيقاعها في آية المثل السابق، لترسم مشهد الأحبار الذين شبههم الله كحال الحمار الذي لا ينتفع بما عليه وبين يديه من علم، وهذا المثل استوفى

١- المباركي، يحيى بن علي(١٤٢١هـ) **الكم الزمني لصويت الغنة في الأداء القرآني**،المجلد (١٣) العدد (٢١) مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، مكة.
٢- بشر،**علم الأصوات**، ص١٢٣.
٣- سورة هود(الآية:٩٩).المباركي، **الكم الزمني لصويت الغنة في الأداء القرآني**، المجلد (١٣) العدد (٢١).
٤- سورة الكهف(الآية:٢٩).
٥- سورة الحجرات(الآية:١١).
٦- سورة الكهف (الآية :٥٠).

الذم الذي يكون في سائر أمثال السَّوْء. وحملت لفظة(بئس) لذهن المتلقي التنبيه الرباني لكل من حمل كتابه وحفظ آياته، أن يتعلم معاني ذلك الكتاب الإلهي، ويعلم ما فيه من أحكام، ويعمل بما فيه من أمر واجتناب ما فيه من نهيٍ؛ حتى لا يكون في ركب الذين ذمهم الله من أولئك اليهود. فهو تنديد وتحذير لطائفة اليهود، وفي الآية لفته أخرى من حيث المعنى تنبه الجماعة المسلمة التي نزل عليها القرآن الكريم وقامت بحمل الرسالة، أن تؤدي حق الله، وتحكم كتابه، روي عن ميمون بن مهران أنه قال: " يا أهل القرآن ! اتبعوا القرآن قبل أن يتبعكم"، ثم تلا هذه الآية﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ...﴾أنه تنبيه وتحذير للجماعة المسلمة من أن يكونوا مثلهم، وأن لا ينتفعوا بما بين أيديهم من كتاب الله ...

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا﴾[1].

وآيات الأمثال القرآنية في أسلوبها المميز، تختار في مفرداتها التعبير الأنسب والتصوير الأقرب الذي به تتأثر عقول المتلقين وتعمل على إثارة نفوسهم لتصل الرسالة إلى كل إنسان مهما بلغ حد تفكيره، فالتشبيه في آية المثل القرآني" **وإن كان عنصراً بيانياً يكسب النص روعة واستقامة وتقريب فهم،إلا أنه يعود ضرورياً لأداء المعنى القرآني متكاملاً من جميع الوجوه**[2]".

ومن هنا نلحظ الصلة الوثيقة بين الجرس التنغيمي والتأثيرات الشعورية والوجدانية في آية المثل القرآني التي تصاحب التناغم الموسيقي في نص المثل، فصوت (الدال) مع مفردة (يهدي) في قوله تعالى:﴿لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، شكلت نسيجاً منتظماً بين الصوت ودلالة المعنى، فالهداية لا تكون للقوم الظالمين، والمحبة من" **أكمل مقامات العارفين.. وهي إيثار من الله تعالى لعباده المخلصين (ويقول) فالمحبة تكون هبة من الله تعالى لأصفيائه من الأولياء**[3]" ويقول القشيري واصفاً الحب الإلهي إن الحب هو تفضيل الله لجماعة معينة من الناس هم عباد الله المخلصين بقوله"

---

[1]- سورة الإسراء (الآية:٨٢).

[2]- عتوك، محمد إسماعيل(١٤٢٥هـ) **من أسرار الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن**، ملتقى الحديث الشريف،ص٢٣٤.

[3]- المكي، أبو طالب محمد عبد الله المكّي(١٩٦١م) **قوت القلوب**،ط١،ج١،ص٥٠، مكتبة مصفى البابي الحلبي، القاهرة.

الحب حالة شريفة، شهد الحق سبحانه بها للعبد، وأخبر عن محبته للعبد[1]"، ويرى القشيري إن" **الله تعالى إذا أراد أن ينعم على عبده بصورة عامة فإن هذه النعم تدخل في باب الرحمة الإلهية أمّا إذا تعلقت بخصوصها فإنّها تسمّى رحمة**[2]".

وفي تنغيم صوت (الذال) كما في قوله تعالى:﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ﴾،﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾قد ورد تواتر ذلك الصوت في آية المثل القرآني(٤ مرات)، وفي إيقاعها الداخلي ورسم حروفها الخارجي إيقاع صوتي يوحي للمتلقي، الإنذار والوعيد ومصير الكافرين المؤلم؛ لأن هذا الصوت المجهور ذو وقع قوي ومؤثر يكشف للمتلقي أبعاد المعنى المراد في آية المثل القرآني، وتلفت الانتباه للخطورة المترتبة عليهم، وفي قوله تعالى﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ﴾،﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ﴾ تكرار أصوات ذات طبيعة متقاربة في صفة الجهر فتلازم معاني متقاربة ومترابطة كما في آية المثل القرآني، ويرى المتلقي التتابع الصوتي لأصوات الجهر، فصوت الذال﴿ ٱلَّذِينَ﴾، و﴿ كَذَّبُواْ﴾ فيها الصوت المجهور المفخم يتبعه المجهور المرقق،(الذين- حملوا- كذبوا)، مع هذا التتابع الصوتي الرابط بين المقدمات (الذين- كذبوا) والنتائج التي تظهر المصير الموحش والمؤلم الذي يزداد سواداً وضبابية، فمثل الذين نزلت عليه الكتب السماوية،والرسل والأنبياء ولم يتبعوهم،كانت النتيجة المبدئية، مثلهم مثل الحمار الذي عليه جميع ألوان الكتب وما فيها من كنوز وأسرار،ولكنه لم ينتفع بها لجهله ما يحمل.

ويلاحظ المتلقي في صوت (الذال) المجهور تتابعاً في الاستعمال في آية المثل ﴿ٱلَّذِينَ، كَذَّبُواْ﴾، وبعد صوت(الذال) نجد صوت (الراء)، حاضراً في آية المثل القرآني، إذ بلغ عدد مرات تواتره في المثل(٣) مرات، ومن المفردات التي برز فيها صوت(الراء) داخل آية المثل القرآني، قوله تعالى:﴿ كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ﴾ وقوله:﴿يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ وقوله:﴿حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾، وصوت (الراء) يُعرفه كمال بشر بقوله: " **الراء في الإنكليزية يختلف نطقها باختلاف موقعها. أما العرب فلا يميزون بين**

---

[1]- القشيري ،عبد الكريم بن هوازن(٢٠٠٧م) **لطائف الإشارات تفسير القرآن(تفسير القشيري)**،تحقيق: عبد اللطيف حسن،ص٣١٨،دار الكتب العلمية، بيروت.

[2]- المصدر السابق، ص ٣١٩ .

هذه الراء وتلك. ففي اللغة الإنكليزية النموذجية Standard British English لا تكاد الراء تلفظ إذا وقعت في آخر الكلمة مثلSinger ، أو وقعت في وسط الكلمة غير متبوعة بحركة، كما في نحو Garden.وإنما تنطق الراء الإنكليزية إذا تبتعها حركة، سواء كانت في وسط الكلمة وأولهاPresent, Right, Red..."[1]".

ومن صورالتنغيم الصوتي في فن التشبيه، ما رسمته لنا آية المثل القرآني، بعد استقراء الآية نجد استخدام المفرد والمثنى والجمع في نظم آية المثل، وتكشف لذهن المتلقي عن ظواهر تعبيرية جديرة بالملاحظة والتسجيل للباحث والدارس، ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ثمة لفته جمالية في الإفراد والجمع في الآيات التي ذكرت الحمار، فهم **"حمر بالجمع لأن الدلالة مهمة لأجل وصف مشهد قطع المسافات الشاسعة والهرب من الحيوان المفترس فهنا لقطة بعيدة فالجمع يزيد من التعبير عن الخوف ويجلّي مشاعر الابتعاد والنأي عن الاستجابة للدين القويم. وقد جاء في هذه الآية (الحمار) في حال الإفراد[2]"**، واستطاعت لفظة(الحمار) في آية المثل، أن تبعث جوانب الصورة في دلالتها وتعددها، وذلك لكي تلفت انتباه المتلقي، وتوجه الصورة نحو الاعتناء بجزئية معينة، وهو مشهد حي يجسد تجلّي جزئية ذات توتر نفسي، فنرى لا مبالاة الحمار التي لا نراها من بعيد، ونرى مشهد الكتب المتراكمة فوقه.

وقد تأتي المفردة القرآنية بصيغة الجمع، مما يضفي جمالية، يلمس المتلقي عبيرها وتنغيم أصواتها، ففي قوله تعالى:﴿إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾، لوحة جمالية مفعمة بدقة التصوير، فالعدول من صيغة الإفراد إلى صيغة الجمع رسم مشهداً حياً لـ **" صورة منفردة غاية التنفير، تزيدها بشاعة صيغة الجمع (الحمير)، وتوحيد كلمة (صوت) الذي يدل على صوت هذا الجنس البالغ غاية القبح بسبب ارتفاعه وصخبه[3]"**، ويستوقفنا منظور آخر في أداء اللفظ القرآني صوتاً ومعنى، وهو صورة مشهد المقابلة بين صوت وأصوات، مما يعني منع سيطرة الفرد على الجماعة المسلمة، فقد روى الترمذي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال: **" يد**

---

[1]- بشر،**علم الأصوات**، ص ١٧٧.
[2]- البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ص١٢٣.
[3]- عتر، نور الدين (١٩٩٥م) **علوم القرآن الكريم**،ط١،ص٨٣،مطبعة الصباح،دمشق.

الله مع الجماعة[1]" وان الفاعل يغدو ممتلكاً حجم أصوات ويغدو بعدئذ كالحمار في صوته. ذلك ما تتمتع به بعض المفردات القرآنية من رسم صورة جمالية مشرقة ثبتت جماليتها عبر العصور والدهور فلم تتغير أو تتزعزع، وجاء فن التشبيه في آية المثل القرآني هنا، مصوراً أمراً معنوياً مجرداً وهو عدم انتفاع اليهود بالتوراة، بصورة محسوسة مجسَّمة وهي صورة الحمار الذي يحمل الكتب ولا يعي ما فيها، وذلك لأجل توضيح المشبه وتصويره في هيئة قبيحة تشمئز منها النفوس السليمة، ولا غرو فالحمار رمز للغباوة والبلادة، والغرض من هذا التشبيه" **التنفير من حال اليهود، وتقبيح صورتهم، وذمهم؛ لما في هذا المثل من إظهارٍ لمدى جهلهم، وبلادتهم؛ فهم أسوأ حالاً من الحمار؛ لأن الحمار لا إدراك له، وهؤلاء لهم إدراك لم يستعملوه، وقد استحق اليهود هذا الوصف؛ لأنهم لم يعملوا بمقتضى علمهم، والآية تنطبق على كل من سلك مسلكهم، ونهج منهجهم**[2]".وهكذا كان لصوت(الراء) نصيب في بيان المعنى المراد في آية المثل السابق، فعندما يتم استقراء مفرداته، نجد أن هذا الصوت المجهور استطاع بأدائه وتنغيمه، كشف أعماق فن التشبيه في آية المثل القرآني؛ لأن التشبيه من الأساليب الأكثر مناسبة لتقريب الإدراك لعقول الذين لم يتمكن الإيمان في قلوبهم، كأحبار اليهود الذين شبههم الله بالحمار يحمل أسفارا.

ومن الأصوات التي كان لها الأثر التنغيمي في آية المثل القرآني، صوت (اللام)الذي بلغ عدد تواتره في آية المثل السابق(٢٥) مرة، وهو من الأصوات اللثوية الأسنانية؛ يخرج بالتصاق ذلق اللسان بجذور السنين الأماميين في الفك الأعلى، وقد وصفه ابن الجزري بصفة الانحراف؛ لأنه صوت جانبي يسمح بمرور هواء الزفير من أحد جانبي اللسان، وهو صوت يخرج من ذلق اللسان بسهولة ويسر وخفة، ومما يساهم في تأثير هذا الصوت في آية المثل القرآني امتزاجه " **بغيره من الأصوات السابقة أو اللاحقة له، فقد يتاثر بالحركات السابقة له، فيُفخم إذا سبق بفتح أو ضم، ويرقق إذا سبق بكسر، ويتماثل مع كثير من الأصوات**[3]"، مثل الصوامت اللثوية والأسنانية، خاصة

---

[1]- الألباني، محمد ناصر الدين(١٩٨٨م)**صحيح الجامع الصغير وزياداته**،ط٣،ج٢ برقم (١٨٤٨)،المكتب الإسلامي، عمان، الأردن.

[2]- الخفاجي، شهاب الدين أحمد(د.ت)**عناية القاضي وكفاية الرّاضي على تفسير البيضاوي**،ج٦، ص٢٣٢، دار صادر، بيروت.الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل ووجوه التأويل** ،ج ٤، ص٣٥٠.

[3]- حسان، تمام، **دراسات في علم الأصوات**، ص٦٧.

في لام التعريف وما يتبعها من أصوات في الكلمات المعرفة﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾،" **هذا الصوت يتصف أيضاً بالجهر، بل هو صوت من الأصوات التي تحتل أعلى درجات الجهر**[1]".

وجاء أثر الصوت في مفردة﴿حُمِّلُواْ﴾، لترسم لذهن المتلقي الانسجام الصوتي بين الصوت والمعنى المراد وهو الإلصاق، فجاءت مفردة ﴿حُمِّلُواْ﴾، مترابطة مع لفظة﴿ٱلۡحِمَارِ﴾، يقول العلايلي " **أن من معاني صوت اللام الملاصقة والمساس**[2]"وكأن الذين حملوا التوراة لم يكونوا أصحاب علم ودراية، بل كانوا على جهل؛ لأنهم لم يتبعوا نبي آخر الزمان الذي كان مكتوباً عندهم في ﴿ٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾، وكان حال أولئك القوم أنهم ظالمون وقوله:﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، إخبار عنهم بأن سوء حالهم، لا يرجَى لهم منه انفكاك؛ لأن الله تعالى حرَمَهم اللطف والعناية بإنقاذهم؛ لأنهم ظلموا أنفسهم بتكذيبهم للنبي محمد - صلى الله عليه وسلم - دون نظر، وجحودهم لآيات الله تعالى دون تدبر.

لقد كان الانسجام بين صوت اللام والمعاني المرادة في آية المثل حاضراً. وكذلك لفظة ﴿ٱلۡحِمَارِ﴾، فقد شبه المثل هنا اليهود ووصفهم أنهم حملة التوراة ولكنهم لا يعملون ما بها من وصايا وحقائق، ولا ينتفعون بآياتها،"**وذلك أنّ فيها نعت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- والبشارة به ولم يؤمنوا به- بالحمار حمل أسفارا، أي كتبا كبارا من كتب العلم، فهو يمشى بها ولا يدرى منها إلا ما يمر بجنبيه وظهره من الكد والتعب. وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله**[3]".

ومن الأثر التنغيمي لفن التشبيه في آية المثل االسابق، تكرار بعض الحروف كما هو واضح في جدول الأصوات المجهورة، التي تحمل من دلالات التنوع والتلون وفقا لمضمون آية المثل والجو العام لتلك الآية، فقد اجتمع في آية المثل (٢٥ لاماً) ، (١٣ ميماً)، وقد منح تكرارها آية المثل القرآني تنغيماً صوتياً وجرساً غنائياً، يساهم في إيضاح المعنى المراد من المثل.

---

[1]- حسان، تمام، **دراسات في علم الأصوات**، ص٧٣.
[2]- عباس، **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، ص٥٥.
[3]- الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل ووجوه التأويل** ،ج٤،ص ٥٣٠.

والمتأمل لآية المثل السابق، وحضور الأصوات المجهورة فيها بعدد لافت، يجد أن لآيات الأمثال في القرآن الكريم، نسقها الخاص في نظمها وطريقتها لرسم صورة التشبيه مما يساهم في تجسيد ذلك المشهد بكل دقة وإيحاء للغرض المطلوب من ضرب آية المثل القرآني.

ومن آثار التنغيم الصوتي في آية المثل القرآني تواتر حروف الهمس فيه، فقد بلغ عدد تواترها(١٣) صوتاً، وقد جاءت هذه الأصوات مساهمة في تشكيل عنصر التوسع والخيال في الصورة الموصوفة لأولئك اليهود،وحال نفسيتهم والظلم الذي اقترفوه ﴿حُمِّلُواْ،يَحۡمِلُوهَا، ٱلۡحِمَارِ، يَحۡمِلُ﴾ فأغلب الأصوات التي تواترت في آية المثل القرآني وتتحدث عن الإلصاق والملامسة، أصوات مهموسة، كصوت الثاء﴿ مَثَلُ﴾،وصوت التاء﴿ٱلتَّوۡرَىٰةَ ،بِـَٔايَٰتِ﴾، وصوت الحاء ﴿حُمِّلُواْ﴾، والهاء﴿ يَحۡمِلُوهَا﴾،والسين﴿ أَسۡفَارَۢاۚ، بِئۡسَ﴾التي تحمل ملمح قوة التوصيل، ليتناسب كل ذلك مع وصف حال أحبار اليهود وصورة جهلهم وضلالهم التي رسمتها لنا آية المثل القرآني، وفيه أيضاً تمازج لبؤس حالهم وصورة بطلان عقيدتهم وبعدهم عن الحق.

الأصوات المهموسة التي وردت في آية المثل القرآني		
الصوت	**المفردة القرآنية**	**عدد ورودها**
التاء	ٱلتَّوۡرَىٰةَ ،بِـَٔايَٰتِ	مرتين
الثاء	مَثَلُ،كَمَثَلِ،مَثَلُ،ثُمَّ	٤ مرات
الحاء	حُمِّلُواْ، يَحۡمِلُوهَا،ٱلۡحِمَارِ، يَحۡمِلُ	٤ مرات
السين	أَسۡفَارَۢاۚ، بِئۡسَ	مرتين
المجموع		١٢ مرة

إن صوت (التاء) مهموس وانفجاري شديد" **إنه للاضطراب في الطبيعة الملامس لها بلا شدة**[1]" وقد بلغ تواتره في آية المثل القرآني (مرتين)، وعلى الرغم" **مما أسند إلى هذا الحرف من الشدة والإنفجار وما وصف بالقرع بقوة، فإن صوته المتماسك المرن يوحي بملمس بين الطراوة والليونة**[2]" وكأن جرس هذا الصوت بليونته يرسم للمتلقي، حال الكتاب المقدس الذي نزل على اليهود، وما في ذلك الكتاب من ليونة ويسر على بني إسرائيل، بل ربما وصف حال الأنبياء الذين أرسلهم الله إليهم، وكيف كانت معاملتهم الموصوفة باللين والحكمة والسهولة، فصوت (التاء) يوحي فعلاً بإحساس لمسي ومزيج من الليونة، فقد مثّل حال اليهود مع كتابهم الهين اللين، وجاء ذلك متطابقاً مع لفظة ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾، وكأنها جاءت لتفسر أين تكمن الليونة والسهولة، وهي تتفق مع ما قاله العلايلي في اختصاص الصوت المهموس.

وصوت (التاء) في لفظة﴿بِـَٔايَٰتِ﴾، يرسم لوحة تتشكل فيها ملامح القوة والتعظيم لقدرة الخالق سبحانه وتعالى في ضرب الأمثال وإرسال تلك الرسل، ويلحظ المتلقي أن صوت(التاء) ارتبط ظهوره في ضرب الآيات التي تتحدى أحبار اليهود، وهي من المواقف الصعبة، بل ساهم هذا الصوت من خلال المفردات القرآنية في آية المثل إظهار القوة الكامنة في كتب الله وبيان صدق نبوة سيد البشر محمد – صلى الله عليه وسلم- ،كما يظهر من خلال سياق آيات المثل القرآني، في الكلمات ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾،﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾فجميعها تظهر سمة القوة في إظهار الحق والليونة في التبليغ والحكمة في القول.

ومن المواقف التي يظهر فيه أثر التنغيم الصوتي في حروف الهمس، واقتضى التنبيه ما نجده في صوت(الثاء) وهو صوت مهموس رخو، يصوّر المشهد وكأنه حقيقي لذهن المتلقي على أكمل وجه في آية المثل﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ﴾،﴿كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ﴾،﴿ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا﴾،يقرب (صوت الثاء) المشهد ويسلط الضوء على صورة التشبيه التي ألصقها الله تعالى بحال اليهود الذين يعلمون ولا ينتفعون بما

[1]- العلايلي، **تهذيب المقدمة اللغوية**، ص١٢٣.
[2]- عباس، **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، ص٥٥.

معهم من الدلالات على مصداق نبوة سيد البشر. فصوت الثاء يصف المشهد **"حسياً ومعنوياً**[1]**"** ويظهر ذلاً في قرع هذا الصوت الذي يعد من الأصوات الواضحة في صفة مخرجها وخصوصاً **" الهمس في الثاء** [2]**"**.

وعادت الأصوات المهموسة ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا...﴾ تشكل بتكرار أصواتها وهمسها تأكيداً للموقف، التي رسمته آية المثل القرآني، والتكرار يسلط الضوء على نقاط حساسة في آية المثل القرآني، ويساهم في كشف أعماق المعنى المراد من ضرب المثل، من الناحية النفسية والدلالية والجمالية التعبيرية. فالتكرار ظاهرة تساهم في تعميق أثر التنغيم الصوتي لفن التشبيه في آية المثل القرآني، ورسم تكرار صوت (الحاء) في مفردات الآية﴿حُمِّلُواْ، يَحۡمِلُوهَا، ٱلۡحِمَارِ، يَحۡمِلُ ﴾ مشهد نفسية أحبار اليهود بهذا التشبيه **" فيكون التكرير منبعثاً عن المثير النفسي مفضياً إلى نفس المخاطب بأثره، والتكرير الحاصل نتيجة له وقعة، إذ يدق اللفظ بعدما يتكرر أبواب القلب موحياً بالاهتمام الخاص بمدلوله** [3]**"**.استطاع التكرار في مفردات آية المثل القرآني ،أن يكشف عن تجليات الآية الفنية وتحليل نفسية القوم، وكذلك ساعد **" على استمرار الوحدة التنغيمية وتحقيق التوازي في العلاقات الوثيقة بين البنى التنغيمية والتركيبية والإيقاعية وفي التطابق بين السمات الأسلوبية**[4]**"**.

يلحظ المتلقي تكرار صوت (الحاء) في آية المثل كقوله تعالى:﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ﴾، وتكرر في قوله:﴿ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا﴾،وتكرر في قوله:﴿ كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢا ﴾، ولعل في البداية ارتبط تكرار الصوت بالمثل المضروب في أول آية المثل، وتوالى المشهد في سرد التمثيل، فكان لكل عمل أساس يقتضي حركة معينة في ضرب المثل وتقريب الصورة لذهن المتلقي تلازم الحدث، فجاء قوله تعالى:﴿ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا﴾، ويبدأ بعد ذلك عرض الصورة كاملة بشخوصها وأحداثها وتفصيل المشهد لذهن المتلقي، فجيء بقوله:﴿ كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢا ﴾، يلاحظ على التكرار هنا أنه يشكل

---

[1]- العلايلي، **تهذيب المقدمة اللغوية**، ص٥٩.
[2]- المرجع السابق، ص٦٠.
[3]- السيد،عز الدين علي(١٩٨٦م) **التكرير بين المثير والتأثير**،ط٢،ص٢١٢،دار الطباعة المحمدية،القاهرة.
[4]- لوتمان، يوري(١٩٩٥م) **تحليل النص الشعري**، ترجمة: محمد فتوح، د.ط، ص٦٤، دار المعارف،القاهرة.

عنصر بناء وربط، فيلازم السرد لآية المثل، وهذا مظهر في بنائية الأحداث، وعنصر ربط بين أول المثل ونهايته، فيظهر المثل وكأنه لوحة واحدة منتظمة الأطراف والأجزاء، مما يشعر المتلقي لآية المثل، بوحدة الموضوع وهو ما يشعر معا بالمتعة والتركيز وعدم التشويش الذهني، ويفهم المراد من آية المثل.

لقد تشكلت للمتلقي من الأحداث الثلاثة التي تتابعت في آية المثل، الصورة بعناصرها الموضوعية والشكلية، وكان عنصر التشبيه والحركة بتفاعله داخل آية المثل، مساهماً في الربط الخارجي الشكلي لآية المثل، مع قدرته الفائقة في دقة تصوير المشهد، فمع كل تكرار لصوت الحاء، كان المتلقي يزدادا إثارة مع الصورة المشبهة والمشهد المثير واستطاعت أن تكشف الأسرار لذلك الغرض.

ولعل من جماليات التعبير الأدبي قدرة الأصوات الانفجارية، وتأثيرها النفسي على المعنى المراد في آية المثل، فقد استطاعت تصوير دقة المشهد بالكامل للمتلقي، وماذا سيكون مصير أولئك الأحبار الذين كان معهم الكتاب والدلائل على صدق النبي- صلى الله عليه وسلم- ومع ذلك لم يؤمنوا.

الأصوات الانفجارية التي وردت في آية المثل القرآني		
الصوت	**المفردة القرآنية**	**عدد ورودها**
الهمزة	أَسۡفَارَۢاۚ، بِئۡسَ	**مرتين**
الباء	بِئۡسَ، كَذَّبُواْ، بِـَٔايَٰتِ	**٣ مرات**
التاء	ٱلتَّوۡرَىٰةَ، بِـَٔايَٰتِ	**مرتين**
الدال	يَهۡدِى	**مرة واحدة**
القاف	ٱلۡقَوۡمَ، ٱلۡقَوۡمِ	**مرتين**
الكاف	كَمَثَلِ، كَذَّبُواْ	**مرتين**
المجموع		**١٢ مرة**

ساهمت الأصوات الانفجارية في آية المثل القرآني، والتي بلغ عدد تواترها(١٢)صوتاً، بشكل كبير في تنغيمها في تقريب المشهد التصويري لذهن المتلقي، من أجل الدخول إلى أعماق وأسرار جو

الآية، وكان حضور صوت (الهمزة) متميزاً في تقريب المعنى لأذن المتلقي﴿ كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾، وقوله تعالى: ﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾، فتتابع الصوت المهموز وتكراره الذي هو أقوى الأصوات الانفجارية وأعمقها ﴿أَسْفَارًۢا،بِئْسَ﴾، قد أضفى تنغيماً وإيقاعا موسيقياً ﴿ كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾فمخرج الهمزة من الأوتار الصوتية، ساهم في جعلها أقوى للتعبير وإظهار الإنفعال النفسي، فلفظة(أسفارا) وكذلك لفظة(بئس) وما أحدثته ارتبط كل هذا التتابع مع حالة الكفار واندهاشهم من قوة التشبيه لهم لأنهم يعلمون بنبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - ولم يؤمنوا، وأخذ بعضهم باللوم على البعض، ولذا جاء الخطاب الإلهي لهم ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾.

وجاءت الأصوات الانفجارية في آية المثل القرآني، داعمة للتصوير الفني والتنغيم الصوتي، حيث تظهر عمقاً لا ينكر معها ذلك الأثر لتلك الأصوات. ففي قوله تعالى:﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ ارتبط ارتباطاً وثيقاً بقوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ .

وكان تأثير التنغيم الصوتي في آية المثل القرآني، واضحاً للمتلقي ، من خلال الأدوات التي تم توظيفها في آية المثل السابق، فقد استخدمت أدوات التشبيه (الكاف، مثل) وفن التشبيه بأدواته وأركانه هو" **أقرب وسيلة للإيضاح والإبانة وأقرب وسيلة لتقريب البعيد من المعاني**[1]"، وآية المثل القرآني فن من التصوير يمازجه التشبيه في سورة الجمعة، ويرى المتلقي أن آية المثل هنا راعت استخدام الفوارق الفنية بين كل أداة فمثلا جاءت الكاف في قوله:﴿ كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ﴾في آية المثل القرآني صورة تبدو لمتأملها عبر ألفاظها وعناصرها، فهي تعكس واقعاً من الحياة لدى أحبار اليهود

[1]- الحمداني، فالح احمد(٢٠٠١م) **الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف**،ط١، ص٨٩. مؤسسة الوراق،عمان.

وعلاقتهم بالنبي - صلى الله عليه وسلم- وجاء صوت (الكاف) في الاستعمال التشبيهي، هو الأصل لبساطته والملاحظ في المثل القرآني، أن أداة الشبه (الكاف) كشفت عن المعنى المراد بكل دقة ووضوح.

نخلص مما سبق إلى أنَّ التشبيه في آيات الأمثال الصريحة جاء تشبيهاً تمثيلياً، وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد،[1] وكلمة المثل في هذه الآيات إشارة إلى أنَّ المراد هو تشبيه هيئة بهيئة، لا ذات بذات. وجاءت التشبيهات في آيات الأمثال القرآنية بصورتين: إما تشبيه محسوس بمحسوس[2]، أو تشبيه معقول بمحسوس. وهذه المحسوسات هي أمور في متناول الناس جميعاً؛ لأن من شأن الأمثال تقريب المعاني البعيدة، وتوضيحها بصورة مشاهدة للمتلقي.

وللأصوات الاحتكاكية أثر في التنغيم الصوتي لآية المثل القرآني، فلو تأملنا الجدول المدرج، نرى أنه يشير للنظام الحرفي في آية المثل، حاملاً (١٨) صوتاً احتكاكياً.

الأصوات الاحتكاكية التي وردت في آية المثل القرآني		
الصوت	**المفردة القرآنية**	**عدد ورودها**
الثاء	مَثَلُ، كَمَثَلِ، مَثَلُ	**٣ مرات**
الحاء	حُمِّلُوا۟، يَحْمِلُوهَا، ٱلْحِمَارِ، يَحْمِلُ	**٤ مرات**
الذال	ٱلَّذِينَ، كَذَّبُوا۟، ٱلَّذِينَ	**٣ مرات**
السين	أَسْفَارًۢا، بِئْسَ	**مرتين**
الظاء	ٱلظَّٰلِمِينَ،	**مرة واحدة**
الفاء	أَسْفَارًۢا	**مرة واحدة**
الهاء	يَهْدِى، وَٱللَّهُ، ٱللَّهِ، يَحْمِلُوهَا،	**٤ مرات**
المجموع		**١٨ مرة**

ويتواصل المشهد التصويري لآية المثل القرآني، بتنغيم صوتي ونسق داخلي يموج فيه ملمح الاحتكاك كصوت(الثاء، الحاء، الذال، السين، الفاء، الظاء، الهاء) كما في مفردات الآية (كمثل، حملوا، أسفارا، كذبوا، الظالمين، الله، يحملوها، بئس) وتكرار صوت (الحاء) الاحتكاكي في آية المثل

[1] - انظر على سبيل المثال: الزركشي، البرهان في علوم القرآن،ج٣،ص٤٨٣.
[2] - للتوسع انظر على سبيل المثال: الزركشي، البرهان في علوم القرآن،ج٣،ص٤٧٨.

القرآني، كما في قوله تعالى:﴿حُمِّلُواْ﴾،﴿يَحۡمِلُوهَا﴾،﴿ٱلۡحِمَارِ﴾،﴿يَحۡمِلُ﴾، فجرس (الحاء) بهمسه واحتكاكه استطاع أن يصور ذلك القوم بعدم انتفاعهم للكتاب السماوي الذي بين أيديهم.

ويعد ذلك من صور التنغيم الصوتي والتعبير الجمالي في آية المثل القرآني؛ لأن حضور صوت (الحاء) واحتواءه على أكثر من لفظة استطاع أن يلعب دوراً بارزاً في آية المثل القرآني، بإيقاعه وقوة جرسه ومدلوله﴿حُمِّلُواْ﴾،﴿يَحۡمِلُوهَا﴾، ﴿ٱلۡحِمَارِ﴾، ﴿يَحۡمِلُۢ﴾، لقد كان لصوت الحاء في لفظة (حملوا) وتعدد وقعه على حال أحبار اليهود صورة تشعر المتلقي بالتوسع مما يحدث في آية المثل من عنصر المفاجأة .

ويشكل التنغيم الصوتي وما فيه من علاقات صوتية داخلية، كما في قوله تعالى: ﴿ كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ﴾،وقوله:﴿بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ ﴾، دقة التعبير والتصوير الداخلي في آية المثل القرآني، فقد ساهمت الحركة والحرف في المفردة القرآنية ﴿أَسۡفَارَۢاۚ﴾، وما لها من حضور في تشكيل القيمة المعنوية للتركيب، ويلمس المتلقي نبرة التحدي لمعجزة القرآن الكريم، والإذلال والصغار لأحبار اليهود الجاحدين، ويظهر ذلك في إيقاع وتنغيم قوله: ﴿ كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ﴾، وقوله:﴿بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ ﴾، وأنها جمل جاءت للإخبار عن شيء ما وأنها تسير على نغمة متوسطة تفيد الإخبار، ثم يكتشف المتلقي أن النبرة تختلف وتبدأ بالصعود عند الوصول إلى المفردة القرآنية في آية المثل القرآني ﴿أَسۡفَارَۢاۚ﴾التي فيها ملمح التحدي والإذلال من جانب آخر لأحبار اليهود، وعادت النغمة بالتوسط حتى وصلت قوله تعالى: ﴿بِئۡسَ﴾ ثم صعدت النغمة مرة ثانية لتنسجم مع المعنى المراد من آية المثل القرآني، وتكشف للمتلقي الجهل الذي يسيطر على علماء اليهود، استطاعت آية المثل القرآني أن" **تخرج منها الألفاظ بنغمات مختلفة، ودرجات متباينة من الشدة والضعف والسرعة، والبطء وغير ذلك من الصفات التي يشرحها علماء**

الأصوات، وعلماء التجويد والقراءات[1]"، ونرى أن تقارب النغمة والإيقاع الموسيقي لها، وتنوعها بين صعود وهبوط ساهم بشكل كبير في فهم المعنى الموجود" **بين النبرين أو انتظم اختلاف بعضها عن بعض حسن إيقاعها**[2]".

ومن اللافت للانتباه في آية المثل القرآني، أصوات المد التي تراعى في تلاوة آية المثل، ومدة ذلك المد بحسب المكون الصوتي أو ما يشكله التركيب، وأثر ذلك في المعنى ومساهمته في توصيله المتلقي، فظاهرة المد في آيات الأمثال القرآنية كغيرها لا تخلو من أسرار معنوية وتصويرية فنية، فقد اجتمعت عدة أصوات فيها المد في الكلمات (الذين، حملوا، التوراة، يحملوها، الحمار، أسفارا، بئس، القوم، كذبوا، بآيات، الله، لا يهدي، الظالمين) ،السياق في آية المثل القرآني، يحتاج إلى أصوات مد لتكون داعمة للتصوير الفني في آية المثل حتى يظهر عمق المعنى المراد، فالنعم والعطايا التي منها الله على بني إسرائيل من إرسال الرسل والكتب ومع ذلك لم ينتفعوا بها فكانوا كالحمار يحمل أسفارا.

والمثل القرآني صورة غنية بالدلالات تعرض نموذجاً ذا خلفية موضوعية تجمع بين أساليب وصيغ متعددة، وغالباً ما تبدأ الصورة بلفظ (مثل، أو كمثل،ضرب الله مثلا،...) وهو أسلوب تعبيري يجمع بين الهدف الديني والفني معاً، ونستطيع أن نتلمس الحاجة الفنية فيه، من خلال المثل القرآني ودلالة الصورة التشبيهية في إفادة المعنى الافهامي للمثل، ففي قوله:﴿ كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ﴾

قد يتوهم المتلقي أن المعنى يُفهم لو اقتصر في التشبيه على قوله:" **كمثل الحمار الذي لا يعقل** "، ولكن جاءت الصورة التي رسمتها آية المثل.

ويلاحظ المتلقي أن آيات الأمثال القرآنية، تميزت برسم مشاهد لصور حية، تنصهر فيها المشاهد المرسومة بين أصواتها وألفاظها ومقاطعها مع فواصلها، وكل الأنسجة والخيوط والأفكار التي قام عليها البناء التنغيمي الصوتي للسورة.

---

[1]- عبد الحميد، حسن(١٩٦٤م) **الأصول الفنية للأدب،ط٢**، ص٣٦-٣٧، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
[2]- أنيس، **موسيقى الشعر**،ص٢٧٠.

النموذج الثاني:

المتتبع لآيات الأمثال القرآنية، يشاهد ذلك النغم والإيقاع الداخلي، فلم نشاهد مثلاً قرآنيا، جمع بين صوت (الجيم مع القاف والظاء والطاء والغين والصاد والحاء مع الهاء) ولم يجمع بين صوت الزاي مع الظاء، والسين والضاد والذال، وقد علل ابن جني ذلك بقوله **" فأكثره متروك للاستثقال وبقيته ملحقة به و مقفاه على أثره** [1]"وآخرون [2] من قبله تنبهوا لهذه المسألة، وفي تنغيم ونظم الأمثال القرآنية، و تنغيمات أصواتها وإيقاع أجراسها، ظواهر تميزت بها ألفاظه وآياته، وأظهرت للمتلقي، الصورة البيانية التعبيرية، التي تؤثر في النفس البشرية، وتحرك فيها الأشجان، وتُعدّل في جوارحها السلوك، وتحتل آيات الأمثال القرآنية مساحة كبيرة ومهمة من حياة الإنسان (المسلم) الإيمانية والجمالية الأخلاقية، فتنوعت الأساليب بتنوع التراتيل القرآنية، وبرعت ألفاظها وتنغيم أصواتها في تحقيق المعنى المراد من آية المثل القرآني، من خلال التنغيم الصوتي، والجرس الإيقاعي لألفاظه وتراكيبه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾[3].

مناسبة آية المثل القرآني:

جاءت آية المثل القرآني بجرس إيقاعي، يلفت انتباه المتلقي، وقد جمعت بين جنباتها حروف المعجم كلها، لا يبدو في تلاوتها شيء غير مألوف على الأذن والسمع، وسورة الفتح مدنية، جاءت للتنويه بكرامة النبي عند ربه، فأخبر سبحانه عن النبي - صلى الله عليه وسلم- بأنه رسول من عنده، تعظيماً لشأنه وإظهاراً لقدره، ووعده بالنصر، وبأن العاقبة ستكون له ولمن معه من المؤمنين، وجاء هذا البيان الإلهي بعد أن **" أنكر المشركون، ما حدث بينهم وبين الرسول الأعظم - صلى الله عليه وسلم- في حادثة صلح الحديبية وقالوا: لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، وقد**

---

[1]- ابن جني، **الخصائص**، ج١،ص٥٤.
[2]- انظر: الجاحظ، **البيان والتبين**، ج١،ص٣٩، وابن الأثير،**المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ج١، ص١٦٦.
[3]- سورة الفتح (الآية : ٢٩)

خفيت على كثير من الصحابة[1]" وبعد أن أبرمت الفئة المؤمنة ذلك الصلح الذي كتبه القائد الأول محمد- صلى الله عليه وسلم- مع المشركين، ظن بعضهم أنه ضعف لهم، فجاء البيان الإلهي مخبراً أن محمد رسول الله، وأنه مؤيد من عنده سبحانه﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾. وجاءت الآيات في بداية السورة الكريمة، تصف حال الجماعة المسلمة مع بعضهم البعض، وتصف حالهم مع ربهم وافتقارهم له وعكوفهم على عبادته فقال فيهم سبحانه:﴿ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[2] ثم رسمت حال طائفة أخرى كافرة:﴿وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ ﴾[3]، هؤلاء الذين لم يصحبهم نور الإيمان، لقد جاءت الآيات بمشهد يصَوِّرللمتلقي تصويرًا دقيقًا، لأحوال أولئك الملحدين، الذين سلكوا طريق الكفر، ثم تنقلنا الآيات بجمالية تعبيرها، لإثبات برهان صدق الرسول الأعظم - صلى الله عليه وسلم- في رؤياه، ووصف حال الطمأنينة التي استقرت في نفوس المؤمنين، وأعقب ذلك المشهد بيان شأن الرسول- صلى الله عليه وسلم- والثناء على المؤمنين الذين معه،﴿ مُّحَمَّدٌ ﴾ " **أنها إشارة لكل من شهد صلح الحديبية**[4]"، ولعلهم أن يكونوا داخلين ابتداء، وتكون عامة لكل الصحابة. قال ابن عاشور" **والمراد: أصحابه كلهم لا خصوص أهل الحديبية، وإن كانوا هم المقصود ابتداء فقد عُرفوا بصدق ما عاهدوا عليه الله**[5]".

أثر التشبيه في آية المثل القرآني:

لو تأملنا بلاغة التمثيل في آية المثل القرآني، من حيث مقابلة أجزاء المشبه﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾لأجزاء طرفه الثاني في صورة منسجمة متناسقة،﴿ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ﴾لتنبه المتلقي بعقله وسمعه، وذهب ذهنه في مقارنات

---

[1]- ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٢، ص٢٠٣.
[2]- سورة الفتح،(الآية:١٨)
[3]- سورة الفتح،(الآية:٦)
[4]- ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج١٥،ص١٢٣.
[5]- ابن عاشور،**التحرير والتنوير**،ج١٢،ص٢٠٣.

متعددة يخلص منها إلى المعنى المراد من التشبيه، وتأتي الأمثال القرآنية لتسلط الضوء، على الصورة الحية التي ترسمها، حروف كلماته، وجمله وفواصله، ولتكشف للمتلقي، عن أسرار واثر التنغيم الصوتي، والانسجام الإيقاعي، لمفردات الصوت والكلمة في آية المثل القرآني، وللصورة التشبيهية حصة في ثراء المعاني واتساعها ووضوحها، ويلمس المتلقي ذلك عندما تبدأ سورة الفتح ببداية مشوقة، تلفت نظر المتلقي إلى كنوزها وأسرارها، عند الوقوف على مفتاح السورة الكريمة﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[1].

هذه الصورة ذات بعد فني وتنغيم إيقاعي؛ لأنها هيكلت ذلك التشويق ببراعة الاستهلال المشوقة، وكأن التوكيد والشدة فيها، يرسمان لوحة جمالية ومشهداً تعبيرياً عبر(صوامته وصوائته)، والانسجام التنغيمي الذي يثير المتلقي ويبرز به أن هناك وعداً إلهياً، ونصراً ربانياً لنبيه ولعصبة المؤمنين، فقد جاءت الشدة في لفظة (إِنَّا) لتنسجم بتغيمها الموسيقي مع حجم المعاناة التي ذاقها أبناء الدعوة الصادقة، من قريش في مكة والمشركين واليهود في المدينة المنورة، وأنه سيكون بعد هذا العناء والضيق والاضطهاد فتح عظيم، ورفعة وتمكين لفئة المسلمين المستضعفين، جاء هذا التنغيم الصوتي، ليصور للمشاهد والمتلقي ذلك ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾،﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾،﴿أَشِدَّآءُ﴾،﴿رُحَمَآءُ﴾ ﴿ سِيمَاهُمْ﴾،﴿ كَزَرْعٍ﴾،﴿لِيَغِيظَ﴾هذه الصورة الجمالية التعبيرية.

ومن صور التناغم والانسجام الصوتي في آية المثل القرآني، تصوير المثل لنا مشهداً عظيماً ترسمه لنا أصواته، فالتناغم في حروفه وصفاته ومخارجها، ودلالة تلك الأصوات في آية المثل القرآني، صورة محسوسة تفيض بالحركة وتنبض بالحياة،﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾فالتشكل الصوتي الذي تتكون منه آية المثل، من مقاطع وما يتعلق بها من تنغيم﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾، ونبر

[1]- سورة الفتح: (الآية:١).

﴿أَشِدَّآءُ﴾، والحذف، والإبدال، والإدغام ﴿سُجَّدًا يَبْتَغُونَ﴾، وأثر ذلك في التشكل الصوتي التنغيمي

" تصاحب التركيب اللغوي كله كالنبر والتنغيم والطول(المد) و السكت (الوقف) [1]".

وكان لهذا التنغيم الصوتي في آية المثل القرآني، وتمحور ذلك التنغيم في المفردة القرآنية، الأثر الفني في آيات المثل﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾، ورسم ذلك الانفعال صورة جديدة من صور الإعجاز، يقول عبد القاهر الجرجاني:" **ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة، وأن سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع عليه التصوير**[2]".

وساهمت الأصوات الجهرية، وأصوات الهمس، والأصوات الانفجارية، والاحتكاكية، في آية المثل القرآني بشكل كبير في رسم تلك الصورة التعبيرية التي توحي بذلك المشهد العظيم لتلك الفئتين (مؤمنة) صابرة،﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ خاشعة حليمة ورحيمة فيما بينها وبين خالقها ثم تشبيهها ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ﴾ وكأنها زرع يقوى ويقوى حتى يعجب الزراع به، و(فئة كافرة) لابد أن تستعمل معها الشدة والقوة في التعامل معها في القتال والحرب﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾، وقام البحث بعمل جدول إحصاء لتلك الأصوات، وحضورها في المفردة القرآنية لآية المثل، وعدد تواترها في آية المثل القرآني، وصدى كل صوت في التأثير والمساهمة لسياق المعنى، فبلغ عدد الأصوات المجهورة في آية المثل القرآني، (١١٨) صوتاً، وكان لصدى حروفها، ولطبيعة الإنذار والوعيد في جرس أصواتها، الوقع الكبير في آية المثل، أما الأصوات المهموسة فبلغ عدد تواترها في آية المثل القرآني(٢٤) صوتاً. وكان للتنغيم الصوتي للأصوات المهموسة في آية المثل القرآني، الأثر الملموس في ملمحه الذي يوحي باللين، والراحة، والطمأنينة والتبشير للمؤمنين.

١- كشك،أحمد(٢٠٠٦م) **من وظائف الصوت اللغوي**،ط١،ص٧. دار غريب للطباعة والنشر،القاهرة.
٢- الجرجاني،عبد القاهر، **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، ص٢٥٤.

أما الأصوات الانفجارية فكان لها الحظ الوافر في آية المثل القرآني، فقد بلغ عدد أصواتها (٤٠) صوتاً، كما في قوله: ﴿سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا﴾ واستطاعت أن تشكل التوافق السياقي بين الصوت و المعنى المراد من آية المثل القرآني، وكان لحضور الأصوات الاحتكاكية في آية المثل القرآني، دور بارز ، إذ بلغ عددها(٦٧) صوتاً، مما يمثل لونا جماليا فيه كل صنوف التعبير وطريقة الأداء. كما يوضح ذلك جدول رقم (٣).

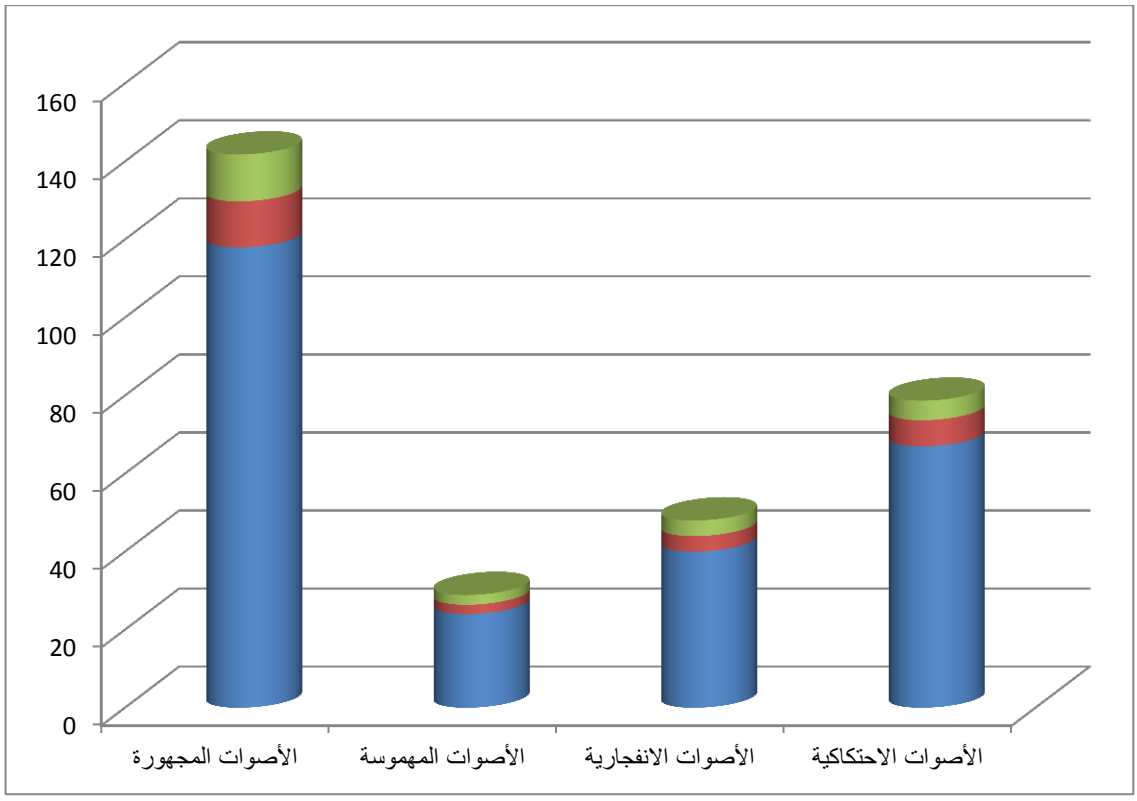

جدول توضيحي لنسبة تواتر الأصوات في آية المثل القرآني ... جدول رقم(٣)

الأصوات المجهورة التي وردت في آية المثل القرآني		
الصوت	المفردة القرآنية	عدد ورودها
الباء	بَيْنَهُمْ، يَبْتَغُونَ، يُعْجِبُ، بِهِمُ	٤ مرات
الجيم	سُجَّدًا، وُجُوهِهِم، ٱلسُّجُودِ، ٱلْإِنجِيلِ، أَخْرَجَ، يُعْجِبُ، وَأَجْرًا	٧ مرات
الدال	مُحَمَّدٌ، أَشِدَّآءُ، سُجَّدًا، ٱلسُّجُودِ، وَعَدَ	٦ مرات
الذال	وَٱلَّذِينَ، ذَٰلِكَ، ٱلَّذِينَ	٣ مرات
الراء	رَّسُولُ، ٱلْكُفَّارِ، رُحَمَآءُ، تَرَىٰهُمْ، رُكَّعًا، وَرِضْوَٰنًا، أَثَرِ، ٱلتَّوْرَىٰةِ، كَزَرْعٍ، أَخْرَجَ، فَـَٔازَرَهُۥ، ٱلزُّرَّاعَ، ٱلْكُفَّارَ، مَّغْفِرَةً، وَأَجْرًا	١٥ مرة
الزاي	كَزَرْعٍ، فَـَٔازَرَهُۥ، ٱلزُّرَّاعَ	٣ مرات
الضاد	فَضْلًا، وَرِضْوَٰنًا	مرتين
الظاء	فَٱسْتَغْلَظَ، لِيَغِيظَ، عَظِيمًا	٣ مرات
العين	مَعَهُۥ، عَلَىٰ، رُكَّعًا، كَزَرْعٍ، عَظِيمًا، عَلَىٰ، يُعْجِبُ، ٱلزُّرَّاعَ، وَعَدَ، وَعَمِلُوا۟	١٠مرات
الغين	يَبْتَغُونَ، فَٱسْتَغْلَظَ، لِيَغِيظَ، مَّغْفِرَةً،	٤ مرات
اللام	رَّسُولُ، ٱللَّهِ، وَٱلَّذِينَ، عَلَى، ٱلْكُفَّارِ، فَضْلًا، ٱللَّهِ، ٱلسُّجُودِ، عَلَىٰ، فَٱسْتَغْلَظَ، مَثَلُهُمْ، ٱلتَّوْرَىٰةِ، وَمَثَلُهُمْ، ٱلْإِنجِيلِ، ٱلزُّرَّاعَ، لِيَغِيظَ، ٱلْكُفَّارَ، ٱللَّهُ، ٱلَّذِينَ، وَعَمِلُوا۟، ٱلصَّٰلِحَٰتِ، عَظِيمًا	٢٧ مره
الميم	مُحَمَّدٌ، مَعَهُۥ، رُحَمَآءُ، بَيْنَهُمْ، تَرَىٰهُمْ، مِّنَ، سِيمَاهُمْ، عَظِيمًا، وُجُوهِهِم، مِّنْ، مَثَلُهُمْ، بِهِمُ، مَثَلُهُمْ، ءَامَنُوا۟، وَعَمِلُوا۟، مِنْهُم، مَّغْفِرَةً	٢٥ مرة
النون	ٱلَّذِينَ، يَبْتَغُونَ، مِّنَ، وَرِضْوَٰنًا، مِّنْ، ٱلْإِنجِيلِ، ٱلَّذِينَ، ءَامَنُوا۟، مِنْهُم	٩ مرات
المجموع		١١٨ مرة

لقد رسمت الآية الكريمة، بحروفها المجهورة، لوحة جمالية مفعمة بالتنغيم الصوتي، ويتضح ذلك من خلال توزيع الأصوات في الجدول السابق. وتجاوز المثل القرآني بنظمه الفريد السمت المعتاد، وطرّز لنا ثوباً جديداً في توظيفه لأصواته الجهرية، وشكلت في نفسية المتلقي دوراً جمالياً خاصاً بنسيج القرآن الكريم" **لا تسمع فيه جرْس حروفه، ولكن تسمع حركاتها وسكناتها، مدّاتها وغنّاتها، واتصالاتها وسكتاتها** [1]" .

ولمعرفة أثر التنغيم في أصوات هذا المثل القرآني، فقد رسم صوت (الباء) بجرسه الإيقاعي، وتنغيمه الجميل، للمتلقي مشهد ذلك التراحم والتعاطف بين فئة المؤمنين﴿ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾، وكأنه يصور بأثره الصوتي ذلك التعانق، والمحبة بين بعضهم البعض، و بجهورته يعلن إعلاناً واضحاً تلك الوثيقة التي تربط أصحاب النبي- صلى الله عليه وسلم- فيما بينهم، وهي صورة مقابلة لشدتهم في التعامل مع الفئة التي قامت بطردهم وتعذيبهم وسلب أموالهم وحرق بيوتهم وتهجيرهم من أرضهم في بداية الدعوة الإسلامية في مكة المكرمة﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾، وكان من شدتهم على الكفار، أنهم كانوا يخافون من تلامس ثيابهم بثياب الكفار. ويأتي المد الواجب المتصل في لفظة﴿ بَيۡنَهُمۡ﴾، كإشارة لانسجام الصوت مع المعنى وكأنه يقول للمؤمنين إن التراحم فيما بينكم واجب بوجوب هذا المد في القراءة الترتيلية.

وما زال الأثر التنغيمي لهذا الصوت شاهداً في ألفاظ آية المثل، كما في لفظة﴿ يَبۡتَغُونَ﴾، فقد ساهم تنغيم صوت (الباء) في هذه اللفظة القرآنية بدلالتها التي ذكرها عباس حسن" **أن صوت الباء هو أكثر الأصوات تمثيلاً للمعاني** [2]" وكأن تنغيم صوت الباء هنا يرمز بسيميائيته إلى الطلب والإصرار من الفئة المؤمنة في قبول حب النبي -عليه الصلاة والسلام-، وهذا دليل على إخلاصهم في العمل الصالح، والافتقار إلى الله تعالى، فهم بتنغيم صوت الباء هنا ﴿ يَبۡتَغُونَ﴾ فضل الله لا فضل سواه، ويلتمسون رضاه. ويظهر ذلك في تفخيم الصوت الذي يليه(الغين) ووجود المد الطبيعي في

١- دراز، محمد عبد الله(١٩٧٠م) **النبأ العظيم " نظرات جديدة في القرآن"** ط٢،ص١٠٠،دار القلم،القاهرة.
٢- عباس، **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، ص٤٦.

اللفظة القرآنية، ما هو إلا شكل من أشكال التوافق والتجانس التنغيمي بين الصوت والمعنى، فافتقار الفئة المؤمنة واللجوء إلى خالقها أمر طبيعي بحكم المد الطبيعي الموجود في المفردة ﴿ يَبْتَغُونَ ﴾، أما أثر التنغيم الصوتي، والظهور المتميز لانسجام هذا الصوت المجهور لبيان دلالته ووضوح المعنى المراد في لفظة﴿ يُعْجِبُ ﴾، وكأنه يرسم للمشاهد والمتلقي، ذلك المشهد الذي شبه القرآن فيه أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - في قوتهم وصلابة إيمانهم وسرعة انتشار الدين في الأرض، بمشهد إعجاب ذلك المزارع وهو يرى بداية نمو ذلك الزرع، وتأتي المفردة الأخرى لتكمل ذلك المشهد التي رسمتها تلك الأصوات﴿ بِهِمُ﴾إن صورة إيقاع ذلك الصوت وشدته، يصور للمتلقي **"هذا الزرع الذي استغلظ فاستوي على سوقه في تمامه وحسن نباته، وبلوغه وانتهائه الذين زرعوه ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ فكذلك مثل محمد وأصحابه، واجتماع عددهم حتى كثروا ونموا** [1]" .

وفي تنغيم صوت (الجيم) الذي بلغ تواتره في آية المثل القرآني (٧ مرات) ليعطي المتلقي مؤشراً يوصله لإدراك جمالياته الفنية، ومتعة جرسه التنغيمية؛ لأن صوت المفردة القرآنية عند العرب" **أساس لتطلعاتها، وآياته مضمار لاستلهام نتائجها، ....**[2]".

ومن هذا التمازج الذي نراه في صوت(الجيم) انسجام الصوت مع المعنى والسياق العام للمثل القرآني، فجاءت لفظة﴿سُجَّدًا ﴾،ولفظة﴿ وُجُوهِهِم﴾، بصدى أصواتها التنغيمية وأجراسها الإيقاعية ﴿فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾،﴿ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا﴾، لكي يستنبط المتلقي الإيحاء المنبعث من الأبعاد الداخلية للصوت في آية المثل القرآني، وهو يوحي بشيء حسي من الطراوة والحرارة، فهيئة المؤمن في السجود والخضوع لله سبحانه وتعالى﴿ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾، ما هي إلا انعكاس لصورتهم الأولى، فلما ذكر الله تبارك وتعالى أخلاقهم مع الخلق، انتقل بنا صوت (الجيم) بتنغيمه الصوتي، الداعم للتصوير الفني في آية المثل القرآني، ليرسم للمتلقي صورة، ذكر أخلاق

١- الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج٢١،ص٣٣٣.
٢- الصغير، **الصوت اللغوي في القرآن**،ص٧٣.

المؤمنين مع الخالق - سبحانه وتعالى-، فوصفهم بحسية مرهفة ووصفهم بأحسن وأشرف الطاعات وأعظمها وهي الصلاة، والتعبير هنا بالركوع والسجود ،﴿ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾،

فدلالة صوت (الجيم) تنسجم هنا مع ذلك الأثر الذي يكون في الوجه جراء كثرة السجود وملامسة جبهة العبد المؤمن للأرض، وكأن الأرض تفرغ تلك الصغائر من الذنوب، فتحتاج لهيئة السجود لتعطي العبد علامة على تكفير الذنوب وقبول العبادة، وهو محمول على ما كان من دون تعمد وقصد؛ لأن فعل ذلك بتعمد يخرجه إلى كونه رياء وسمعة. قال مالك بن أنس:**" كانت جباههم متربة من كثرة السجود في التراب،كان يبقى على المسح أثره**[1]"نرى أن الأثر الصوتي الذي أضافه صوت(الجيم) للمفردة القرآنية، شكل عنصراً أساسيا في فهم المعنى الكامن في دلالة المثل القرآني،**" إن دور الموسيقا في القرآن هذا الدور الكبير لا تنبع أهميته من أنه أحد عناصر الأسلوب الفني أو وسيلته البارزة وسيلة التصوير والتعبير والتأثير فحسب، بل لأنه هدف ديني أولاً، ولأننا نستطيع أن نجعله ثانياً أساساً أو معياراً لأحد علوم القرآن؛ ...**[2]".

ولم يكن صدى ذلك الصوت في لفظة﴿ ٱلۡإِنجِيلِ﴾،﴿أَخۡرَجَ ﴾،﴿ يُعۡجِبُ﴾،كما هو الحال في المفردات السابقة، فقد أعطى دلالة مختلفة وأداءً صوتياً مختلفاً أيضاً، حيث جاءت هنا موحية للمتلقي، بإحساس بصري يدل على الضخامة، فعدد الفئة المؤمنة وقد ورد ذكرهم وصفاتهم في الكتب السماوية السابقة ﴿ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ ﴾،و﴿ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ﴾، حيث تم وصفهم كأنهم زرع أخرج شطأه، والمقصود **" بالشطأ : الفراخ والفروع التي تنبت بجانبه**[3]**"**﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾، فقوّاه: **"أي قوى الزرع شطأه وأعانه"**، وكأنه يرسم لنا تصويراً دقيقاً لحالة تلك الفسيلة (الصحابة ومن معهم) كيف تقوى وتنبت فراخاً وفروعاً ولا تموت هذه الفئة؛ لأن الله تبارك وتعالى قد تكفل بنصرها واستخلافها في الأرض. حتى قام هذا الزرع مستويا على سوقه وهي أعلى حالات تمام الزرع التي تعجب

١- ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**،١٥ج،ص١٢٣.
٢- اليافي، نعيم(١٩٨٧م) **مقال: عودة إلى موسيقا القرآن**، العددان،(٢٥-٢٦)، ص٦٢،مجلة التراث العربي، دمشق.
٣- ابن عاشور، **التحرير والتنوير**،ج١٤،ص٢٤٠.

الزراع،﴿فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ﴾ ومن ثم فهو أحرى أن يعجب غيرهم؛ لأنه لا عيب فيه، إذ قد أعجب العارفين بالعيوب ولو كان معيباً لم يعجبهم، وهنا تم المثل.

وللتنغيم الصوتي أثره الواضح لصوت(الدال) في آية المثل القرآني، وهو يرسم للمتلقي جرساً موسيقياً مختلفاً، فصوت(الدال) صوت مجهور وانفجاري ورد تواتره في آية المثل(٦ مرات) ، ﴿مُحَمَّدٌ﴾،﴿أَشِدَّآءُ﴾،﴿ٱلسُّجُودِ﴾،﴿وَعَدَ﴾، وتكرار صوت الدال المجهور، في آية المثل القرآني، يدل على الانسجام التنغيمي بين الصوت والمفردة والمعنى، فصوت الدال في مفردة المثل﴿ مُحَمَّدٌ﴾ يدل على الوضوح وكأن هذا النبي- صلى الله عليه وسلم - بصدقه وعدله وأمانته وصدق دعوته واضح وضوح الشمس لمن دخل الإيمان قلبه، وإذا لفظة ﴿ رَّسُولُ﴾ وما فيها من تفخيم، ترسم صورة ذلك النبي الأعظم، الذي علا شأنه في الأرض وفي السماء.

ومجيء صوت الدال في لفظة﴿ أَشِدَّآءُ﴾،كان لها الوقع القوي المؤثر، ليكشف للمتلقي أبعاد المعنى الغريب، ولتلفت الانتباه إليه، لخطورته عليهم، فوضوح صوت الدال هنا يدل على وضوح العداوة بين الحق والباطل، وعلى قوة الصراع بين الطائفتين، وكأن الشدة في﴿ أَشِدَّآءُ﴾، تشير بجرسه وقوة وقعه إلى شدة الكراهية للكفار، فطبيعة التهديد والإنذار والوعيد تحتاج إلى أصوات ذات وضوح سمعي لغرض التوصيل ودقة الإسماع، فمن التهديد ما يدرك بهذه المفردة في آية المثل القرآني﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾ وتوحي كذلك بحالة القسر والإكراه والدفع والردع لهم عن إيذاء النبي - صلى الله عليه وسلم - وجاء المد الواجب المتصل في مفردة﴿ أَشِدَّآءُ﴾، وكأنه إشارة إلهية ودعوة ربانية لعصابة المؤمنين، أن الشدة على الكفار وقتالهم وحربهم واجبة، وجوب هذا المد المتصل، وعلى الرغم مما تتصف به الضمة من ثقل إلا أن وجودها آخر المفردة ﴿ أَشِدَّآءُ﴾ جعلها تمتاز

بالقوة " **فهي تحتمل الثبوت على الحرف**[1]" وهكذا تزيد طبيعة الأصوات المجهورة من تأثير وقعها على المتلقي، وبذا يبدو الانسجام الصوتي والتنغيم الإيقاعي في التفاعل بين الصوت والمعنى.

لقد كان لاهتزاز الوترين الصوتيين اهتزازاً منتظماً، والتنغيم الموسيقي الحاصل جراء ذلك الاهتزاز، تأثير واضح في وقعها على المتلقي.

لو تأملنا الجدول المرفق للأصوات الانفجارية وعدد ورودها في آية المثل، نرى أن النظام الصوتي، جاء متنوعاً وحاوياً على تشكيلات تنغيمية، وإيقاعات صوتية متباينة صفة ومخرجاً، وفي استنطاقنا للجدول الأصوات الانفجارية والأرقام التي برزت لنا حقائق من قلب آية المثل القرآني، فقد بلغت عدد الأصوات الانفجارية في آية المثل القرآني(٤٠) صوتاً، وهي كمية تتطلب من القارئ جهداً صوتياً عالياً ونفساً طويلاً لنطقها. وللتنغيم الصوتي والجرس الموسيقي في آيات الأمثال القرآنية أسباب تستدعيه، وللنغم القرآني قواعد تشكله، ومن أهم قواعد تشكّل التنغيم في موسيقى القرآن" **تسع هي: التنوع، التقابل، الترجيع، التوقع، الإضافة، الترنم، السكت، القفلة، الفاصلة**[2]"، وكان للأصوات الانفجارية أو ما تسمى بالوقفي؛ ما يضفي على جرس المفردة القرآنية في آية المثل قوة، ونراه يرتبط بالحالات الانفعالية والتهديد والوعيد وعظيم الجزاء في الغالب.

إننا نجد الشدة داخل ﴿أَشِدَّآءُ﴾، وذلك لوجود تصويت انفجاري في الهمزة، وهذا " **النفس الشديد يعني انقطاعا فالصلابة في الصوت والمعنى، في حين نجد في﴿رُحَمَآءُ﴾تواصلا إذ لا سكوت في التركيب**"[3]، وهذا يعني أن الشدة مؤقتة آنية والرحمة متواصلة مع تواصل السهولة من الضم إلى الفتح إلى مد الألف، وكان الزمن لا يقف في نطق رحماء وفي تطبيق الرحمة فالمرونة في الصوت والمعنى.

ومن الظواهر الصوتية غير التركيبية التي ظهرت في آية المثل القرآني، النبر في مفردات المثل، فالنبر" **نشاط في جميع أعضاء النطق في وقت واحد**[4]" فيعطي الصوت قوة ووضوحاً، وينشأ عن ذلك مؤثر صوتي له دور وفاعلية في إظهار جماليات صوتية في آية المثل القرآني تتحقق من خلال

١- أنيس، إبراهيم، **الأصوات اللغوية**، ص٢٥٦.

٢- اليافي، نعيم(١٩٨٤م) **مقال بعنوان: قواعد تشكل النغم في موسيقا القرآن**، العددان،(١٥-١٦)، ص١٣٣،مجلة التراث العربي، دمشق.

٣- الخطيب، عبد الحليم(١٩٩٧م) **أسرار معجزة القرآن الكريم**، ط١، ص٢٣٤-٣٢٧، دار القلم العربي، حلب، سوريا.

٤- أنيس، إبراهيم، **الأصوات اللغوية** ، ص١٦٩.

التحول في نبرة الصوت، وقد تحدث تحولاً في المعنى، في لفظة ﴿أَشِدَّآءُ﴾فالنبر هنا أحدث نشاطاً صوتياً يجعل المتلقي يبحث في آية المثل القرآني **" عن جماليات التشكيل الصوتي، وكشف عن دلالاته المتعددة ومعانيه البعيدة** [1]".

والنبر ازدياد وضوح جزء من أجزاء الكلمة- حرف أو مقطع- في السمع عن بقية ما حوله من أجزائها، ناتج عن زيادة في الضغط على النفس عند خروج الصوت اللغوي، ويظهر ذلك في قوله تعالى:﴿كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ﴾،وقوله:﴿مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ فالنبر جاء هنا واضحاً، ذو أثر تنغيمي صوتي.

وتظهر نبرة التحدي والنغمة الصاعدة في قوله تعالى:﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾، فالعبارة الأولى (محمد رسول الله) جملة مبتدأ وصفته تنبهان على أن محمداً رسول مبعوث من رب الأرض والسموات، والنغمة هنا متوسطة، وعندما وصل إلى لفظة(أشداء) وهي الخبر التي فيها ملمح التحدي والكره للكافرين، صعدت النغمة لتنسجم مع هذا المعنى بقوة التحدي للكفار. وتتجلى في آية المثل القرآني الذي بيننا ظاهرة تميزت بها مقاطعه وساهمت في إغناء الأثر الصوتي فيه، تلك هي مساهمة المقاطع الصوتية المفتوحة في ﴿رُحَمَآءُ﴾ أكثر مما هي في لفظة﴿أَشِدَّآءُ﴾ والمفتوحة منها توحي بالارتياح وانبساط النفس، وتكسب نسق آية المثل إيقاعاً غنياً ذا رنين وحنين وشفافية **"وبما أن اللفظتين متراسلتان من حيث السجع، فإن هذا يؤكد وجوب حصول الحالين : الشدة، والرحمة**[2]".

أما حالات الانفعال النفسي وعلاقتها بالأصوات الانفجارية فمنها ما ظهر في صوت(الهمزة) في آية المثل القرآني كقوله تعالى:﴿كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ﴾، يلاحظ المتلقي اللوحة الجمالية التعبيرية

---

[1]- سلوم، **نظرية اللغة والجمال في النقد العربي**، ص٣٨.
[2]- ياسوف، **دراسات فنية في القرآن**، ص٤٦.

التي رسمها ذلك الصوت الانفجاري، فتتابع الصوت المهموز وتكراره أقوى الأصوات الانفجارية وأعمقها، قد أعطى تنغيماً وإيقاعا موسيقياً على معنى المثل القرآني،﴿ مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾، فمخرج الهمزة من الأوتار الصوتية نفسها، وهي أقرب الأصوات الانفجارية للتعبير وإظهار الانفعال النفسي، أدى إلى ارتباط هذا التتابع مع حالة الكفار واندهاشهم مما يشاهدونه من قوة وعلو منزلة الفئة المؤمنة، ولذا كانوا منفعلين كما ظهر في﴿أَشِدَّآءُ، أَثَرِ، أَخْرَجَ، شَطْـَٔهُۥ، فَـَٔازَرَهُۥ﴾، وتكرار صوت الهمزة الانفجاري في وصف الجماعة المسلمة ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ أراد الخطاب الإلهي أن ينبه الصحابة لأهمية الافتقار والتذلل بين يدي الله، كما أراد أن ينبه الكفار بأن هذه الصفات التي جعلت هؤلاء الفئة المؤمنة تنتصر وجاء دور مخارج الحروف وصفاتها هنا، عاملاً أساسيا في تكوين موسيقى نص المثل القرآني، وهذه المخارج وتلك الصفات تتجاوب فيما بينها، على نحو ليس في المعتاد من كلام الناس" **وحسبك بهذا اعتباراً في إعجاز النظم الموسيقي في القرآن، وأنه مما لا يتعلق به أحد،...** [1]".

لقد جاء الصوت الانفجاري في آية المثل القرآني هنا للتنبيه، الذي يعمل بتنغيمه وإيقاع جرسه على إيقاظ المتلقي، ويعمل على تذكية فكره وطموحه. وترسم للمتلقي منظوراً جمالياً يبرهن على حسن أداء اللفظ القرآني في آية المثل صوتاً ومعنى وتوظيف ذلك الجمال في خدمة المثل القرآني وسياقه، بصورة جمالية مشرقة تثبت فيها قوة تعبيره ودقة تنغيمه.

فالنظم هنا ذا أثر صوتي ومتوازن" **وإيقاع القرآن الذي يباينهما لينشئ تدرجات صوتية مختلفة وكيفيات نغمية تتراوح بين الانتظام والتناسب، بين التوازن والتقابل تبعاً للفكرة أو الموضوع، للموقف أو للمعنى الذي يريد أن يعبر عنه أو يوصله**[2]"كما في الجدول الذي يُظهر ذلك التوازن في الأصوات الانفجارية.

١- اليافي، **قواعد تشكل النغم في موسيقا القرآن**، العددان،(١٥-١٦)، ص١٣٣.
٢- اليافي،**عودة إلى موسيقا القرآن**، ص١٣٣.

الأصوات الانفجارية التي وردت في آية المثل القرآني		
الصوت	المفردة القرآنية	عدد ورودها
الهمزة	أَشِدَّآءُ ،أَثَرِ ،أَخۡرَجَ ،شَطۡـَٔهُۥ ، فَـَٔازَرَهُۥ ،ءَامَنُواْ ،وَأَجۡرًا	٨ مرات
الباء	بَيۡنَهُمۡ ،يَبۡتَغُونَ ،يُعۡجِبُ، بِهِمُ	٤ مرات
التاء	تَرَىٰهُمۡ ،يَبۡتَغُونَ ،ٱلتَّوۡرَىٰةِ ، فَٱسۡتَغۡلَظَ ، فَٱسۡتَوَىٰ، مَّغۡفِرَةً	٦ مرات
الجيم	سُجَّدًا،وُجُوهِهِم،ٱلسُّجُودِ، ٱلۡإِنجِيلِ، أَخۡرَجَ ، يُعۡجِبُ، وَأَجۡرًا	٧ مرات
الدال	مُّحَمَّدٞ،أَشِدَّآءُ ،سُجَّدًا،ٱلسُّجُودِ،وَعَدَ	٦ مرات
الضاد	فَضۡلٗا،وَرِضۡوَٰنٗا	مرتين
الطاء	شَطۡـَٔهُۥ	مرة واحده
القاف	سُوقِهِۦ	مرة واحدة
الكاف	ٱلۡكُفَّارَ،رُكَّعٗا ،ذَٰلِكَ ، كَزَرۡعٍ ،ٱلۡكُفَّارَ	٥ مرات
المجموع		٤٠ مرة

المتأمل في جدول الأصوات الانفجارية التي تم رصدها في آية المثل القرآني والتي بلغ عدد تواترها (٤٠) مرة، وهي كمية صوتية تتطلب من المتلقي جهداً ونفساً طويلاً، حيث" **تتكون الوقفات الانفجارية بقطع النظر عن اللغة المعنية، بأن يحبس مجرى الهواء الخارج من الرئتين حبساً تاماً في موضع من المواضع، وينتج عن هذا الحبس أو الوقف أن يضغط الهواء، ثم يطلق سراح المجرى الهوائي فجأة، فيندفع الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً..** [1]".

وكان لعلم التجويد نصيب في التنغيم الصوتي لآية المثل، ففي قوله تعالى: ﴿كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ﴾، جاء حكم الإظهار الحلقي، وهو أن يكون مخرج النون الساكنة والتنوين مع حروف الحلق من الفم، ويظهر إذا جاء بعدها أحد حروف الحلق الستة وهي:(الهمزة والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء) كما جاء في آية المثل القرآني،﴿كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ﴾، فقد جاء بعد التنوين في لفظة﴿كَزَرۡعٍ ﴾ كزرع حرف

١- اليافي، **قواعد تشكل النغم في موسيقا القرآن**، العددان،(١٥- ١٦)، ص١٣٣.

الهمزة في لفظة ﴿ أَخْرَجَ ﴾، وجاء بعد النون الساكنة في لفظة﴿مِّنْ﴾، حرف الهمزة في لفظة﴿أَثَرِ﴾، والسبب في التوتر الكبير الذي أحدثته الأصوات الانفجارية في آية المثل القرآني، أن الموضوع الذي تتطرق له عناصر الآية كبير، يستوجب هذه الأصوات الانفجارية، لاسيما في المقامات التي تقتضي التذكير، بخالق الأكوان ومصور الإنسان، والصراع بين الحق والباطل، وذكر صفة عباد الرحمن، ومن هنا فإن هذه النوعية من المادة الصوتية مناسبة لهذا السياق الذي يتطلب حبس الصوت ووقفه.

وصوت الهمزة طغى على بقية الأصوات الانفجارية إذ بلغ عدد تواتره في آية المثل القرآني ثماني مرات(٨)، وجاء ذلك مناسباً لأغراض المثل القرآني، وعلى الأغلب فإن هذا الانتشار لصوت الهمزة الانفجاري الحلقي جاء ضرورياً لسياق وصف عباد الرحمن والفرق بين الفئتين؛ إذ نجد أن الهمزة حرفاً شديداً" **يحدث هذا الصوت بأن تسد الفتحة الموجودة بين الوترين الصوتيين وذلك بانطباق الوترين انطباقاً تاماً فلا يسمح للهواء بالنفاذ من الحنجرة؛ بضغط الهواء فيما دون الحنجرة. ثم ينفرج الوتران فينفذ الهواء من بينهما فجأة محدثاً صوتاً انفجارياً**[١]".

ويلاحظ المتلقي، عندما ينظر إلى صورة الآية، أن المثل القرآني قد امتلك الانسجام الصوتي والعذوبة في ألفاظه وتناغمهما، فألفاظ المثل القرآني جميعها مترابطة منسجمة﴿بَيْنَهُمْ، يَبْتَغُونَ، يُعْجِبُ، بِهِمُ﴾، ومواقعها مستقرة غير قلقة،﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾، وقوله:﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾، وبتآلف المعاني مع الألفاظ المستقرة المطمئنة يُحكم البناء اللغوي وتتكون الصور الصوتية التي يولّدها الوقع السمعي للألفاظ الموحية والإيقاع المناسب." **والانسجام الموسيقي الذي يبعث الإعجاب والطرب والسرور إنما يسير على نسب توافقية تجري على نظام رياضي، ..**"[٢].

١- السعران، محمود(١٩٩٧م)**علم اللغة مقدمة للقارئ العربي**،ط٢، ص٧٠،دار الفكر العربي،القاهرة.
٢- حسن، **الأصول الفنية للأدب**، ص٣٣-٣٤.

ومن الأصوات الانفجارية البارزة في آية المثل القرآني، صوت (الباء) وهو" **صوت شديد مجهور يتكون بأن يمر الهواء أولاً بالحنجرة، فيحرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق ثم الفم حتى ينحبس عند الشفتين منطبقتين انطباقاً كاملاً، فإذا انفرجت الشفتان فجأة سمعنا ذلك الصوت الانفجاري الذي يسمى بالباء فللنطق بالباء تنطبق الشفتان أولا حين انحباس الهواء عندهما، ثم تنفرجان فجأة فيسمع صوت الباء**[1]".ومن صور هذا الانسجام التنغيمي في آية المثل القرآني، بروز الأثر لصوت الباء واضحاً في قوله:﴿رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾،وقوله ﴿يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وقوله:﴿يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ﴾، إن حضور صوت الباء الانفجاري في آية المثل القرآني، ﴿بَيۡنَهُمۡ، يَبۡتَغُونَ، يُعۡجِبُ، بِهِمُ﴾، قد رسم للمتلقي لوحة ومشهداً جمالياً بصفته ومخرجه، وكان حضوره مناسباً لسياق الكلام الإلهي في آية المثل القرآني؛ إذ دل على عظمة تلك الإخوة والمحبة التي تربط أصحاب النبي (ﷺ)،كما في قوله تعالى:﴿ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾،و رباط هذه العلاقة الإلهية قد زادها وضوحاً الإظهار الشفوي الذي كان بين بينهم وتراهم، فقد جاء حرف الميم الساكن وبعده حرف التاء وحكمه إظهار شفوي، كذلك حضور صوت الباء كان مناسباً في وصف ما يعرف في هذه الدنيا الزائلة الفانية، نمو الزرع واشتداد أمره وتفريخ الفروع منه.

ولا يقل تأثير صوت (التاء) عن صوت (الباء) إذ بلغ عدد تواتره في آية المثل القرآني ثماني مرات(٨)، ومن المفردات التي برز فيها تنغيم صوت (التاء الانفجاري) في آية المثل القرآني ، ﴿تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا﴾، وقوله:﴿يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا﴾وقوله:﴿مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ﴾.

إن التنغيم الصوتي في حضور صوت (التاء) في آية المثل القرآني، بصفته ومخرجه وجرسه وإيقاعه، يشير إلى معنى الانفجار المسموع في هذه الآية الكريمة التي تؤكد وقوع الإنسان على الأرض، وسقوط جبهته وهو دليل على هذا الانفجار في سقوط الذنوب وإعلان الافتقار للواحد الأحد، وكذلك الزرع في نموه ونضوجه وكأنه انفجار يخرج من باطن الأرض لصورة نبات الزرع الذي أعجب الزراع نباته، أما مجيء صوت (التاء) في لفظة﴿مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾، فهو انفجار مسموع

١- أنيس، إبراهيم، **الأصوات اللغوية**،ص٤٦.

بإعلان المغفرة والعتق من النار يوم القيامة، فوقوع ذلك لا محالة" **إذا وقعت لم تكن لها رجعة ولا ارتداد(خافظة رافعة)هي خافظة ورافعة، ترفع أقواماً وتضع آخرين**[1]"فصوت (التاء) هنا يوحي إلى هذا اليوم العظيم، وهي صورة مرعبة تشير إلى هوله وفظاعته، وهذه الصورة لا بد أن يناسبها ويلازمها صوت (التاء) بصفته ومخرجه.

الأصوات الاحتكاكية التي وردت في آية المثل القرآني		
الصوت	**المفردة القرآنية**	**عدد ورودها**
الثاء	مَثَلُهُمْ، أَثَرِ، مَثَلُهُمْ	٣ مرات
الحاء	مُحَمَّدٌ، رُحَمَآءُ ،ٱلصَّٰلِحَٰتِ	٣ مرات
الخاء	أَخْرَجَ	مرة واحدة
الذال	وَٱلَّذِينَ ،ذَٰلِكَ ،ٱلَّذِينَ	٣ مرات
الزاي	كَزَرْعٍ ، فَـَٔازَرَهُۥ، ٱلزُّرَّاعَ	٣ مرات
السين	فَٱسْتَوَىٰ، سُوقِهِۦ، رَّسُولُ، سُجَّدًا،سِيمَاهُمْ،ٱلسُّجُودِ، فَٱسْتَغْلَظَ	٧ مرات
الشين	أَشِدَّآءُ، شَطْـَٔهُۥ	مرتين
الصاد	ٱلصَّٰلِحَٰتِ	مرة واحدة
الظاء	فَٱسْتَغْلَظَ ، لِيَغِيظَ، عَظِيمًا ،	٣ مرات
العين	مَعَهُۥ،عَلَىٰ،رُكَّعًا، كَزَرْعٍ ،عَظِيمًا ،عَلَىٰ ،يُعْجِبُ،ٱلزُّرَّاعَ،وَعَدَ، وَعَمِلُوا۟	١٠مرات
الغين	يَبْتَغُونَ ،فَٱسْتَغْلَظَ ،لِيَغِيظَ، مَّغْفِرَةً،	٤ مرات
الفاء	مَّغْفِرَةً ،ٱلْكُفَّارَ ،فِى (مك)،فَضْلًا، ٱلْكُفَّارِ،فَـَٔازَرَهُۥ ،فَٱسْتَغْلَظَ ،فَٱسْتَوَىٰ	١٢ مره
الهاء	ٱللَّهِ ،مَعَهُۥٓ ،بَيْنَهُمْ ،تَرَىٰهُمْ ،سِيمَاهُمْ، وُجُوهِهِم، مَثَلُهُمْ، شَطْـَٔهُۥ، فَـَٔازَرَهُۥ، سُوقِهِۦ، بِهِمُ، ٱللَّهُ،مَثَلُهُمْ ،مِنْهُم ،ٱللَّهُ	١٥ مرة
المجموع		٦٧ مرة

١- الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل ووجوه التأويل** ، ج٤،ص٤٤٥.

الجدول المدرج والمتضمن الأصوات الاحتكاكية، لرأينا أنه يشير للنظام الحرفي في آية المثل القرآني، حاملاً (٦٧) صوتاً احتكاكياً، وتكرار صوت (الهاء) الاحتكاكي في آية المثل القرآني، كما في قوله تعالى ﴿رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾، ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾،﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ﴾، فجرس صوت (الهاء) بهمسه واحتكاكه استطاع أن يجسّد موقف الكافرين وحالهم، وما يتصفون فيه من الحقد والغل والكره للفئة المؤمنة وهم يرونهم يتكاثرون وتقوى شوكتهم، وقد شبه الله عز وجل تلك الفئة المؤمنة وكأنها زرع ينمو ويتكاثر ويشتد كل يوم .

ولو تأملنا الأصوات الاحتكاكية في الآية، لوجدنا حضوراً بارزاً لصوت (الهاء)، فقد تواتر في آية المثل القرآني(١٥) مرة، وانتشاره يشعرنا بما يحمله من دلالة فالهاء العربي" **والهاء عادة صوت مهموس يجهر به في بعض الظروف اللغوية الخاصة**[١]".

ورد صوت الهاء (٣) مرات في قوله: ﴿سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾، جسد لنا صورة الخضوع والانقياد لرب العزة وأن نور الله ظاهر على وجوه تلك الثلة المؤمنة، ونبرة الدعاء والهيئة التي رسمتها لنا مفردات آية المثل ﴿سِيمَاهُمۡ﴾،﴿ وُجُوهِهِم﴾،﴿مِنۡهُم ﴾،أحدثت بإيقاعها وتنغيم صوتها الهادئ، طابع السكينة والوقار والهدوء، الذي يوازي ما كانت تواجهه الدعوة، وصنوف ألوان العذاب الذي تذوقه الصحابة، بينما نجد أكثر رحابة في إيقاعية الآيات الأخر،﴿ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ وتمثل هذه الآية بما فيها من إيقاعات وذبذبات صوتية واضحة لصوت (الهاء) منحيات الصراع بين الحق والباطل، بين الفئة المؤمنة والفئة الكافرة، فصوت(الهاء) الذي يخرج من أقصى الحلق واحتكاكه، استطاع أن يجسد لنا هذا الموقف، مما كان له الدور والأثر التنغيمي لتنوع الأغراض في آية المثل القرآني.

١- الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل ووجوه التأويل** ، ج٤،ص٤٤٥.

وجاء بعد هذا الوصف التعبيري والجمال الرباني قوله تعالى:﴿مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾، صورة موحية فيها التعبير الجمالي الذي يحتمل أن يكون المراد من مثلهم أي حالهم العجيبة والمراد أنَّ الصفات المذكورة في هذا المثل هي حالهم المذكور في التوراة، أي أن في التوراة وصف قوم سيأتون ووصفوا بهذه الصفات. أما قوله:﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ﴾فهو مثل ضربه الله سبحانه لأصحاب النبي- صلى الله عليه وسلم - وأنهم يكونون في الابتداء قليلاً، ثم يزدادون، ويكثرون ويقوون، كالزرع فإنه " **يكون في الابتداء ضعيفاً، ثم يقوى حالاً بعد حال حتى يغلظ ساقه**[1]"، وهذا الزرع يعجب الزراع بقوته وكثافته وحسن منظره، يقابل ذلك إعجاب المؤمنين بقوتهم، وكثرتهم، ثم ذكر سبحانه علة تكثيره لأصحاب نبيه - صلى الله عليه وسلم -وتقويته لهم وذلك حتى يكونوا غيظاً للكافرين.

يلاحظ المتلقي في ذلك المشهد التمثيلي في آية المثل القرآني أنَّ المراد من التمثيل في هذا الموضع هو تشبيه هيئة بهيئة، فالمشبه هو المراحل التي مر بها أصحابه - صلى الله عليه وسلم - سواء في مكة أو في مرحلة الهجرة وبناء الدولة في المدينة المنورة، والمشبه به المراحل التي يمر بها الزرع من تجهيز التربة والبذر والسقاية والرعاية والرياح التي تعصف به، وفي كلٍ منهما انتقال من الضعف إلى القوة، ومن القلة إلى الكثرة، ومن الاحتقار إلى الإبهار والإعجاب. والغرض من هذا التشبيه الثناء والمدح لأصحاب الرسول - صلى الله عليه وسلم - فقد ذكرهم الله في مواضع كثيرة من كتاب الله بالمدح والثناء، وقال عنهم النبي- صلى الله عليه وسلم - بوصفهم أنهم خير القرون التي وجدت على ظهر الأرض، مع ما يحمله الموقف كذلك من البشارة بالتأييد لهم، والنصر على أعدائهم وإغاظتهم.

وتلا صوت (الهاء) من حيث عدد تواتره في آية المثل القرآني، صوت (الفاء) الذي بلغ عدد تواتره في المثل القرآني (١٢) مرة و(٨١) مره في السورة، وصوت الفاء " **صوت رخو مهموس، يتكون بأن يندفع الهواء ماراً بالحنجرة دون أن يتذبذب الوتران الصوتيان معه، ثم يتخذ الهواء مجراه في الحلق والفم حتى يصل إلى مخرج الصوت،وهو بين الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا،**

١- الشوكاني، محمد بن علي (١٤١٤هـ) **فتح القدير**،ط١،ج٥، ص٥٦ ،دار ابن كثير، دمشق.

ويضيق المجرى عند مخرج الصوت، فنسمع نوعاً عالياً من الحفيف هو الذي يميز الفاء بالرخاوة[1]".

وليس لصوت الفاء**" نظير مجهور في اللغة العربية[2]"**وصوت (الفاء) المتكرر في آية المثل القرآني (١٢) مرة ساهم في تصوير ذلك المشهد العظيم مع تفخيم حرف (الضاد) وما لذلك من أثر في المفردة القرآنية﴿ فَضْلًا﴾، فقد ساعد على رسم صورة النعيم المقيم والفضل العظيم الذي وعده الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين، حيث ساعد صوت (الفاء) مع صوت (الضاد) المفخم على تصوير موقف الندم والحسرة في قلوب الكفار، ووصف حالهم يوم القيامة، وهم يرون النعيم المقيم للفئة المؤمنة.

أما صوت (العين) الذي بلغ تواتره في آية المثل القرآني(١٠) مرات و(٧٩) مرة في سورة الفتح، وهو أكثر الأصوات وروداً في نص آية المثل القرآني لمطابقته بعض ظلال الآية، و**" العين صوت مجهور مخرجه وسط الحلق، فعند النطق به يندفع الهواء ماراً بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين حتى إذا وصل إلى وسط الحلق ضاق المجرى، ولكن ضيق مجراه عند مخرجه أقل من ضيقه من صوت الغين، مما جعل العين أقل رخاوة من الغين[3]".**

ومن أشكال التنغيم الصوتي والتوافق السياقي بين الأصوات الاحتكاكية ومعنى المثل القرآني، ما نجده في مفردات آية المثل القرآني، كقوله ﴿فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ ﴾، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾،﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾،﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ﴾،﴿مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾،لقد تكرر صوت (العين) وكأنه يرسم للمتلقي الوعيد والإنذار، وشدة كيد الكفار ومكرهم بالفئة المؤمنة، وتتابع الحركة مع الأصوات الاحتكاكية إنما جاء ليتلاءم مع قوة المعنى، وتواتر صوت (العين) في مفردات آية المثل، جاء مناسباً ليعبر بمخرجه الحلقي عن النعيم والمغفرة للمؤمنين ﴿مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ وعن الوعد بالجنة ولقاء الله تعالى يوم القيامة ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، وشدة

١- أنيس، **الأصوات اللغوية**، ص٤٧.
٢- بشر،**علم الأصوات**، ص٢٩٧.
٣- أنيس، **الأصوات اللغوية**، ص٨٥.

انتشار أصحاب الدعوة وقوتها وسرعتها المحمدية ﴿فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾،وجاء بتنغيمه الصوتي وجرسه الإيقاعي ليرسم للمتلقي الهول والعذاب الذي يصيب الكفار نتيجة انتشار ونصر وتمكين أصحاب الدعوة المحمدية.

ونظراً لتنوع أغراض المثل القرآني ومقاصده الدلالية، فإنه في بعض آياته يميل للجمع والربط بين الأصوات الانفجارية والأصوات الاحتكاكية، وذلك لأن" **لبعض الأصوات الشديدة نظائر رخوة: فالدال صوت شديد نظيره الرخو الزاي أو الذال، والتاء صوت شديد نظيره الرخو السين أو الثاء، والباء صوت شديد نظيره الرخو الفاء، والطاء صوت شديد نظيره الرخو الصاد،** [1]".

وفي هذا التناغم الصوتي والربط بين الأصوات الانفجارية والاحتكاكية في آية المثل القرآني، يقول كمال بشر:" **ومعلوم أيضاً أن الأعضاء بعضها عن بعض في موقع من مواقع الوقفات(stops) يتفاوت في السرعة والبطء عند النطق بهذه الأصوات فإذا كان الانفصال سريعاً مفاجئاً** [2]".

أما الصوت المهموس في آية المثل القرآني، فهو ملمح صوتي يتسم بالليونة في طبيعتها وتكوينها وفيه ملمح من الحزن أحياناً، على العكس من الصوت الجهري، حيث لا اهتزاز معه للأوتار الصوتية" **فالصوت المهموس هو الذي لا يهتز معه الوتران الصوتيان ولا يسمع لهما رنين حين النطق به**[3]"ومن طبيعة الصوت المهموس أنها تشكل عنصر راحة وتقريب؛ وكأن المتكلم يريد أن يقرب السامع منه فيهمس في أذنه، والمؤمنون من أقرب الخلق إلى الخالق، قال تعالى:﴿ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ﴾،﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾،وقوله:

﴿ مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾،﴿رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾، في آية المثل القرآني ألفاظ سهلة في طبيعة أصواتها ﴿تَرَىٰهُمۡ، يَبۡتَغُونَ، رَّسُولُ، سُجَّدٗا،سِيمَاهُمۡ،ٱلسُّجُودِ،ٱلصَّٰلِحَٰتِ،مُّحَمَّدٞ، رُحَمَآءُ ﴾تلاقت المعاني المريحة المحببة للنفس وتوافقت مع الأصوات المهموسة اللينة الرقيقة، ومن الطبيعي أن يلاحظ المتلقي أن

١- أنيس، **الأصوات اللغوية**، ص٢٨.
٢- بشر، **علم الأصوات**، ص٣٠٩.
٣- أنيس، **الأصوات اللغوية**،ص٢٠.

نسبة الأصوات الجهرية في آية المثل القرآني أكثر بكثير من نسبة الأصوات المهموسة، إذ إن الكثرة الغالبة من الأصوات اللغوية، هي المجهورة. وذلك أمر طبيعي ، وإلا " **فقدت اللغة عناصرها الموسيقية ورنينها الخاص الذي يميز به الكلام من الصمت والجهر، ومن الهمس والأسرار**[1]".

الأصوات المهموسة التي وردت في آية المثل القرآني		
الصوت	**المفردة القرآنية**	**عدد ورودها**
التاء	تَرَىٰهُمۡ، يَبۡتَغُونَ، ٱلتَّوۡرَىٰةِ ، فَٱسۡتَغۡلَظَ ، فَٱسۡتَوَىٰ، مَّغۡفِرَةً	٦ مرات
الثاء	مَثَلُهُمۡ، أَثَرِ ، مَثَلُهُمۡ	٣ مرات
الحاء	مُّحَمَّدٞ، رُحَمَآءُ ،ٱلصَّٰلِحَٰتِ	٣ مرات
الخاء	أَخۡرَجَ	مرة واحدة
السين	فَٱسۡتَوَىٰ، سُوقِهِۦ، رَّسُولُ، سُجَّدٗا،سِيمَاهُمۡ،ٱلسُّجُودِ، فَٱسۡتَغۡلَظَ	٧ مرات
الشين	أَشِدَّآءُ ، شَطۡـَٔهُۥ	مرتين
الصاد	ٱلصَّٰلِحَٰتِ	مرة واحدة
الطاء	شَطۡـَٔهُۥ	مرة واحده
المجموع		٢٤ مرة

فالحنجرة هي أداة الصوت الأساسية، وما يتكون في غيرها من أصوات إنسانية لا يكون كلاماً مسموعاً واضحاً ذا " **درجات موسيقية منسجمة يمكن ضبطها وقياسها**[2]".

وقد وجد العلماء، أن نسبة شيوع الأصوات المهموسة في الكلام" **لا تكاد تزيد على الخمس،أو عشرين في المائة منه،في حين أن أربعة أخماس الكلام تتكون من أصوات مجهورة**[3]". وهذا ما نجده في استقراء آيات الأمثال القرآنية، فقد بلغ عدد الأصوات المجهورة في آية المثل القرآني هذا(١١٨) صوتاً، بينما عند رصدنا لأصوات الهمس في آية المثل القرآني نجدها(٢٤) صوتاً. نحو

١- أنيس، **الأصوات اللغوية**،ص٢٠.
٢- المرجع السابق.
٣- المرجع السابق.

قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ وقوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وقوله : ﴿مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ﴾ وقوله: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾.

يلحظ المتلقي توافر الأصوات الرخوة التي شكلت نصوص آية المثل السابق، مما أكسبها سمة التراخي والتؤدة، ﴿مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ﴾، ناسب بذلك النغم، وموضوع المثل القرآني الذي يحتاج إلى وقفة هادئة، فقد بلغت مفردات المثل في تنغيمها وتشبيهها واحتوائها على الأصوات المهموسة في آية المثل السابق، على (٢٤) صوتاً من مجموع نصوص المثل.

ويكمن وراء ذلك العدد من الأصوات المهموسة إيقاع مقصود ناجم عن التناغم بين أصوات المفردات ومعنى المثل، مما أكسبه قيمة جمالية نتيجة لارتباطها الوثيق بمضمون المثل ودلالاته الإيحائية الواقعة خلف هذه الإيقاعات، فتكرار صوت (السين) كما في ﴿فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ أثر في رسم الصورة الفنية لذلك المشهد، مما يساعد على إقناع المتلقي بتلك الصورة التي رسمها في مخيلته، فقد ساعد وجود الصوت المهموس هنا ليتناسب مع وصف حال المؤمنين، وفي قوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾، وجاء هذا التناسب ليفتح مجال التوسع لدى المتلقي في تمازج يخلب اللب والسمع لهذا الوصف لأهل الجنة وماذا أعد الله للفئة المؤمنة الصابرة، وهم في أجمل وصف وألين حال.

ومن التوسع في الوصف الذي ترسمه آية المثل: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، وقوله: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾، تتابع مجموعة من أصوات مهموسة رقيقة عذبة، تنشر جوا من الراحة والجمال يملأ المحيط بها، أصوات مهموسة (الحاء، السين، الصاد، التاء،...) تخرج من الفم بكل أريحية، لتسدل على المنظر جمالاً وروعة، وكما أن الجرس الموسيقي للألفاظ والحروف يكمن في الأصوات ودلالتها الإيحائية، فإن واقع الصوت المهموس واللحن الناجم عن تناغم الألفاظ وتكويناتها المقطعية المتكونة من الأصوات. فاجتماع هذه الأصوات تحقق قيمة تنغيمية وإيقاعا موسيقياً جمالياً من خلال كشفها للدلالة الفنية القابعة خلف هذه الإيقاعات.

وقد جاءت المفردة القرآنية في هذا المثل﴿ رُحَمَآءُ﴾، بتنغيم أصواتها ورهافة تعبيرها وشفافيتها، وكان لأصواتها المساهمة في إيقاعية وتنغيم المفردة، وكانت لتلك الأصوات أسرار جمالية تنغيمية ﴿رُحَمَآءُ﴾، فصوت (الحاء) المهموس، رسم مشهد الصورة التي وصف الله بها الفئة المؤمنة، قد ورد ذكرها كذلك في﴿مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ﴾" **فكانوا في بدء الإسلام قلة، ثم كثروا و استحكموا، فترقى أمرهم يوماً فيوماً بحيث أعجب الناس**[1]"، وجاء التشبيه في آية هذا المثل، وقد رسمت صورة مركبة لحال طائفة المؤمنين عندما كانوا في بداية أمر الدعوة المحمدية ضعفاء، تتكالب عليهم قريش والعرب من كل حدب وصوب، فلما دخلوا الإسلام شيئاً فشيئاً قوي أمرهم، وأصبح لهم قوة ومنعة، بصورة حال الزرع عندما يبدأ في الخروج والظهور على سطح الأرض يكون ضعيفاً، ثم ينمو هذا الزرع ويكبر شيئاً فشيئاً، وتخرج أفراخه وفسائله بجانبه فيتقوى بها حتى يكون أمره بعد ذلك إلى قوة واستواء.

وكان التشبيه يرسم تلك الصورة الحية، وكأنه يذهب بخيال المتلقي وجسده وروحه ويصف له حال الفئة المؤمنة وصورة الزرع وأنهم أصبحوا " **مثل زرع أثمر وأينع ثم اشتد واستغلظ،ثم استوى واستقام، فصار في أبهر صورة تعجب خاصة الزّراع، وإذا أعجب أهل الزرع فهو أدعى بأن يعجب العامة من الناس**[2]"، وجاءت الصورة في التعبير القرآني موجودة منذ بدايته تمشياً مع طبيعة المدركات الحسية للوجود الإنساني.

واستعمل القرآن الكريم إلى جانب النظم، الصوت لكي لا يهمل إيحاء الصوت بالموقف المصور، فكلمتنا﴿أَشِدَّآءُ﴾،﴿رُحَمَآءُ﴾ "**متضادتان تحملان صورة الموقفين الشدة، والرحمة في طيات الإيقاع الداخلي، وتنقلان المستوى النفسي للصحابة الكرام**[3]".

ومن هنا نلاحظ الصلة الوثيقة بين الجرس الصوتي والتأثيرات الشعورية والوجدانية التي تصاحب التناغم الإيقاعي، من خلال تكرار الوحدات النغمية(جرس الصوت)على نحو منتظم، فيكوّن

---

[1]- الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج٢٦،ص١٢٧.

[2]- حسين، عبد القادر(١٩٧٥م) **القرآن والصورة البيانية**، ص٥٧، دار نهضة مصر،القاهرة.

[3]- للتوسع انظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**،ج١٦، ص٢٥٦، أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**،ج٨، ص٤٦، الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل**،ج٥، ص٧٨.

نسيج يتألف من المفاجآت والخيبة لفئة المشركين﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ﴾، قد أضفى على آية المثل السابق ملمح قوة التوصيل وإيقاع التفشي في صوت (الشين) صفة من الصفات التي ظهرت في آية المثل، وهي مختصة بحرف الشين والتفشي: هو كثرة انتشار خروج الريح بين اللسان والحنك، وانبساطه في الخروج عند النطق بها وقد وصف بعض علماء التجويد الضاد والفاء والثاء بالتفشي إضافة إلى الشين، وقال المرعشي:" **وبالجملة إن الحروف المذكورة مشتركة في كثرة انتشار خروج الريح، لكن ذلك الانتشار في الشين أكثر،ولذا اتفق في تفشيه، وفي البواقي قليل بالنسبة إليه، ولذا لم يصفها أكثر العلماء بالتفشي**[1]".

وقد استخدمها سيبويه في وصفه لصوت (الشين)،إذ قال:" **والشين لا تدغم في الجيم؛ لأن الشين استطال مخرجها لرخاوتها حتى اتصل بمخرج الطاء... فاجتمع هذا فيها بالتفشي**[2]". كذلك قال المبرد:" **ولا تدغم الشين في الجيم ألبتة، لأن الشين من حروف التفشي، فلها استطالة من مخرجها، حتى تتصل بمخرج الطاء...** [3]"وآخرون[4].

وقد برزت صفة التفشي في آية المثل القرآني في قوله تعالى:﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾،وقوله:﴿ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ ﴾، إن تكرار صوت الشين مرتين يكشف لنا عن حالة الرعب التي أصابت الكفار، وهذا التنغيم يتناسب مع﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾، حيث بلغ من تشدّدهم على الكفار"**أنهم كانوا يتحرزون من ثيابهم أن تلزق بثيابهم، ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم**[5]"، ومقابل هذه الصورة، التي تحمل بين طياتها الشدة مع صوت (الشين) وفي المقابل تأتي آية المثل القرآني بصورة بيانية أخرى، ترسم فيها للمتلقي لوحة جمالية، في تعامل المؤمنين الموحدين،مع بعضهم البعض، ويسودها اللين والرحمة، والخشوع والخضوع، مع ركوع وسجود، يبتهلون بالدعاء إلى الله

---

[1]- الحمد، غانم القدوري(١٩٨٩م)**الدراسات الصوتية عند علماء التجويد**،،ط١،ص ٣١٩،مطبعة خلود،بغداد.

[2]- سيبويه، **الكتاب**، ج٤،ص٤٤٨.

[3]- المبرد، أبوالعباس محمد بن يزيد(١٣٩٩هـ) **المقتضب**، تحقيق: محمد عبد الخالق، لجنة إحياء التراث الإسلامي في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة،(ط١)،ج١، ص٢١١.

[4]- وأشار ابن دريد إلى ظاهرة التفشي ووصف صوت الشين أثناء حديثه عن بعض الأصوات التي تدخل على صوت الشين، إذ قال:"... إلا أنها دخلت على الشين لتفشي الشين وقربها من عقدة اللسان بل هي مجاور للعقدة إلى الفم" ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (د.ت) **جمهرة اللغة**، ط١، ص٦،مطبعة المعارف، القاهرة.

[5]- الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل ووجوه التأويل** ،ج٦،ص٣٦٠.

ابتغاء فضله ورضوانه﴿ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾، أي متراحمون متعاطفون متعاونون و" **بلغ من تراحمهم فيما بينهم أنه كان لا يرى مؤمن مؤمنا إلا صافحه وعانقه**[1]"، فيحضر صوت الشين بجرسه الصوتي الرائع والمميز ليصور تفشي ذلك الرعب في قلوبهم.

ويلاحظ المتأمل في آية المثل، مجيء السياقات المتشابهة في صيغها التعبيرية وما فيها من آثار جمالية ودلالية ﴿تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا﴾، وكان للعامل النفسي دور ملموس في الدلالة والإيقاع في بنية آية المثل القرآني، "**من منطلق الإثارة العاطفية والنفسية وتحفيز الوجدان لإعمال الذهن وتحريض الفكر من أجل اتخاذ موقف وتحقيق سلوك**[2]"، ويظهر ذلك واضحاً في نسق آيات القرآن الكريم و وترتيبها، حيث تمتزج عملية اختيار اللفظ والحرف والحركة بعملية التوظيف داخل المقطع القرآني، وقد أخذ كل منهما حظه داخل الآية، كقوله: ﴿مُحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾، وقوله: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[3]، ففي كل من الآيتين تم ذكر المؤمنين ضمن وصفين اثنين: فجاءت الآية الأولى وقد قدمت فيها (الشدة على الكفار) أما الآية الثانية فقدمت فيها (الذلة على المؤمنين) إن الآية الأولى من سورة الفتح، وهي تتحدث عن الجهاد ومجالدة الأعداء لذا كان من الحكمة أن تقدم فيها الشدة على الأعداء. أما الآية الثانية، فالسياق الذي جاءت فيه وهو وجوب موالاة المؤمنين بعضهم بعضا، ونهيهم عن موالاة غير المؤمنين لذا جاء نظم الآية على ما هو عليه **(أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ)** ويزداد الأمر وضوحا للمتلقي إذا عرف أن سورة الفتح جاءت " **تتحدث عن صد المشركين وكفار مكة، صدهم المؤمنين عن المسجد الحرام، وعن أن يتموا عمرتهم وسورة المائدة ، بدأت بأمر المؤمنين بالوفاء بالعقود، وهذه العقود تشمل ما بينهم وبين الله، وبينهم وبين الناس**[4]".

ومن صور الجمال في التنغيم الصوتي لآية المثل السابق وارتباطه بالدلالة المعنوية أنه كشف عن دقة استعماله لبعض المفردات وتوظيفها في النظم والسياق بحكمة وجدارة ونسق ينسجم مع سياق المثل القرآني، حيث يمكن التوصل من مادة الجذر الواحد إلى عدد كبير من الكلمات، وذلك بتغيير

---

[1]- الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل ووجوه التأويل** ،ج٦،ص٣٦٠.

[2]- عباس، فضل حسن عباس(٢٠٠٦م) **إعجاز القرآن الكريم**،ط٦،ص٢٠٩ -٢١٠، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان.

[3]- سورة المائدة (الآية: ٥٤)

[4]- عباس، **إعجاز القرآن الكريم**، ص٢٠٩ -٢١٠.

الوزن أو بعض الأحرف التي تلصق بالجذر، مما يولد معاني جديدة [1]، وفي هذا المثل القرآني يتردد الجذر فيه بأشكال مختلفة، مما أعطى إيقاعا خاصاً يشعر به المتلقي، فقد ورد الجذر (س ج د) على صورة الجمع (سُجّد) والمصدر(سجود)، وقد تميز النظم القرآني في ضرب أمثاله باستخدام تشابه الصيغ الصرفية للجذور المختلفة لإحداث نوع من التنغيم،" **إن الصيغ الصرفية تعد صيغاً إيقاعياً، خاصة بالنظر إلى النبر الواقع عليها، وهاهنا يبرز إيقاع النبر بصيغة جلية؛ ذلك أن المواطن المنبورة في الكلمات المتماثلة الصيغ، هي نفسها**"[2]، وتتبع استعمالها يوقف المتلقي على صور من الجمال في الأداء الصوتي وارتباطه بالدلالة المعنوية ويكشف عن دقة استعمال هذه المفردات، وهو نموذج حي يرسمه لنا هذا المثل في لوحة جمالية تعبيرية وذلك من خلال بنيتها الصرفية وما احتوته في جنباتها من حساسيتها الشفافة والدقيقة في دقة الاختيار، وكشف جوانب دقيقة في دلالة الصيغة متميزة عن دلالة صيغة أخرى حتى في ساحة استعمال المصدر نفسه، ففي قوله:﴿تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا﴾

حيث جاء هنا تكرار صيغة (فُعل)، والمثل القرآني فضلاً عن احتوائه على فنون التعبير المتنوعة، فهو ذا وظيفة أسلوبية أخرى في النسق على مستوى السورة تبدو في التعاون مع الآيات التاليات وقد حملت مسؤولية اطراد النسق أو تلون الأساليب للوفاء بالمضمون والمعنى المطلوب في جمالية مناسبته الاشتقاقية[3]، بأن يأتي ثاني اللفظين من مادة اشتقاق الأول وإن اختلف جرسهما، بين ﴿سُجَّدٗا﴾و﴿ٱلسُّجُودِ﴾وبين﴿ كَزَرۡعٍ ﴾و﴿ٱلزُّرَّاعَ﴾.

وفي هذا المثل القرآني نجد فيه المدود الطويلة قليلة، مقارنة بغيرها وحين يأتي المد طويلا فإن دواعيه حاضرة،(معه) (أشداء) (رحماء)، جاء المد المثقل لفتاً للانتباه بأن هؤلاء الذين أطال الصوت في وصفهم لهم شأن، ففي الأولى:(هم كفار) وفي الثانية: (الطائفة الناجية)، والمد أغنى الظواهر بالموسيقا؛ لأنه امتداد اللفظ بالصوت لعلة الصيغة، وهذه الزيادة تضفي عليها قيمة في العبارة القرآنية موسيقياً[4]، وجاءت الغنة والتنوين والشدة على حروف هذا المثل القرآني تساهم في استرخاء الأداء الصوتي، ولا تهدأ وتيرة الأداء الصوتي في سورة الفتح إلا عند الوقفات النفسية

---

[1]- القيسي، عودة الله منيع(١٩٩٦م) **سر الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد في القرآن**، ط١، ص١٣٣-١٣٤، مؤسسة الرسالة، بيروت.

[2]- بوخريص، كمال(١٩٨٨م)**خصائص الإيقاع في القرآن**(جزء عم) ص١٠٥، رسالة ماجستير، جامعة تونس.

[3]- القيسي، **سر الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد في القرآن**، ص١٣٣(بتصرف).

[4]- ابن مجاهد، أحمد بن موسى(١٩٨٠م) **السبعة في القراءات**، تحقيق: شوقي ضيف،ط٢، ص١٢٣، دار المعارف، مصر .

المناسبة من مثل قوله:﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾، وقوله: ﴿صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾، فالتكرار في الصاد و(الحاء) ومجيء الفاصلة في بعض آيات السورة على اللام نادرة بين فاصلة الياء والنون أو الواو والنون، يخفف من حدة الأداء وتتبع مجرى الصوت المتلاحق قبلها وبعدها ، فكأنها محطة استرواح في أجواء الرحمة والمغفرة من عناء المكابدة والمكابرة.

وإذا كان التنغيم الصوتي للألفاظ والحروف في آيات الأمثال القرآنية يكمن في الأصوات ودلالاتها الإيحائية، أو الواقع اللحني الذي ينتج عن تناغم الألفاظ وتكويناتها المقطعية المتشكلة من الأصوات، فإن هذه الأصوات مجتمعة في العبارة تحقق قيمتها الإيقاعية والجمالية وذلك من خلال كشفها أسرار الدلالة الفنية خلف هذه الإيقاعات.

الفصل الثالث: المقابلة في الأمثال القرآنية:

مدخل:

التقابل في آيات الأمثال القرآنية يقع بين معانيها كما يقع بين ألفاظها، ويعمل على زيادة ألفاظ المثل لذة وإثارة يلمسها المتلقي، ويزيد معانيها قوة ووضوحاً، ويضفي على كليهما روعةً وجمالاً، قال القرطاجني:" **إن للنفوس في تقارن المتماثلات و تشافعها والمتشابهات والمتضادات وما جرى مجراها تحريكاً وإيلاعاً بالانفعال إلى مقتضى الكلام** [1]".

وسيقف هذا الفصل بدايةً عند المقصود بالمقابلة لغة واصطلاحاً، وسرّ بلاغة المقابلة في آيات الأمثال، ثم تتبع وإحصاء لمواضع المقابلة، مع بيان أهم ما امتازت به بعض هذه المواضع من سمات، ثم يُتبع ذلك بتحليل لصورٍ منها ضمن سياقها ومدلولاته التنغيمية وإيقاع أصواتها الموسيقية. و بيان الفرق بينها وبين الطباق.

المقابلة لغة :

والمقابلة لغة: المقابلة والتقابل في أصل اللغة: المواجهة، قال أبو زيد الأنصاري (ت٢١٥ هـ): "**يقال فلان قِبلاً ومقابلة وقَبَلاً وقُبُلاً وَقَبلِيّاً وقبيلاً، وهو كلّه واحد، وهو المواجهة**[2]". ومن معاني التقابل والمقابلة بين الناس في اللغة:" **أن يُقبل بعضهم على بعض أمّا بالذات، وإما بالعناية والتوقير والمودة**[3]" والمقابل في اللغة ضد المُدابر، فيقال : رجل مقابل ومدابر، إذا كان كريم الطرفين من أبيه أبيه وأمّه[4].

والمقابلة والتقابل واحد، وهو قبالُك وقُبالَتُك، أي تُجاهَك[5]. ويعني التقابل في اللغة فيما يعني التعادل إذ يقال: "**ووازَنَه:عادلَه وقابله**[1]".

---

[1]- القرطاجني، حازم(١٩٨١م) **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**،تحقيق: محمد الحبيب،ط١، ص٤٤-٤٥، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

[2]- الأنصاري،أبو زيد سعيد بن أوس(١٩٨٠م) **النوادر في اللغة**،تحقيق: محمد عبد القادر، ط١، ص٥٦٩-٥٧٠، دار الشروق، بيروت.

[3]- الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ص٥٩٢.

[4]- ابن منظور، **لسان العرب**،ج١١ ، ص٥٣٨، مادة (قبل).

[5]- ابن منظور، **لسان العرب**،ج١١ ، ص٥٤٠، مادة (قبل).

المقابلة اصطلاحاً :

يعد التقابل في آيات الأمثال القرآنية الصريحة، ظاهرة موضوعية وأسلوبية في آن واحد" **فهناك تقابل بين الخير والشر والموت والحياة والنعيم والجحيم والماضي والمستقبل المادة والروح، الكفر والإيمان،السواد والبياض،السماء والأرض، الخفة والثقل، البسط والقبض، البث، والجمع والانفجار، والانتشار، مقابلات عديدة لا يمكن حصرها ولا عدها**[٢]".

والمقابلة اصطلاحاً: من المصطلحات التي تزيد المعنى وضوحاً، شريطة استعمالها في موضعها البديعي الذي يعطي النص وضوحاً وإبانة، أما إذا استعملت في غير موضعها فإنها حينئذٍ تصبح فاسدة نابية [٣].

المقابلة عند القدماء:

لاشك أن التقابل قد أخذ عن الدارسين القدماء الحظ الوافر من الدراسة والتحليل والبيان، وهذا ما زاد من عمق نظرتهم إليه من جهة، واختلاف هذه النظرة من جهة أخرى؛ فمنهم من درس المقابلة دراسةً شكلية اعتمد فيها على أسلوب الإحصاء، وذلك بإيراد المثال، وعدّ ما تضمنه من عناصر التقابل، كأن يكون اثنان في مقابل اثنين كقوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[٤] فقد جمع بين الضحك والبكاء والقلة والكثرة، أو مقابلة ثلاثة كقوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾[٥] فهنا ثلاثة معانٍ قابلتها ثلاثة أخر، أما الثلاثة الأولى: فهي(ويحل لهم الطيبات)،أما الثلاثة الأخر فهي: فالمقابلة بين: (يحرم ويحل)،(لهم وعليهم) (الخبائث والطيبات) ففي كل اسم وفعل وحرف. وأما المقابلة في أكثر من ثلاثة: كما في قوله تعالى:

---

[١]- ابن منظور، **لسان العرب**،ج١٣ ، ص٤٤٨ ،مادة (وزن).
[٢]- اليافي، **قواعد تشكل النغم في موسيقى القرآن**، ص١٣٧.
[٣]- قدامه بن جعفر، **نقد الشعر**، ص ٢٠١-٢٠٢.
[٤]- سورة (التوبة: ٨٢).
[٥]- سورة (الأعراف:١٥٧).

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ﴾[1]، فمقابل العطاء البخل، ومقابل التقوى الاستغناء، ومقابل التصديق التكذيب، ومقابل اليسر العسر.

- **النموذج الأول:** مقابلة بين لفظة (**يحل**) ولفظة(**يُحرم**).

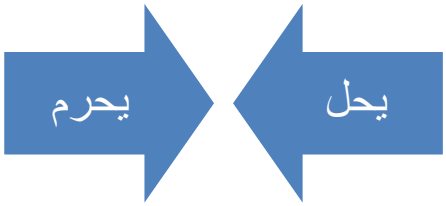

- **النموذج الثاني:** مقابلة بين لفظة(**لهم**) ولفظة(**عليهم**).

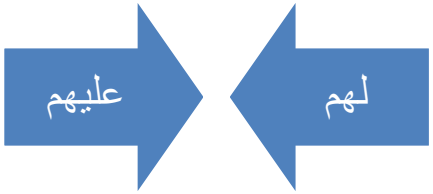

- **النموذج الثالث:** مقابلة بين لفظة(**الطيبات**) ولفظة(**الخبائث**).

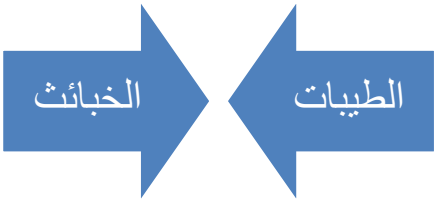

ومنهم من كانت دراسته متكاملة تحدد فيها مفهوم التقابل، دون أن ننسى الإشارة إلى ما كان يعتري هذا المفهوم من خلط بينه وبين مفهوم الطباق، ولقد عرض البحث نموذجا لفهم اللغويين والنحاة لمفهوم المقابلة، متمثلاً فيما تضمنته المعاجم اللغوية من تعريفات، وعرّف علماء[2] البلاغة

---

[1]- سورة (الليل: ٥-١٠).

[2]- انظر على سبيل المثال : العسكري، **الصناعتين(الكتابة والشعر)**، ص٣٧٤-٣٧١، و الباقلاني، **إعجاز القرآن**، ص١٣٦-١٣٧، والسكاكي، **مفتاح العلوم**، ص٢٠٠، وابن أبي الأصبع(١٩٩٢م) **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن**،تحقيق:حنفي محمد،ط٢،ص١٧٩،لجنة إحياء التراث،القاهرة. والزركشي، مطلوب،أحمد(١٩٨٧) **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**،ط٢،ج٣، ص٢٨٤-٢٩٢، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد.

المقابلة تعريفاً واضحاً، ومن أوائل النقاد العرب من تطرق لفن المقابلة هو قدامه بن جعفر، فقد تكلم عليها في باب نعوت المعاني وهو يربط صحة المعاني وفسادها بصحة المقابلة وفسادها .

أما أبو هلال العسكري فقد عرّف المقابلة في كتابه الصناعتين بقوله:" **المقابلة إيراد الكلام، ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة**[1]" ويوضح ذلك مع التمثيل فيقول " **فأما ما كان منها في المعنى،فهو مقابل الفعل بالفعل"وبدأ بتطبيق ذلك على النص القرآني كما في قوله:** ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓاْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[2] ويعلق على ذلك بقوله **" فخواء بيوتهم، وخرابها مقابلة لظلمهم**[3]".

أما ابن رشيق القيرواني فقد أفرد باباً تكلم فيه عن المقابلة بالإيضاح والتحليل بقوله: " **وأصلها ترتيب الكلام على ما يجب فيعطي أول الكلام ما يليق به أولاً وآخرة ما يليق به آخراً، ويأتي في الموافق بما يوافقه وفي المخالف بما يخالفه، وأكثر ما تجيء المقابلة في الأضداد فإذا جاوز الطباق ضدين كان مقابلة**[4]". ويمثل للمقابلة الجيدة بمجموعة من الشواهد كقوله:﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾[5] فقابل الليل بالسكون، والنهار بابتغاء الفضل وجعل بعض المفسرين الليل والنهار بمعنى الزمان والأول أعجب لي[6]".

أما السكاكي فقد جعل المقابلة من المحسنات المعنوية، وفي تعريفها يقول:" **هي أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وبين ضديهما. ثم إذا شرطت هنا شرطا شرطت هناك ضده كقوله تعالى"** ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ...﴾[7]" **لما جعل التيسير مشتركا بين الإعطاء والاتقاء والتصديق جعل ضده، وهو التعسير مشتركا بين أضداد تلك، وهي المنع**

---

[1]- العسكري، **الصناعتين (الكتابة والشعر)**، ص٣٣٧ .
[2]- سورة (النمل:٥٢) .
[3]- العسكري، **الصناعتين (الكتابة والشعر)**، ص٣٣٧ .
[4]- القيرواني، **العمدة شرح العدة**،ج٢، ص٥ .
[5]- سورة (القصص:٧٣) .
[6]- القيراوني، **العمدة شرح العدة**،ج٢، ص١٥ .
[7]- سورة (الليل:٧) .

والاستغناء والتكذيب[1]"ونستنتج من كلام السكاكي أنه وضع التضاد شرطاً في حصوله المقابلة، وجعلها تختلف عن الطباق في عدد المتقابلين، حيث يجب أن يُجمع فيها بين شيئيين فأكثر وبين ضديهما، وهذا معناه أن الطباق يختص بالمنفردات بينما تختص المقابلة بالتركيب.

ويرى ابن الأثير المقابلة على وجهين، وجه تكون فيه التضاد، ووجه تكون فيه بغير التضاد، يقول في ذلك : **" الأليق من حيث المعنى أن يسمّى هذا النوع المقابلة؛ لأنه لا يخلو الحال فيه من وجهين، إمّا أن يقابل الشيء بضده، أو يقابل بما ليس بضده، وليس لنا وجه ثالث**[2]".

أما الخطيب القزويني فقد أدخلها في عموم المطابقة وعرّفها بقوله:**" أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ثم بما يقابلها أو يقابلها على الترتيب والمراد بالتوافق خلاف التقابل**[3]"، وهو لا يشترط في هذا التقابل التناسب بين المتقابلين[4]". ويأتي بعد ذلك على ذكر أنواعها مع التمثيل لكل نوع منها. مقابلة اثنين باثنين، وثلاثة بثلاثة،...ليصل بعدها إلى ذكر أمثلة عن اللطيف والجيد منها ويختم حديثه عنها بإعادة ذكر ما قاله السكاكي في تعريفها.

وقد فصل الزركشي بين الطباق والمقابلة حين تحدث عنهما وقد عرّف المقابلة بقوله:**" وهي ذكر الشيء مع ما يوازيه في بعض صفاته ويخالفه في بعضها، وهي من باب المفاعلة كالمقابلة والمضاربة، وهي قريبة من الطباق**[5]".وعرّفها السيوطي بقوله: **" وهو أن يُذكر لفظان فأكثر ثم أضدادها على الترتيب**[6]".

المقابلة عند المحدثين:

الاتجاه الأول[7]:

لم يأتِ أصحابه بالجديد، فهم يكررون العبارات ويعيدون ذكر الشواهد ذاتها التي استشهد بها القدماء في حديثهم عن التقابل. كما أن **" فكرة التحسين والمحسن البديعي هي المسيطرة على بحث**

---

[1]- السكاكي، **مفتاح العلوم**، ص١٧٩.
[2]- ابن الأثير،**المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**،ج٢، ص٢٤٤.
[3]- القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**، ص١٩٣.
[4]- الصعيدي،عبد المتعال(٢٠٠٥م)**بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة،ط١٧**،ج٤ ،ص١٢،مكتبة الآداب، مصر
[5]- الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**،ج٣، ص٤٥٨.
[6]- السيوطي، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**،ج١، ص٣١٥، **والإتقان في علوم القرآن**، ج ٣، ص٢٨٥ .
[7]- للتوسع على سبيل المثال، الساحلي، **التضاد في النقد الأدبي مع دراسة تطبيقية من شعر أبي تمام،ص٣٧**.

أصحاب هذه الوجهة للطباق، أو التضاد، فقد اكتفى؛ من الدارسين بتردد نصوص القدماء، وإعادة ملاحظاتهم، دون تعليق أو تجديد يذكر [1]**".**

الاتجاه الثاني:

وهو اتجاه كان الاهتمام بالمحسنات البديعية خارج دائرة التحسين بل إن هناك من رفض تسميتها بالمحسنات البديعية بقوله:" **... تقسيم البلاغيين لما عرف بالمحسنات إلى لفظية ومعنوية، تقسيم مردود، والاصطلاح نفسه" المحسنات" لا نطمئن إليه...** [2]"، كما أن الطباق عنده ما هو إلا جزء من البنية الكلية للنص، ولا يمكن اقتطاعه والنظر إليه على أنه قائم بذاته. ومنهم من يقول بخصوص المطابقة:" **والمطابقة من مقومات التعبير؛لأنها تعتمد على الأضداد، والمتناقضات، ولذلك فهي ليست محسناً، وإنما هي وسيلة من وسائل التعبير...** [3]" وهذا علي شلفوح يطرح فكرة التحسين، ويدعو إلى عدم الاهتمام بالزينة والزخرف؛ لأن الذهنية لا تؤمن بالشكليات والطلاء والبهرج. وآخر يجعل الطباق عنصراً مهماً من عناصر الانسجام في النص، ومصطفى السعدني يجعله نوعاً من أنواع المفارقة، فهو والمقابلة عنصران بنائيان.

ويخلص الباحث إلى أن المقابلة هي أن يُؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر، ثم يؤتى بما يقابل ذلك المذكور من المعنيين المتوافقين أو المعاني المتوافقة على الترتيب[4]. والمتتبع لمصطلح المقابلة يجد أن علماء البلاغة[5] فرقوا بينه وبين الطباق، ومنهم السيوطي الذي فرق بينهم من وجهين[6] اثنين. أحدهما : إنّ الطباق لا يكون إلا في ضدين فقط، والمقابلة لا تكون إلا بما زاد على ضدين من الأربعة إلى العشرة.

والثاني : إن الطباق لا يكون إلا بالأضداد والمقابلة بالأضداد وغيرها.

وأما الجامع بينهما فهو الجمع بين الأضداد الذي به تتمكن المعاني في الأذهان، ومن الملاحظ أنَّ المقابلة في آيات الأمثال القرآنية جاءت في خمسة مواضع، والسمة الغالبة على هذه المواضع أنها جاءت عقداً للمقارنة بين التوحيد والشرك، والحق والباطل ترغيباً وترهيباً.

---

[1]- الساحلي، **التضاد في النقد الأدبي مع دراسة تطبيقية من شعر أبي تمام**،ص٢٣٦ .

[2]- عيد، رجاء(د.ت)**فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور**،(د.ط)،ص٢١٦،منشأة المعارف، الإسكندرية.

٣- مطلوب، أحمد(١٩٨٠م) **البلاغة العربية المعاني والبيان والبديع**، ط٢، ص٢٨٨،معهد الإنماء العربي، بغداد.

٤- القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**،ص٣٥٣.

٥- انظر: ابن أبي الأصبع، **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن**، ص١٧٩، والزركشي، **البرهان في علوم القرآن**،ج٣،ص٤٥٨.

٦- السيوطي، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**،ج١، ص٣١٦،و**الإتقان في علوم القرآن**،ج ٣، ص٢٨٥ .

القيمة الجمالية للمقابلة فى آيات الأمثال:

لقد كان لفن المقابلة في آيات الأمثال القرآنية علو شأن ورفعة مكانة عند أهل البلاغة قديماً وحديثاً وقد وصف أحدهم أهمية هذا الفن بقوله: **" فلها شعب خفية وفيها مكامن تغض،وربما التبست بها أشياء لا تتميز إلا للنظر الثاقب والذهن اللطيف**[1]**"** وهو بذلك يشير إلى القيمة الجمالية والمكانة البلاغية لفن المقابلة وأنها لا تتأتى من تضاد وتعاكس لفظين مجردين من السياق أو البناء اللغوي فحسب وإنما يكون سر خفائها ومكنون غموضها عندما تمتزج وتندمج مع قوالب المعاني فتصبح مرتكزاً بنائياً يتكئ عليه النص، فتتولد جمالياتها من امتزاجها وإضاءتها للنص،مؤدية إلى وضوح دلالات تراكيبه وهنا تبرز قيمة المقابلة وبلاغتها أجمل صورها.

وقد تأتي المقابلة في النص القرآني لتعقد مقابلة في" اثنين كقوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[2] فقد جمع بين الضحك والبكاء والقلة والكثرة. إن القيمة الجمالية والفنية للمقابلة تكون فيما يحدثه التضاد من أثر متميز في الدلالة على **" صور ذهنية ونفسية متعاكسة يوازن فيما بينها عقل القارئ ووجدانه فيتبين ما هو حسن منها ويفصله عن ضده** [3]**"**. واستخدمت المقابلة في آيات الأمثال القرآنية في مواضع شتى في الترغيب والترهيب، كالخوف والطمع، والعصيان والطاعة، والأمن والخوف، والإنذار والابشار، وكل ذلك انعكاسات تتمحور في محوري لأمثال القرآنية الكريمة الأساسين : الإيمان والكفر[4].

النموذج الأول:

وأول صور المقابلة في آيات الأمثال القرآنية ما جاء في قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[5] .

---

[1]- الجرجاني،القاضي علي عبد العزيز(د.ت)**الوساطة بين المتنبي وخصومة**، تحقيق: إبراهيم وعلي البجاوي، د.ط، ص٤٤، دار القلم،بيروت.

[2]- سورة (التوبة : ٨٢).

٣- مطلوب، أحمد وكامل حسن البصير(١٩٨٢م) البلاغة والتطبيق، ط١،ص٤٤٣، معهد الإنماء العربي، بغداد.

٤- للتوسع انظر،الجويني، مصطفى الصاوي(١٩٨٥م)**البلاغة العربية تأصيل وتجديد،ط١**،ص١٢٣،منشأة المعارف، المعارف، الاسكندرية.

[5]- سورة (النحل : ٧٥).

مناسبة آية المثل القرآني:

جاءت السورة الكريمة، بتقابلها الموسيقي ،وتنغيمها الصوتي، لتضع بين يدي المتلقي ، مشهداً من مشاهد التعبير القرآني وما تحمله من بلاغة المقابلة وسرها في تداعي السورة الكريمة وتعمل على استثارة الأذهان، وسميت هذه السورة عند السلف سورة النحل، وهو اسمها المشهور في المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة. وعن قتادة أنها تسمى سورة النعم- أي بكسر النون وفتح العين-، قال ابن عطية: لما عدد الله فيها من النعم على عباده[١].

وسورة النحل مكية، إلا ثلاث آيات في آخرها نزلت في المدينة بعد أُحد[٢]. وقد نزلت سورة النحل بعد سورة الكهف وقبل سورة نوح فهي السورة التاسعة والستون من حيث النزول[٣].عدد آياتها: مائة وثمان وعشرون بلا خلاف[٤].

ومعظم ما اشتملت عليه السورة الكريمة إكثار متنوع الأدلة على تفرد الله تعالى بالألوهية، والأدلة على فساد دين الشرك وإظهار شناعته[٥]، وتركز على التذكير بالنعم الدالة على المنعم، إلزاما بعبوديته، وتحذيرا من جحود نعمته[٦]. وكان للتركيز على ذكر النعم في هذه السورة أكبر الأكثر في الدفاع عن العقيدة[٧]. وقد ذكر الله في أولها أصول النعم وقواعدها، وفي آخرها متمماتها ومكملاتها[٨].وقد ورد لفظ النعمة بمشتقاته في السورة تسع مرات، ونلاحظ في الآيات التالية ارتباط ذكر النعم بموضوع آخر مهم جدا، حاولوا معرفته من خلال الآيات:﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً ....﴾[٩] وقوله :﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا....﴾[١٠]، والمتأمل يرى ارتباط موضوع السورة بذكر النعم هو موضوع متعلق بالتوحيد وأصول العقيدة.

١- ابن عاشور،**التحرير والتنوير** ،ج١٤، ص ٩٣.
٢- الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**،ج ١٧،ص ٣٢٣.
٣- مسلم، مصطفى(٢٠١٠م)**التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم،ط١**،ج ٤،ص١٣٣.كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة.
٤- ابن عاشور،**التحرير والتنوير** ،ج١٤، ص ٩٣.
٥- ابن عاشور، **التحرير والتنوير**،ج١٤، ص ٩٣.
٦- مجموعة علماء(١٤٣٦هـ) **المختصر في التفسير**،ط٣،ص٢٦٧،مركز الدراسات القرآنية، جدة.
٧- مجموعة علماء(١٤٣٣هـ)**موسوعة التفسير الموضوعي**،ج٤،ص١٣٤.مركز الدراسات القرآنية،جدة.
٨- السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**،ص ٤٣٥.
٩- سورة (النحل:١١٢).
١٠- سورة (النحل:١١٤).

وابتدأت موضوعات السورة الكريمة بتقرير وحدانية الله سبحانه وتعالى وتنوعت فيها الأدلة على تفرد الله تعالى بالألوهية وعلى فساد دين الشرك وإظهار شناعته[1]، وذكرت أنواعا من نعمه على عباده، وتطرقت السورة إلى بيان أن الله هو المنعم القادر، وبينت عجز المعبودين دونه، ثم تعرضت السورة لذم المتكبرين ومدح المتقين، وبينت عاقبة المكذبين بالرسل واليوم الآخر، وجزاء المؤمنين بها، وذكرت أدلة على توحيد الألوهية وعادت السورة لتعداد النعم، وضرب الأمثلة لإثبات وحدانية الله، ويعود مجدد لتعداد النعم، وذكرت بعضا من مشاهد اليوم الآخر، وتعرضت إلى توجيهات في مكارم الأخلاق ومنها الآداب مع القرآن ورد الافتراءات عليه، وضرب مثل آخر، ثم ذكرت أهمية الدعوة وأساليبها وذكرت نموذجا من نماذج الداعين وهو إبراهيم عليه السلام، وختمت بالأمر بالحث على الصبر ومعية الله للمتقين[2].

وعندما يتأمل المتلقي مقاطع السورة، يلاحظ أنه عندما تنتهي من استعراض آيات الخلق، وآيات النعمة، وآيات التدبير، يعقب السياق عليه بالسبب الذي سيق هذا الاستعراض من أجله. وهو التعريف بالله – سبحانه- وتوحيده وتنزيهه عما يشركون[3].

أثر المقابلة في آية المثل القرآني:

جاءت آية المثل القرآني السابق بمقابلات جمالية جعلت" **الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني فيخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية**[4]" والفن والدين صنوان في أعماق النفس و قراره الحس.

ومن هذا المنطق فقد كان لهذا النوع من التقابل بلاغة وجمالياته في آية المثل القرآني ذلك أن الضدية الظاهرة بين طرفيه تعد مظهراً بارزاً أمام المتلقي، وبلاغتها تكمن في المعنى الحقيقي المتخفي وراء المتضادين والتي يستطيع المتأمل الحذق أن يكتشفها بقدراته الخاصة.

وجاءت آية المثل هنا وقد أفرزت التقابل بثنائياتها الضدية، وبإيحاءات متباينة، لتبين أنَّ عبادة الأوثان والاعتقاد بأنها قربة لله ما هو إلا شرك بالله تعالى، وقد رسمت الآية لوحة تقابلية، مفعمة بالإيقاع الصوتي وهي تصور مشهداً حياً لمن سوّى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حرّ مالك قد رزقه الله مالاً فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء.

١- ابن عاشور،**التحرير والتنوير** ،ج١٤، ص ٩٣.
٢- مجموعة علماء، **موسوعة التفسير الموضوعي**،ج٤،ص٢٦٧ بتصرف.
٣- قطب، **في ظلال القرآن** ،ج٤، ص ٢١٦٤.
٤- قطب، **التصوير الفني في القرآن**، ص١٤١.

الأصوات المجهورة التي وردت في آية المثل القرآني		
الصوت	المفردة القرآنية	عدد ورودها
الباء	ضَرَبَ، عَبْدًا ، بَلْ	٣ مرات
الجيم	وَجَهْرًا	مرة واحدة
الدال	عَبْدًا، لَّا يَقْدِرُ، ٱلْحَمْدُ	٣ مرات
الراء	ضَرَبَ، لَّا يَقْدِرُ، رَّزَقْنَٰهُ، رِزْقًا، سِرًّا ،وَجَهْرًا، أَكْثَرُهُمْ	٩ مرات
الزاي	رَّزَقْنَٰهُ، رِزْقًا	مرتين
الضاد	ضَرَبَ	مرة واحدة
العين	عَبْدًا، عَلَىٰ، يَعْلَمُونَ	٣ مرات
اللام	لَا يَعْلَمُونَ ،بَلْ ،لِلَّهِ ،ٱلْحَمْدُ ،هَلْ ،مَثَلًا، مَّمْلُوكًا ،لَّا يَقْدِرُ ،عَلَىٰ	١٦ مرة
الميم	مَثَلًا، مَّمْلُوكًا ، وَمَن مِّنَّا، مِنْهُ ،ٱلْحَمْدُ، أَكْثَرُهُمْ، يَعْلَمُونَ	١٠ مرات
النون	مَثَلًا،عَبْدًا،مَّمْلُوكًا ،شَىْءٍ ،وَمَن ،رَّزَقْنَٰهُ ،مِنَّا،حَسَنًا،يُنفِقُ ، مِنْهُ ، سِرًّا ، وَجَهْرًا ،يَسْتَوُۥنَ ،يَعْلَمُونَ	١٦ مرة
المجموع		٦٤ مرة

لقد كان التقابل العقدي المحور الأساس والموضوع الأكثر أهمية بين موضوعات المقابلة في السورة الكريمة وبلاغتها وجمالها إنما تكون في **" وضع الحد الفاصل بين الكفر والشرك من ناحية وبين الإيمان والحق والهدى من ناحية أخرى**[١]**"**.

وعندما يجمع القرآن الكريم بين الإيمان والكفر ومرادفها الحق والباطل والهدى والضلال، فإن الجامع بين المتضادين مقصود، لأنه سبحانه وتعالى يبين حقيقة الشرك بالله في الكافر المشرك - الذي جعل مع الله إلهاً غيره- وحقيقة الإيمان في قلب العبد المؤمن. وإنما حكمته في الجمع بين الضدين

١- أبو حمده، محمد علي(١٩٨٥)،القرآن الكريم واستمرارية إعجازه، العدد(٩)، ص١١٥٠،المجلة الثقافية،القاهرة.

التفريق بين الصالح والطالح والثبوت على أحدهما والتشويق الذي يقود المتلقي إلى ترجيح أحد الطرفين وتأييده والانتصار له، ذلك أن " **الضد يعرف بضده**[1]".

وقد رسمت آية المثل صورتين: **الأولى**: ضربها الله سبحانه وتعالى للأوثان والأصنام الحجرية التي عبدتها البشرية بغير حق، وهي عاجزة لا تقدر على شيء؛ ولا تحمي نفسها ولا تنفع ولا تضر، والصورة **الثانية**: ضربها الله عز وجل لنفسه، فهو المالك الوحيد القادر على التصرف بالكون كلّه، يخلق ويدبر، ويكور ويسخر، ويعز ويذل، يحيي ويميت، ويغني ويُفقر، ويرفع ويضع....فيرى المتأمل للآية الكريمة أنها تقابل:

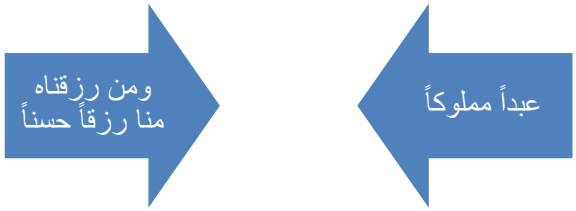

وجاء التقابل بين:﴿عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾ وبين﴿ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا﴾ والمراد به مقابلة العبد المملوك بالحر المالك" **ومن موصولة ما صدقها حُرّ، بقرينة أنه وقع في مقابلة عبد مملوك، وأنه وصف بالرزق الحسن فهو ينفق منه سراً وجهراً، أي كيف يشاء، وهذا من تصرفات الأحرار؛ لأن العبيد لا يملكون رزقاً في عرف العرب، وأما حكم تملك العبد مالاً في الإسلام فذلك يرجع إلى أدلة أخرى من أصول الشريعة الإسلامية**[2]".

والمتأمل لآية المثل القرآني يرى تقابلاً بين الحق والباطل، بين القوة والضعف، بين مشهدين من مشاهد المقارنة مشهد الضعيف الذي لا يملك شيئاً، ومشهد القوي الذي بيده كل شيء سبحانه.

١- سلطان، منير محمد(١٩٧٦)،**البديع تأصيل وتجديد**،ط١، ص١١٨، دار الهجرة،الإسكندرية.
٢- ابن عاشور، **التحرير والتنوير**،ج١٤ ،ص٢٢٤.

الأصوات الانفجارية التي وردت في آية المثل القرآني		
الصوت	**المفردة القرآنية**	**عدد ورودها**
الهمزة	شَيْءٍ، أَكْثَرُهُمْ	مرتين
الباء	ضَرَبَ، عَبْدًا ، بَلْ	٣ مرات
التاء	يَسْتَوُونَ	مرة واحدة
الجيم	وَجَهْرًا	مرة واحدة
الدال	عَبْدًا، لَّا يَقْدِرُ، ٱلْحَمْدُ	٣ مرات
الضاد	ضَرَبَ	مرة واحدة
القاف	يَقْدِرُ، رَّزَقْنَٰهُ، رِزْقًا، يُنفِقُ	٤ مرات
الكاف	مَّمْلُوكًا، أَكْثَرُهُمْ	مرتين
المجموع		١٧ مرة

لقد أثار التقابل في آية المثل السابق المشاعر المتناقضة ما بين الرغبة والخوف وقد رسم بدوره ذلك التقابل، وكان للتقابل دورٌ في خلق الموسيقى، وتغير الموسيقا بتغير المشهد كما في تقابل ﴿لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ بـ﴿يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾ المراد به مقابلة العجز التام بالقدرة وسعة التصرف.

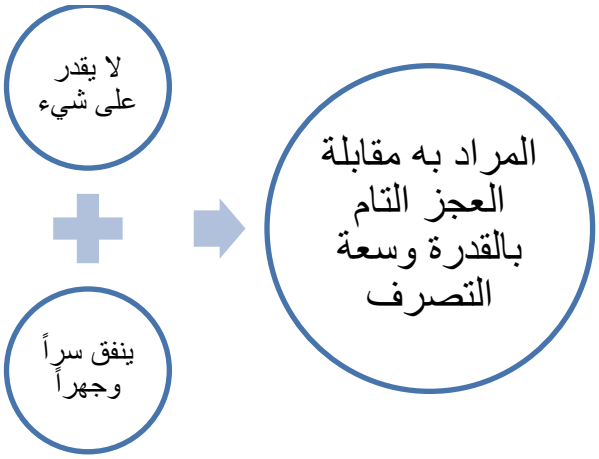

والمراد من هذا التقابل في الآية هو نفي المساواة أو التسوية بين العبيد والأحرار الموصوفين بتلك الصفات، مع أن الفريقين سيان في البشرية والمخلوقية لله سبحانه، واحتج بامتناع الاشتراك والتسوية بينهما مع تشاركهما في الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية بين الأصنام التي هي أعجز المخلوقات وبين الله الغني القادر على الإطلاق.

الأصوات الاحتكاكية التي وردت في آية المثل القرآني		
الصوت	**المفردة القرآنية**	**عدد ورودها**
الثاء	مَثَلًا، أَكْثَرُهُمْ	مرتين
الحاء	حَسَنًا ، ٱلْحَمْدُ	مرتين
الزاي	رَّزَقْنَٰهُ، رِزْقًا	مرتين
السين	يَسْتَوُۥنَ ، سِرًّا، حَسَنًا	٣ مرات
الشين	شَىْءٍ	مرة واحدة
العين	عَبْدًا، عَلَىٰ، يَعْلَمُونَ	٣ مرات
الفاء	فَهُوَ، يُنفِقُ،	مرتين
الهاء	ٱللَّهُ ، رَّزَقْنَٰهُ ، فَهُوَ ، مِنْهُ ، هَلْ ،لِلَّهِ، أَكْثَرُهُمْ	٧ مرات
المجموع		٢٢ مرة

ومما زاد من جلاء هذه المقابلة ووضوحها أنها نُقِلت فيها الأمور المعنوية المتمثلة في توحيد الله والإشراك به إلى صور مشاهدة من واقع ما يعيشه الناس في بيئتهم وظروفهم الاجتماعية، فالعبد والحرُّ من الواقع المشاهد للمجتمع المكي خاصةً في تلك الفترة. وهذا التقابل في آية المثل والمقارن بين حالين متضادين أحدهما في أحسن أحواله، والآخر في أقبحها يحمل معنى الترغيب والترهيب، والأمر والنهي.

ومن آثار التنغيم الصوتي في آية المثل السابق تواتر حروف الهمس فيه، فأصوات الهمس في آية المثل القرآني، جاءت مساهمة في تشكيل عنصر التوسع في وصف المشهد المرسوم للمقابلة كقوله في مفردات آية المثل:﴿ سِرًّا، يَسْتَوُۥنَ ،حَسَنًا ﴾.

الأصوات المهموسة التي وردت في آية المثل القرآني		
الصوت	**المفردة القرآنية**	**عدد ورودها**
التاء	يَسْتَوُۥنَ	مرة واحدة
الثاء	مَثَلًا، أَكْثَرُهُمْ	مرتين
الحاء	حَسَنًا ، ٱلْحَمْدُ	مرتين
السين	يَسْتَوُۥنَ ، سِرًّا ، حَسَنًا	٣ مرات
الشين	شَىْءٍ	مرة واحدة
المجموع		٩ مرات

فأغلب الأصوات التي تواترت وتتحدث عن الحركة والحياة وسرعة الريح أصوات مهموسة، على سبيل المثال: صوت الثاء﴿ مَثَلًا، أَكْثَرُهُمْ ﴾وصوت التاء﴿يَسْتَوُۥنَ ﴾وصوت الحاء﴿ حَسَنًا،ٱلْحَمْدُ ﴾، وصوت السين﴿يَسْتَوُۥنَ ، سِرًّا﴾المتكررة وهي من الحروف الصفيرية، التي تحمل ملمح قوة التوصيل وفيه أيضاً تمازج لبؤس حالهم وصورة بطلان ما يفعلون. وعندما نتأمل عذوبة التقابل في آية المثل القرآني وما صاحبها من موسيقى **" فالموسيقا المصاحبة لهذه التقابلات الإيقاعية مختلفة تبعاً لإطار السورة** [1]".

١- اليافي، **قواعد تشكل النغم في موسيقا القرآن**، ص١٣٨.

النموذج الثاني: ومن صور المقابلة ما جاء في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾[1].

مناسبة آية المثل القرآني:

جاءت سورة إبراهيم وهي سورة مكية، وموضوعها الأساسي ترسيخ العقيدة في أصولها الكبيرة: الوحي والرسالة والتوحيد والبعث والحساب والجزاء **" ولكن السياق في السورة يسلك نهجا خاصا بها في عرض هذا الموضوع وحقائقه الأصيلة؛ نهجا مفردا يميزها - كالشأن في كل سورة قرآنية - عن السور غيرها، يميزها بجوها وطريقة أدائها، ...**[2]".

ويلمس المتلقي في جو السورة، تخليدًا لمآثر أبي الأنبياء، وإمام الحنفاء إبراهيم - عليه السلام - الذي حطَّم الأصنامَ، ورفع رايةَ التوحيد، وقد قصَّ علينا القرآنُ دعواتِه المُباركة بعد انتهائه من بناء البيت العتيق.

ويرى المتأمل في آيات السورة أنها عالجت عدة حقائق رئيسية في العقيدة، وركزت على حقيقتين عظيمتين" **حقيقة وحدة الرسالة والرسل، ووحدة دعوتهم، ووقفتهم أمة واحدة في مواجهة الجاهلية المكذبة بدين الله على اختلاف الأمكنة والأزمان، وحقيقة نعمة الله على البشر وزيادتها بالشكر؛ ومقابلة أكثر الناس لها بالجحود والكفران**[3]".

وقد ذكر سبحانه وتعالى في هذا المثل الكريم نموذجاً محسوساً يتحدث فيه عن الكفار وعنادهم واستكبارهم عن أن يقولوا كلمة الإيمان لرسلهم ثم ذكرت أيضاً الآيات مثلاً لأعمالهم الذاهبة سدى، ورسمت آية المثل القرآني قدرته -عزّ وجل- على خلق السموات والأرض وقدرته أيضاً على أن يذهبهم ويأتي بخلق جديد... ثم بينت الآيات الكريمة تبرؤ الشيطان في الآخرة ممن اتّبعه في الدنيا وعذابهم المنتظر في الآخرة.

١- سورة (إبراهيم : ٢٤-٢٦) .
٢- قطب، **في ظلال القرآن**، ج٤،ص٢٠٧٧.
٣- المرجع نفسه.

وأخذ سياق الآية بالانتقال كعادته إلى الجهة المقابلة وهي بيان ثمرة أعمال المؤمنين وما ينتظرهم من ثواب في الآخرة وضرب السياق لذلك مثلاً كريماً. وهنا تبدو مناسبة آية المثل القرآني لما قبله إذ جاء لبيان نتيجة الإيمان وثمرته على صاحبه، ثم يرى المتلقي في آية المثل الذي ضُرب في المقابل لبيان الأثر السيئ، للكلمة الخبيثة – كلمة الإلحاد والكفر والخروج عن دين الحنفية-، أو ما يلحق بها من كلمات الشر وبيان أثرها على صاحبها ومن حوله.

ثم رسمت الآية لوحة للمتلقي تظهر مشيئة الخالق النافذة في تثبيت قلوب الموحدين على القول الثابت في الحياة الدنيا والدار الآخرة، بينما يصب غضبه وعذابه على الظالمين الذين يزدادون ضلالاً، فلا يستطيعون التكلم بكلمة الحق في قبورهم ولا في آخرتهم جزاءً لبغيهم وضلالهم واستكبارهم على الله في الحياة الدنيا .

أثر المقابلة في آية المثل القرآني:

اجتمعت في آية المثل القرآني مقابلات تجسد الحد الفاصل لدعوة الحق وما يقابلها من دعوات باطلة، مخاطباً الحس والوجدان بلغة الفن والجمال، وآيات الكون والإعجاز باستخدام الطبيعة الدنيوية ليثّبت ما يريد في أعماق النفس البشرية.

واستطاعت آية المثل القرآني، بجرسها الإيقاعي ونغمها الموسيقي أن ترسم مشهداً يحيطه الجمال البلاغي يكمُن فيه المعنى الحقيقي المتخفي وراء المتضادين والتي يستطيع المتأمل الحذق أن يكتشفها بقدراته الخاصة. ويكشف ما رسمته الآية الكريمة بكل وضوح صورة مقابلة الكلمة الطيبة بكل معانيها وأحاسيسها الوجدانية سواء كانت معتقدات إيمانية أو حتى تصرفات إنسانية، بصورة مقابلة لها وهي الشجرة الطيبة - وقد قيل أنها شجرة النخل- وهي ثابتة في أعماق الأرض لا يحركها أي عارض وفرعها في السماء .

ورسمت الآية في الجانب الآخر صورة الكلمة الخبيثة بكل معتقداتها ووسائل حربها وأوراق مؤامراتها، وهي بذلك مقابلة لصورة الشجرة الخبيثة، اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار...

"هو مشهد مأخوذ من جو السياق، ومن قصة النبيين والمكذبين، ومصير هؤلاء وهؤلاء بوجه خاص. [1]".

١- قطب، **في ظلال القرآن**،ج٤،ص٢٠٩٩.

وكان لأثر التنغيم الصوتي في أصواتها وأجراس حروفها وألفاظها، علاقة مباشرة للبعد الفني، ينسجم مع تلك الذبذبات الصوتية الروحية التي تجعل المتلقي يسعى لإثبات ذلك الإعجاز الإلهي في نسق القرآن الكريم، من خلال الأثر التنغيمي والإيقاع الصوتي في آيات الأمثال القرآنية حيث قام الباحث بعمل جدول إحصاء لتلك الأصوات، وحضورها في آية المثل، وعدد تواترها ، وصدى كل صوت في التأثير والمساهمة لسياق المعنى لآية المثل القرآني، فبلغ عدد الأصوات المجهورة في آية المثل القرآني، (٨١) صوتاً، وكان لصدى حروفها، ولطبيعة الإنذار والوعيد وتقرير المصير في جرس أصواتها، الوقع الكبير في آية المثل، أما الأصوات المهموسة والتي بلغ عدد تواترها في آية المثل القرآني(٣٠) صوتاً، أما الأصوات الانفجارية فكان لها الحظ الوافر، فقد بلغ عدد أصواتها (٥٠) صوتاً، وكان لحضور الأصوات الاحتكاكية في آية المثل القرآني، دور بارز في الانسجام التنغيمي والجرس الإيقاعي في مفردات الآية، والتي بلغ عددها (٣٢) صوتاً، مما يمثل لونا جماليا فيه كل صنوف التعبير وطريقة الأداء، ويتضح ذلك من خلال الجدول المرفق.

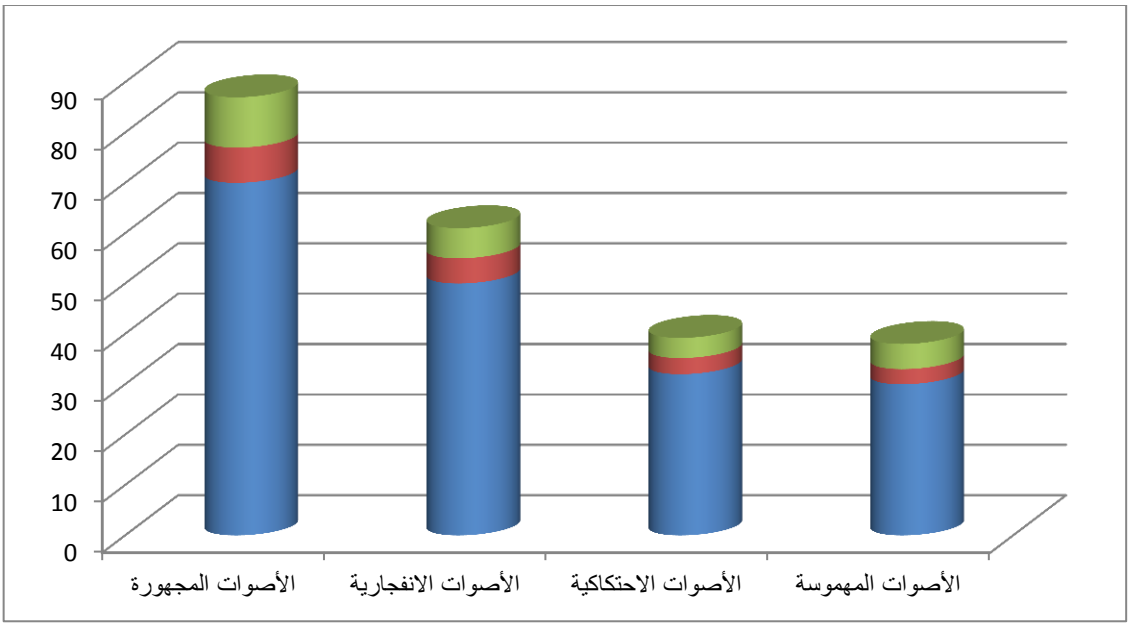

جدول توضيحي لنسبة الأصوات داخل آية المثل السابق

جاء المثل القرآني بآياته الكريمة بصورة مقابلة فريدة من نوعها لترسم للمتلقي مشهداً مفعماً بجمال التعبير البلاغي يقابل فيه الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة، وقد " **فسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد، ودعوة الإسلام، والقرآن، والكلمة الخبيثة بالشرك بالله تعالى، والدعاء إلى الكفر، وتكذيب**

الحق، ولعل المراد بها ما يعم ذلك، فالكلمة الطيبة ما أعرب عن حق أو دعا إلى صلاح، والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك[1]".

وقد جُمع في هذه الآيات الكريمة بين عدة أضداد مختلفة، أولها: مقابلة﴿ كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ بـ ﴿كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾، وثانيها: مقابلة﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾بـ ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾، وثالثها: مقابلة ﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ بـ﴿ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾، وهذه المقابلة بين هذه المعاني المتضادة جاءت لتقابل بين معانٍ مجردة بأمورٍ حسية مشاهدة، مما جعل لهذه المعاني وقعاً مثيراً في النفس يدفعها للتأمل والنظر، فكلمة التوحيد هي أصل كل سعادة راسخة في قلوب المؤمنين، وهي ثابتة باقية، أما الكلمة الخبيثة فلا نفع لها، ولا بقاء؛ وهي أصل كل شقاء، وليس لها ثبات ولا قوة ولا حجة بل هي داحضة غير ثابتة.

وفي مقابلة الكلمة الطيبة الموصوفة بالحسن والبهاء والبقاء، بالكلمة الخبيثة الموصوفة بالقبح والفناء، مقابلة للترغيب بالترهيب، وفي ذلك زيادة تأكيد وترسيخ لطلب المحمود، وترك المذموم فالكلمة الطيبة -كلمة الحق ضد الباطل- مثلها مثل الشجرة الطيبة التي تعطي الثمار المفيدة، وجذرها ثابت في أعماق الأرض لا يتحرك" **ثابتة لا تزعزعها الأعاصير، ولا تعصف بها رياح الباطل؛ ولا تقوى عليها معاول الطغيان**[2]" وربما يظن الناظر إلى تلك الشجرة على أنها ضعيفة هشة يحيط بها الخطر من كل جانب، وما علم أنها ثابتة " **سامقة متعالية، تطل على الشر والظلم والطغيان من عال - وإن خيل إلى البعض أحيانا أن الشر يزحمها في الفضاء - مثمرة لا ينقطع ثمرها؛ لأن بذورها تنبت في النفوس المتكاثرة آنا بعد آن**[3]".

---

[1]- البيضاوي، ناصر أبو سعيد،**أنوار التنزيل وأسرار التأويل(تفسير البيضاوي)،تحقيق: محمد المرعشلي**،ط١،ج٣، ص٣٤٧، دار إحياء التراث، بيروت.

٢- قطب، **في ظلال القرآن**،ج٤،ص٢٠٩٩.

٣- قطب، **في ظلال القرآن**،ج٤،ص٢٠٩٩.

فأصل الشجرة ثابت راسخ في الأرض باقٍ آمن الانقطاع والانقلاع والزّوال والفناء[١].وكذلك المؤمن أصل الإيمان ثابت في قلبه راسخ لا تزحزحه شبهات الكفر ومغريات الإلحاد [٢]. وفرع تلك الشجرة عالٍ مرتفع الأغصان لجودة التربة وملاءمة البيئة فيكون ثمرها نقياً بعيداً عن الشوائب[٣].

والمؤمن يعمل الطيبات والخيرات في الأرض فيصعد هذا العمل الطيب إلى السماء رافعاً صاحبه إلى أعلى الدرجات لقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾[٤].

والشجرة الطيبة لا يمتنع عطاؤها في أي وقت فهي دائمة الفائدة على مدى الأوقات واختلاف الفصول[٥]، وكذلك المؤمن دائم العمل الطيب دائب الكسب منه لا يتوانى عن فعل الخير ليل نهار[٦]. تلك هي الصفات المشتركة بين الكلمة والشجرة الطيبة.

إن ألفاظ آيات المثل القرآني تمثل جزءاً من الألفاظ المستخدمة في المعاجم اللغوية، ولذلك كان لزاماً معرفة القيمة اللفظية لألفاظ المثل التي تم اختيارها، ودلالتها لتكشف للمتلقي عن سر استخدامها وأهميتها وسبب اختيارها، وقد جاءت كلمة طيبة في آية المثل القرآني وهي عبارة وصفية، ومن المتلازمات اللفظية المفتوحة، لترسم صورة الخيال الواسع الذي تحمله لفظة (كلمة)، ولكن بلاغة الخطاب وجمال التعبير الإلهي قيد لها صفة بعينها واختار لها متلازمة (طيبة) ؛لأن الطيب لا يشمل كلمة بعينها؛ فالمدى أوسع من أن تضيق وتُحصر ليشمل كل الكلمات التي فيها صلاح الناس ورضا الله تعالى ومما لا شك فيه أن الكلمة الطيبة تريد من صاحبها أن يكون طيباً، فالمرء الصالح هو الذي يكون كلامه طيباً.

١- الرازي، **مفاتيح الغيب(التفسير الكبير)**،ج١٩،ص١١٦،(بتصرف).
٢- القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن** ،ج٤،ص٣٥٨٨(بتصرف).
٣- الرازي، **مفاتيح الغيب(التفسير الكبير)**،ج١٩،ص١١٧،(بتصرف).
٤- سورة (فاطر:١٠).
٥- الرازي، **مفاتيح الغيب(التفسير الكبير)**،ج١٩،ص١١٧،(بتصرف).
٦- القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**،ج٤،ص٣٥٨٩(بتصرف).

ويلمس المتلقي في الأصوات المجهورة أن آية المثل القرآني بعد تناغمه مع جو السورة والمواضيع التي عالجتها من خلال القصة والخيال، أخذ بعداً فنياً آخر وبدأت الآية الكريمة تعرض المقابلة بمساحة أوسع وأشمل، وبعمق حقيقي يجسد الواقع ويجنبه الخيال.

الأصوات المجهورة التي وردت في آية المثل القرآني		
الصوت	**المفردة القرآنية**	**عدد ورودها**
الباء	ضَرَبَ،طَيِّبَةً،طَيِّبَةٍ ،ثَابِتٌ،بِإِذْنِ،رَبِّهَا،وَيَضْرِبُ،خَبِيثَةٍ،خَبِيثَةٍ،	١٠ مرات
الجيم	كَشَجَرَةٍ، كَشَجَرَةٍ، ٱجْتُثَّتْ،	٣ مرات
الذال	بِإِذْنِ، يَتَذَكَّرُونَ،	مرتين
الراء	تَرَ، ضَرَبَ، كَشَجَرَةٍ، وَفَرْعُهَا،رَبِّهَا، وَيَضْرِبُ، قَرَارٍ، ٱلْأَرْضِ، يَتَذَكَّرُونَ ، كَشَجَرَةٍ	١١ مرة
الضاد	ضَرَبَ، وَيَضْرِبُ، ٱلْأَرْضِ	٣ مرات
العين	وَفَرْعُهَا، لَعَلَّهُمْ	مرتين
اللام	مَا لَهَا، ٱلْأَرْضِ ،كَلِمَةٍ،لَعَلَّهُمْ ،وَمَثَلُ،لِلنَّاسِ،ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ، أُكُلَهَا كُلَّ، أَصْلُهَا ،كَلِمَةً،مَثَلًا،ٱللَّهُ ،أَلَرٓ	٢٢ مرة
الميم	أَلَرٓ،مَثَلًا،كَلِمَةً،ٱلسَّمَآءِ،ٱلْأَمْثَالَ، لَعَلَّهُمْ ،وَمَثَلُ،مِن،كَلِمَةٍ مَا لَهَا مِن	١١مرة
النون	مَثَلًا،كَلِمَةً،طَيِّبَةً، كَشَجَرَةٍ، طَيِّبَةٍ ،ثَابِتٌ،حِينٍ ،بِإِذْنِ، مِن لِلنَّاسِ، يَتَذَكَّرُونَ ،كَلِمَةٍ، خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ ،خَبِيثَةٍ ، مِن	١٧ مرة
المجموع		٨١ مرة

ومن بلاغة المقابلة تقديم الموصوف على الصفة (كَلِمَةٍ، طَيِّبَةً)،(كَلِمَةٍ، خَبِيثَةٍ) وكلاهما يعرض لحالتين متضادتين تنتاب النفس الإنسانية، والتقابل في مضمونه يكون أثراً من آثار قدرة الله عز وجل كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾.

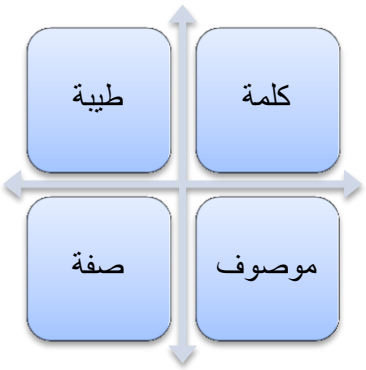

كلمة + طيبة

موصوف + صفة

في تلك الآية الكريمة ومجريات القصة ومصير الأمة الطيبة، يضرب الله تعالى مثل الكلمة الطيبة لتصوير سنته الجارية في الطّيب. وقيل المقصود بالكلمة الطيبة كلمة الحق أو الإيمان، وقيل إنها كلمة لا إله إلا الله[1]،" **فكل عمل صالح مرضي لله، فهو ثمرةُ هذه الكلمة**[2]"، **"والخير الأصيل لا يموت ولا يذوي مهما زحمه الشر وأخذ عليه الطريق**[3]". ولو تأملنا آية المثل من جانب الألفاظ والتراكيب نلمس ببلاغة التعبير وجمال التنغيم وهي تقابل الكلمة الطيبة في قوله تعالى: ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾، لقد جاء سياق آية المثل القرآني هنا بلفظة (كلمة) وهي معلومة عند علماء النحو أنها ترشد إلى معنى مفرد كقولنا - خالد- على سبيل المثال. وقد تعطي معنى كلام أي جمع كقولهم في لا إله إلا الله كلمة الإخلاص.

١- الصابوني،محمد علي(١٩٩٧م)**صفوة التفاسير،ط١**،ج٢،ص٨٧،دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة.
٢- ابن القيم،محمد بن أبي بكر، **تفسير القرآن الكريم (التفسير القيم)**،تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية،ط١،ص٣٢٧،دار ومكتبة الهلال،بيروت.
٣- قطب، **في ظلال القرآن**،ج٤،ص٢٠٩٩.

ويلاحظ المتأمل لآية المثل القرآني في المقابلة مدى البلاغة في مجيء لفظة(كلمة) في سياق المثل إذ نلمس مراعاة نص المثل لإفهام المخاطبين على مختلف مستوياتهم، وأجناسهم وألوانهم، فبهذه الصيغة يمكن أن تعطي لفظة (كلمة) للخاصة مفهومهم وهو الكلام وبهذه الصيغة نفسها يمكن أن تعطي للعامة - وما أكثرهم- مفهومهم وهو المفرد. وبذلك يسهل عليهم ما به، وليعلموا أن قليلاً طيباً خير من كثير خبيث، كلمة واحدة لا غير وقد ترفع ناطقها إلى أعلى درجات الجنة، وكلمة واحدة أيضاً قد تهوي بصاحبها في مهاوي الشرك والضلال، وفائدة الكلمة الطيبة كفائدة الحسنة التي تتضاعف للمؤمن إلى عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف كما في قوله تعالى:﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً ﴾[1]، هذه هي طريقة القرآن الكريم دائما في الترغيب يطالب بالقليل ثم يبين فضله ومثوبته المضاعفة، ليكون ذلك دافعاً لما هو أكثر وأكثر وإن من فضله سبحانه وتعالى على المؤمنين ألا تحسب سيئة المؤمن إلا سيئة واحدة فقط لقوله تعالى: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾[2]، وحتى من همّ بالسيئة ولم يعملها لم تُكتب له سيئة، فقد ورد بالحديث عن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال:**" من همّ بحسنة فلم يعملها كُتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشراً ومن هم بسيئة فلم يعملها لم يكتب له شيء، فغن عملها كُتبت علي سيئة واحدة**[3]".

إن وصف هذه الكلمة بصفة(طيبة) بالذات دون سواها، يذكر القارئ بصفة العطر الفواح وصفة الطيب، وانتشاره ونفاذه فيما حوله، وما يضفيه العطر أو الطيب على المتطيب من إحساس زائد بالنقاء والطهارة.

ويلمس المتأمل للفظة(الكلمة) أنها لم توصف بأنها حسنة - مثلا- وإن كانت هذه الصفة صحيحة جميلة إلا أنها لا توحي بمعنى الطيب أو العطر وما يتبعه من انتشار الرائحة ونفاذها فضلاً عمّا يُضفيه من إحساس بالسعادة والنقاء، وكأن السياق هنا يريد أن يصف هذه الكلمة بأحسن الصفات وأنقاها وأطهرها فوصفها بصفة(طيبة). وناسب هنا أن يأتي بصيغة المفرد في المقابلة بقوله تعالى:

١- سورة (البقرة:٢٤٥).
٢- سورة (الأنعام:١٦٠).
٣- ابن كثير،**تفسير القرآن العظيم**،ج٢،ص،١٩٧ ، البخاري، **صحيح البخاري**،كتاب الرقائق، ص٣.

﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾،وما قيل في صفة (طيبة) للكلمة يمكن أن يقاس عليه صفة (طيبة) بالنسبة إلى الشجرة .

الأصوات الانفجارية التي وردت في آية المثل القرآني		
الصوت	**المفردة القرآنية**	**عدد ورودها**
الهمزة	أَلَمْ،أَصْلُهَا،تُؤْتِيَ، أُكُلَهَا،بِإِذْنِ،ٱلْأَمْثَالَ، ٱلْأَرْضِ، ٱلسَّمَآءِ	٨ مرات
الباء	ضَرَبَ،طَيِّبَةً،طَيِّبَةٍ ،ثَابِتٌ،بِإِذْنِ،رَبِّهَا،وَيَضْرِبُ،خَبِيثَةٍ،خَبِيثَةٍ،	١٠ مرات
التاء	تَرَ،كَلِمَةً، طَيِّبَةً، كَشَجَرَةٍ، طَيِّبَةٍ ، ثَابِتٌ، تُؤْتِيَ، كَلِمَةٍ، يَتَذَكَّرُونَ،خَبِيثَةٍ، كَشَجَرَةٍ، خَبِيثَةٍ، ٱجْتُثَّتْ	١٤ مرة
الجيم	كَشَجَرَةٍ، كَشَجَرَةٍ، ٱجْتُثَّتْ،	٣ مرات
الضاد	ضَرَبَ، وَيَضْرِبُ، ٱلْأَرْضِ	٣ مرات
الطاء	طَيِّبَةً، طَيِّبَةٍ	مرتين
القاف	فَوْقِ، قَرَارٍ	مرتين
الكاف	كَيْفَ، كَلِمَةً ، كَشَجَرَةٍ، أُكُلَهَا، كُلَّ، يَتَذَكَّرُونَ،كَلِمَةٍ، كَشَجَرَةٍ،	٩ مرات
المجموع		٥٠ مرة

وتظهر صورة المقابلة الملونة بدلالات نفسية متعددة في آية المثل القرآني مستمدة من واقعهم البيئي، فيرى المتأمل أن المثل قد استخدم صورة موحية وخيالاً واسعاً يؤثر بالنفس البشرية بشكل ملموس، فمجيء ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ عُبر بكلمة(أصل) والمقصود به جذور الشجرة الثابتة في الأرض[1].

لقد رسمت آية المثل صورة واسعة الخيال، ساقت المتلقي إلى أسرار ذلك النظم، فاستخدام لفظة (أصلها) وعدم استخدام لفظة غيرها- مثلاً لفظ عرقها ثابت أو جذرها ثابت-، وذلك لأن الأصل

١- القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**،ج٤،ص٣٥٨٨(بتصرف) .

يمكن أن ينطبق على الكلمة وعلى الشجرة على حد سواء هذا فضلاً عمّا يمكن أن يُفهم من عُمق الأصل وضربه في تخوم الأرض وذلك من متعلّقات الثبات.

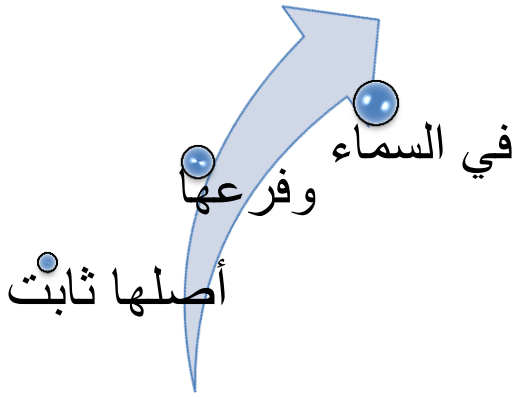

وكان في تقديم لفظة (أصلها) على (ثابت) دليل أكيد على أن الثّبات هو للأصل بالذّات دون غيره[1] وقوله: ﴿وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ فهو من غير شك كناية عن العلو والارتفاع الشاهق بالنسبة إلى الشجرة أما بالنسبة إلى الكلمة الطيبة فهي حقيقة واقعة لأن الكلم الطيب يصعد إلى الله عز وجل والعمل الصالح يرفعه إليه - سبحانه وتعالى- .

والمتأمل في آية المثل القرآني وينظر إلى المقابلة من زوايته الإيقاعية الصوتية وصلته بالمضمون المراد من ضرب المثل وانسجامه معه، يرى جملة﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ جملة بليغة ذات إيقاع ونغم جميل، فصورة الشجرة الطيبة لا تنتظر من يأخذ منها بل هي التي تؤتي أكلها، وكأن المتلقي هنا أمام قوله تعالى وهو يصف شجر الجنة وثمرها العالي والقطوف الدانية:﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ . ويلمس المتلقي لآية المثل القرآني مجيء لفظة (أُكُلَهَا) على التحديد فالذي تؤتيه هذه الشجرة كله يؤكل وليس مجرد ثمر رائق جميل المنظر أو ربما عبر عنه بلفظ (الأُكل) لأن الغالب على فوائد الثمر وهو الأكل .

[1]- الآلوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** ،ج١٣،ص٢١٣.(بتصرف) .

وكما هو معلوم أنّ الأصل الجيّد لا يأتي إلاّ بمثله فالبلد الطّيب لا يخرج إلا نباتاً طيباً والذي خبث لا يخرج إلا نكدا ﴿وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗا﴾[1] ثم نرى السياق يبيّن ويؤكّد منفعة تلك الشجرة ليأخذنا هذا التأكيد إلى البرهنة على منفعة الكلمة الطيّبة أيضا فيقول عز وجل:﴿كُلَّ حِينِۭ﴾ **" فهذه الفائدة الحاصلة وذلك الثمر الطيب إنما هو دائم غُدوةً وعشيّةً أو ليلاً ونهاراً صيفاً وشتاءً لا ينقطع أبداً**[2]". وكذلك عمل المؤمن دائم دائب لا ينقطع ما دام حياً. ويذكر السياق بعد ذلك أن العطاء من الشجرة لا يكون إلا بإذن منه -سبحانه وتعالى- الذي إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون .

ومجيء المفردة القرآنية (**أُكُلَهَا**) بجرس حروفها وتواليها على مقاطع جعلتها سهلة اللفظ رغم كثرة حروفها، وكان استخدامها على التحديد دليلاً على أن الذي تؤتيه هذه الشجرة كله يؤكل وليس مجرد ثمر رائق جميل المنظر أو ربما عبّر عنه بلفظ (الأُكل)؛ لأن الغالب على فوائد الثمر وهو الأكل .

وجاءت جملة ﴿وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾ بإيقاعها الموسيقي تعقيباً على ما قبلها ليزيد المعنى السابق له تقوية وتوكيداً، فهي أمثال واقعية يدركها الناس، ولكنهم ينسونها في زحمة الحياة. واستطاعت الآية أن ترسم لوحة معبرة لذهن المتلقي **" وفي ظل الشجرة الثابتة، التي يشارك التعبير في تصوير معنى الثبات وجوه، فيرسمها: أصلها ثابت مستقر في الأرض، وفرعها سامق ذاهب في الفضاء على مد البصر، قائم أمام العين يوحي بالقوة والثبات**[3]".

وجاءت الفاصلة القرآنية في آية المثل القرآني على صلة وانسجام مع المعنى المراد، وهي إشارة مضيئة إلى مركز الثقل في آية المثل القرآني، فضلاً عن قيمتها الإيقاعية والصوتية في سياق الآية الكريمة.

١- سورة (الأعراف:٥٨).
٢- القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**،ج٤،ص٣٥٨٩.
٣- قطب، **في ظلال القرآن**،ج٤،ص٢٠٤٩.

ويلمس المتأمل لآية المثل أن الفاصلة قد أخذت مستويين: مستوى صوتياً إيقاعياً يدخل في نسيج التركيب فيقويه ويزيده تماسكاً ليترسب في مستواه الثاني في قاع المعنى دلالة عريقة وفاعلة مؤثرة، كما في قوله تعالى: ﴿ يتذكرون﴾ فيها دقّة وبلاغة مناسبة لما جاء قبلها فالغرض من ضرب المثل هنا تذكير للسّامع بفضل الكلمة الطيبة وكأن الإنسان قد ينسى أحياناً هذا الفضل فلا يعمل في ضوئه، لذا كان من الدقة هنا أن تُختتم الفاصِلة بجملة ﴿يتذكرون﴾ أي : يتذكرون هذا المثل العظيم فيعملون الطيبات ليفوزوا بعظيم الدرجات ولعلنا هنا نشعر بهذه الدقة أكثر لو حاولنا النظر.

ولو تأملنا آية أخرى اختتمت الفاصلة فيها بجملة (يتفكرون) كما في قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾[1] فالموقف هنا يحتاج إلى تفكر وتدبر في خلق الله وخشية هذا الخلق منه سبحانه وتعالى – أمّا هناك وخلال الحديث عن الكلمة الطيبة والشجرة الطيبة ... وضرب المثل فيها فانه يحتاج إلى تذكر لأنه أمر قد يطرأ عليه نسيان في لحظة من اللحظات هذا ونلاحظ أن قوله (كلمة طيبة) منصوب على البدليّة من قوله (مثلا) وهو بدل اشتمال. **" يثبت الله الذين آمنوا في الحياة الدنيا وفي الآخرة بكلمة الإيمان المستقرة في الضمائر، الثابتة في الفطر، المثمرة بالعمل الصالح المتجدد الباقي في الحياة. ويثبتهم بكلمات القرآن وكلمات الرسول؛ وبوعده للحق بالنصر في الدنيا، والفوز في الآخرة.. وكلها كلمات ثابتة صادقة حقة، لا تتخلف ولا تتفرق بها السبل، ولا يمس أصحابها قلق ولا حيرة ولا اضطراب**[2]"

١- سورة (الحشر:٢١).
٢- قطب، **في ظلال القرآن**،ج٤، ص٢٠٤٩.

الأصوات الاحتكاكية التي وردت في آية المثل القرآني		
الصوت	**المفردة القرآنية**	**عدد ورودها**
الثاء	مَثَلًا، ثَابِتٌ،ٱلْأَمْثَالَ، وَمَثَلُ،خَبِيثَةٍ، خَبِيثَةٍ، ٱجْتُثَّتْ،	٨ مرات
الحاء	حِينٍ،	مرة واحدة
الخاء	خَبِيثَةٍ، خَبِيثَةٍ	مرتين
الذال	بِإِذْنِ، يَتَذَكَّرُونَ،	مرتين
السين	ٱلسَّمَآءِ، لِلنَّاسِ،	مرتين
الشين	كَشَجَرَةٍ، كَشَجَرَةٍ	مرتين
الصاد	أَصْلُهَا،	مرة واحدة
العين	وَفَرْعُهَا، لَعَلَّهُمْ	مرتين
الفاء	كَيْفَ، وَفَرْعُهَا، فِي ، فَوْقِ	٤ مرات
الهاء	ٱللَّهُ، أَصْلُهَا ، وَفَرْعُهَا ، أُكُلَهَا ،رَبِّهَا، ٱللَّهُ، لَعَلَّهُمْ، مَا لَهَا	٨ مرات
المجموع		٣٢ مرة

ويلمس المتلقي في آية المثل القرآني السابق التصوير بالحقيقة وهو يشكل في المقابلة عنصراً أساسياً ومرتكزاً من مرتكزات الصورة الفنية، إذ" **ليس المهم في ذلك السبيل الذي تسلكه الصورة، ولكن المهم قدرتها على التعبير الموحي ونجاحها في ترك الأثر والانطباع من غير مباشرة** [1]". فالواقعية في التعبير وتركيب الكلام يتحول من معنىً مألوف إلى معنىً غريب مفاجئ يحقق للمتلقي الدهشة التي ترتكز عليها الصورة الفنية من ضمن مرتكزاتها الأساسية في آية المثل.

وعملية التصوير و المقابلة في آيات المثال القرآنية والمعتمدة على الحقيقة والواقع ليست رصداً شكلياً للمنظور منه، بل هو إضافة للنشاط الخيالي الخلاق يتعدى ذلك إلى إحداث التفاعل بين الإنسان وعناصر الطبيعة وفيما بينها، وتكشف للمتلقي جوانب خفية وقد تكون فاعلة في تكوين الحدث على

١- سورة(الحشر:٢١).

الرغم من أن التشكيل الفني التصوير" **قد يخلو بالمعنى الحديث من المجاز أصلاً فتكون عباراته حقيقة الاستعمال ومع ذلك فهي(العبارات) تشكل صورة دالة على خيال خصب**[1]".

وفي مشهد غريب قد دخلت فيه الطبيعة بحركاتها وأشكالها المختلفة وقد رسمت لذهن المتلقي صورة حية لوصف الكلمة الخبيثة - كلمة الباطل وأهله- كالشجرة الخبيثة . ويلمس المتأمل أنها جاءت لتثير انتباه السامع لتركيبها الصوتي، نجد أن النسيج التركيبي قد انبنى على تعاقب الحركات، مما أضفى على المثل وعلى حس المتلقي ظلالاً من الريب فكلمة بعد أن اختفى النسق في الصورة الأولى من الآية ظهر مرة أخرى عند بداية الشق الثاني من المثل المضروب بصورة أقوى:

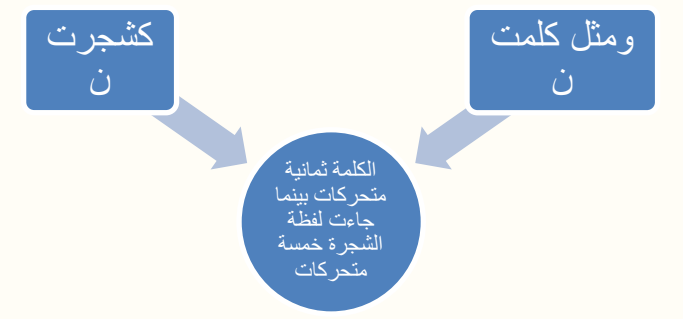

- **وَمَثَّل كَلمَت(ن)(ثمانية متحركات) .**
- **كَشَجَرَتٍ(ن) (خمسة متحركات).**

والتناغم بأشكاله المختلفة مطلب بلاغي جميل على المستوى الشكلي البنيوي، ويكون على مستوى لغوية بعينه أو بين أكثر من مستوى؛ وقد ساهمت في إبراز المعاني القوية والعميقة، وتكشف عن أبعاد نفسية؛ وذلك لعلاقة الجهر والهمس بأول لحظات التشكيل الصوتي، وتركزت الأصوات المفخمة في المواقف التي تدل على القوة والتمكين والإحاطة والتعظيم مما كان له أثر على تعميق فهم المعنى والتوسع في الخيال والتصوير.

ولو تأملنا حضور كلمة **(ٱجۡتُثَّتۡ)** والتي تعدّ من أعجب كلمات آية المثل القرآني من ناحية الإشارة المزدوجة للمعنى المراد، وترشد المتأمل إليه عن طريق الوضع، وتحاكيه عن طريق الوقع، وكأن جرس أصواتها وتعاقبها في الآية مماثل لتعاقب تلك الأصوات الصادرة عن الشجرة في لحظة

١- البطل،علي(١٩٨١م) **الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري(دراسة في أصولها وتطورها)** ط٢، ص٢٥، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت.

اجتثاثها، ويستطيع المتلقي أن يرصد لصوت اللفظة ودخولها في آية المثل القرآني ثلاثة متواليات صوتية:

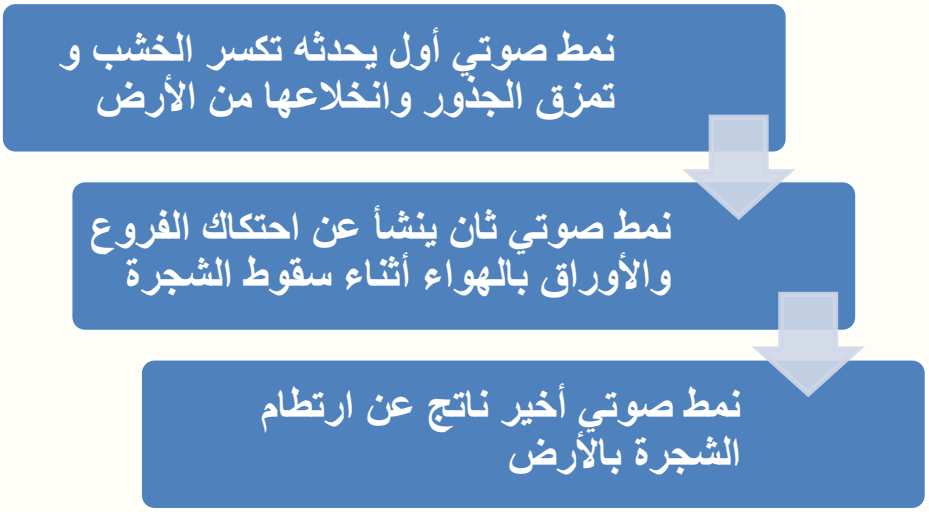

ويلمس المتلقي تميز آية المثل القرآني السابق بأن مقاطعه لا تتكرر بطريقة رتيبة ينشأ عنها الوزن الذي يحكم نظم الشعر، حيث تشكل كل مجموعة من المقاطع تفعيلة تكون بدورها لبنة في البحر الشعر المتكرر. لكن الذي يحدث في آية النص القرآني ترداد المقاطع بنسب مريحة في النطق من ناحية؛ وتناسب وسرعة الإيقاع من ناحية أخرى.

وقد جاءت لفظة (**ٱجۡتُثَّتۡ**) في آية المثل القرآني بجرسها الإيقاعي، مكونة من ثلاثة مقاطع لتحكي الأنماط الصوتية الثلاثة:

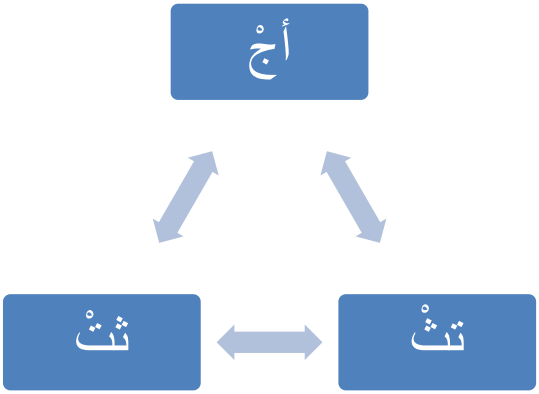

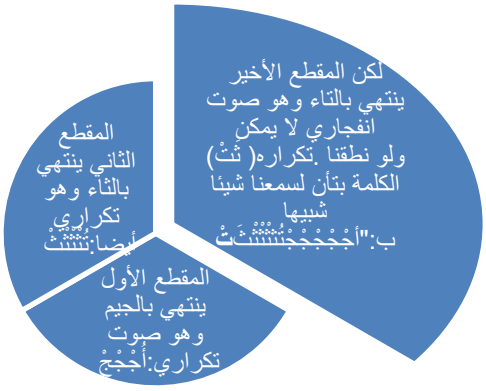

لو قمنا بمطابقة المقاطع الثلاث للفظة(ٱجۡتُثَّتۡ) والحالات الصوتية للشجرة المجتثة لوجدنا تماثلا معجزا:

- أججج: تصوير لصوت الخشب المتكسر وهو صوت متكرر.
- تثثثث: تصوير لحفيف الشجرة وهي مائلة في سقوطها، ويمكن تكرار حرف الثاء موازاة لتكرار صوت الهواء المحتك بالشجرة.
- ثت: صوت ختامي يوحي بارتطام الشجرة بالأرض الصلبة...وقد نقلته التاء الساكنة بدقة.

الأصوات المهموسة التي وردت في آية المثل القرآني		
الصوت	**المفردة القرآنية**	**عدد ورودها**
التاء	تَرَ، كَلِمَةً، طَيِّبَةً، كَشَجَرَةٍ، طَيِّبَةٍ، ثَابِتٌ، تُؤْتِي، ٱجْتُثَّتْ، خَبِيثَةٍ يَتَذَكَّرُونَ، كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ، كَشَجَرَةٍ	١٤ مرة
الثاء	مَثَلًا، ثَابِتٌ، ٱلْأَمْثَالَ، وَمَثَلُ، خَبِيثَةٍ، خَبِيثَةٍ، ٱجْتُثَّتْ	٨ مرات
الحاء	حِينٍ	مرة واحدة
الخاء	خَبِيثَةٍ، خَبِيثَةٍ	مرتين
السين	ٱلسَّمَآءِ، لِلنَّاسِ	مرتين
الشين	كَشَجَرَةٍ، كَشَجَرَةٍ	مرتين
الصاد	أَصْلُهَا	مرة واحدة
المجموع		٣٠ مرة

ومن الأساليب البلاغية التي استخدمها النص القرآني في آيات المثال القرآنية، الجمع بين النموذجين – بصورة التقابل أو التكامل- ويلمس المتلقي هنا وجود ثنائية جمالية تتحقق تارة بالدمج والامتزاج، وقد يكون المثلان متجاورين في سياق الآية الكريمة الضيق نوعاً ما، حيث يأتي المثل الثاني بعد انتهاء الأول، أو منفصلين ولكن يجمع بينهما السياق الموسع بخياله ومعانيه. وجاءت هنا الكلمة الخبيثة- كلمة الباطل - كصورة الشجرة الخبيثة، وهذا واقع في الحياة البشرية والكلمة الخبيثة لها مظهر حسي يتجلى في الملفوظ من أصواتها، لكن المعتبر هنا هو المعنى المعقول وليس مبنى الكلمة، والقصد إلى بيان ما تدل عليها من معاني الحق وليس فصاحتها.

وجاءت المقابلة هنا بجمال التعبير البديعي من جهة تعدد درجاته، مقابلة من الدرجة الأولى لمطلق الكلمة بمطلق الشجرة تماثل في الدرجة الثانية بين الطرفين من حيث قابلية الانقسام إلى نوعين متضادين(طيب وخبيث) تماثل في الدرجة الثالثة من حيث مطابقة النوعين في الصفات، والقرآن احتفظ بالتقابل الحقيقي بين الشجرة الطيبة والشجرة الخبيثة. فذكر السماء في وصف الطيبة (فرعها في السماء) وذكر الأرض في وصف الثانية(اجتثت من فوق الأرض) إشارة إلى سماوية الأولى وأرضية الثانية، ولو قال :أصلها ثابت [في الأرض] لضاع هذا المعنى الشريف ولتحقق فقط تطابق شكلي.

وتتلخص المقابلات في آية المثل القرآني والتي استعملها القرآن في ضرب المثل على أكثر من وجه:

الشجرة الطيبة نافعة تؤتي ثمارها كل حين	الشجرو الخبيثة ضارة فمن أهون شرورها أنها تعترض طريق الناس
مستقر الشجرة الطيبة الجنة(تفتحت لها أبواب السماء)	ومآل الشجرة الخبيثة النار(ماذا سيفعل الناس بشجرة مجثوثة إن لم يكن الحرق بالنار)
الشجرة الطيبة سماوية	الشجرة الخبيثة أرضية
الشجرة الطيبة عمودية(حية)	الشجرة الخبيثة أفقية (ميتة)

وبعد هذه الوقفات عند مواضعٍ من مواضع المقابلة في آيات الأمثال الصريحة يلحظ أنها جاءت في مواضع هامة تخص أمور العقيدة، والجمع فيها بين الأضداد جمع صفات مدح وثناء للتحسين والترغيب مع صفات ذم للتقبيح والتنفير والترهيب، والغالب على هذه المواضع نفي المساواة بين تلك الأضداد.

وقد زاد من وضوح المقابلات في آيات الأمثال الصريحة أنها جاءت متعاضدةً مع صور بيانية جسَّمت وصوَّرت المعاني الحسية، وقربت المعاني البعيدة، ومما زاد من هذا البيان أن هذا التصوير أُستمِد من واقع الحياة الاجتماعية المعاشة والمشاهدة.

الفصل الرابع: الكناية في الأمثال القرآنية:

سيقف هذا الفصل بدايةً عند المقصود بالكناية لغةً واصطلاحاً، وسرّ بلاغة الكناية، وأهم النكت البلاغية التي تؤديها، ثم تتبع وإحصاء لمواضع الكناية في آيات الأمثال الصريحة، مع بيان أهم ما امتازت به بعض هذه المواضع من سمات، ثم يُتبع ذلك بتحليل لصورٍ منها.

الكناية لغة :

هي أن تتكلم بشيء وتريد غيره، وهي مصدر من كني يكنى، أو كني يكنو، أي : تكلم بما يستدل به عليه، ومعناها مشتق من الستر، تقول: كنوتُ بكذا كذا، وجاء لفظ (كنى) في المعجم العربي يدل على" **عدول عن لفظ إلى آخر دال عليه**". قال الفراهيدي:" **كنى فلان يكني عن اسم كذا، إذا تكلم بغيره مما يستدل به عليه، نحو: الجماع.. والغائط والرفث ونحوه** [١]" فهو يشترط دلالة المكنى به على المكنى عنه.

واشترط ابن فارس في كتابه مقاييس اللغة هذه الدلالة حيث قال:" **كنّيت عن كذا.. إذا تكلمت بغيره مما يستدل عليه**[٢]". إلا أن الجوهري قال: " **الكناية: أن يُتكلم بالشيء ويُراد غيره** [٣]". " والكناية عند نحاة الكوفيين الضمير، وعند الأصوليين والفقهاء مقابل للصريح، وعند علماء البيان، هي أن يعبر عن شيء لفظاً ومعنى بلفظ غير صريح في الدلالة عليه لغرض من الأغراض[٤]".

وفي ضوء ما سبق يمكننا القول إن الكناية - لغة - هي العدول، وهو في المفهوم اللغوي للكناية لا يعني ستره وإخفاءه وتضليله كما هو في التورية، ولا يعني إبرازه وإظهاره وكشفه فينقلب التعبير إلى تعبير مباشر يقرر معناه بطريقة مباشرة، وإنما يعني أن المكني عنه ليس بالواضح وضوح المذكور صراحة، ولا هو بالخفي المضلّل الذي لا تكاد تتبيّنه إلا بالتأمل وإمعان النظر. هو أشبه ما يكون بالمكسو بثوب رقيق شفاف يُوحي بالمعنى ولا يباشر به، يُلمّح إليه ولا يقرّره.

١- ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٢، ص١٧٤، مادة(كنى).
٢- ابن فارس، **مقاييس اللغة**،ج٥، ص١٣٩، (كنو).
٣- الجوهري، **الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية** ،ج٦ ،ص٢٤٧٧ (كني).
٤- البستاني،بطرس(٢٠٠٥م)**محيط المحيط**، ط٢، ص٧٩٥، كنى، مكتبة لبنان، بيروت.

مفهوم الكناية اصطلاحاً :

هناك أقوال كثيرة للمفسرين والبلاغيين يجدها الباحث في فن الكناية، ساهمت جميعها في تطوير الدلالة للكناية حتى استقرت بدلالتها الاصطلاحية عند البلاغيين المتأخرين.

وكان ابن عباس(ت ٦٨هـ)- رضي الله عنه- من أوائل المفسرين، فقد أشار إلى عدد من كنايات القرآن الكريم، وبين المكنى عنه في كل منها وعلله، كما في قوله تعالى:" **(أولمستم النساء) المس واللمس والمباشرة: الجماع، ولكن الله يعف ويكني ما شاء بما شاء**[١]" وفي قوله:" **(أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم...) الرفث الجماع، ولكن الله كريم يكني**[٢]". ويتضح للمتأمل استعمال ابن عباس - رضي الله عنه – للكناية في القرآن الكريم لكي يستر المعنى بألفاظ مهذبة توحي بالمعنى المراد عوضاً عن الألفاظ الموضوعة لذلك المعنى.

وأطلق سيبويه فن الكناية على علامة المضمر من الآدميين وذكر أن العرب كانت تستعمل الكنية فقال:" **هذا فلان بن فلان، لأنه كناية عن الأسماء التي هي علامات غالبة، فأجريت مجراها فإذا كنيت عن غير الآدميين قلت: الفلان والفلانه، جعلوه كناية عن الناقة التي تسمى بكذا** [٣]". ونقل الفرّاء ما قاله ابن عباس في كنايات القرآن الكريم كقوله تعالى: "(سمعهم وأبصارهم وجلودهم) الجلد- هاهنا- والله أعلم هو ما كنى عنه، كما قال تعالى:(ولكن لا تواعدوهن سراً) يريد: النكاح، وكما قال: (أو جاء أحدٌ منكم من الغائط) والغائط الصحراء[٤]". وفي تفسيره لقوله تعالى: (إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان) قال الفراء:" **فكنّى عن هي، وهي للأيمان ولم تُذكر. وبذلك أن الغلّ لا يكون إلا باليمين، والعنق، جامعاً لليمين، والعنق: فيكفي ذكر أحدهما من صاحبه**[٥]" يرى الفراء أنّ الأيمان مضمرة في الآية وحلّت (هي) محلها فنابت أو كنّت عنها.

والكناية شكل من أشكال التعبير بالتلميح يجوز أن يجمع بين الحقيقة والمجاز، فالكناية" **كل لفظ دل على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز**[٦]". ويكون المقصود المعنى المجازي ولا يمتنع

١- الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** ،ج٥ ، ص٩٥.
٢- نفس المصدر،ج٢ ،ص٩٤.
٣- سيبويه، **الكتاب**،ج٣ ، ص٥٠٧.
٤- الفراء، **معاني القرآن**،ج٣، ص١٦.
٥- نفس المصدر،ج٢، ص٣٧٢.
٦- الفراء، **معاني القرآن**، ج٢ ، ص٩٤.

أن يفهم المعنى الحقيقي، فالكناية إذاً تتعلق بالمعاني وليست بالألفاظ **" فلا يكنى باللفظ عن اللفظ، وإنما يكنى بالمعنى عن المعنى**[١]**"** .

وهي أن يطلق اللفظ، ويُراد لازم معناه، مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الحقيقي. ومن أمثلتها (فلان كثير الرماد)، فهذه العبارة كناية عن الكرم، **والركن الأول**: هو اللفظ المكنى به وهو (كثير الرماد)، **والركن الثاني**: المعنى المكنى عنه وهو الكرم، **والركن الثالث**: هو القرينة التي فهمت من تضاعيف الكلام وسياقه. ولا ريب في أنه بالإمكان أن يكون المراد المعنى الحقيقي كذلك، وهو كثرة الرماد.[٢]

وقد أدرج أصحاب البيان تحت قسم الكناية باب التعريض وهو أن تُذكر جملة من القول يراد بها شيء آخر، ولكن هذا الشيء لا يفهم بطريق اللزوم كما في الكناية، وإنما يفهم من السياق. ومما يميز الكناية من التعريض أنَّ الكناية تقع في اللفظ المفرد، وقد تقع في المركب، أما التعريض فإنه لا موقع له في باب اللفظ المفرد[٣].

والكناية أبلغ من التصريح، والسر في ذلك كما يقول السيد حجاب: **" أنها تبرز المعاني المجردة في صور محسوسة؛ فيكون ذلك أدعى إلى قبولها وتأكيدها، كما أنها من ناحية أخرى توقظ الفكر، وتدفعه إلى البحث عما وراء الصورة الظاهرة للكلام حتى يصل إلى المراد**[٤]**"**.

ولا يعدل عن التصريح إلى الكناية إلا لنكتة : كالإيضاح، أو بيان حال الموصوف، أو مقدار حاله، أو القصد إلى المدح أو الذم أو الاختصار، أو الستر، أو الصيانة، أو التعمية أو الإلغاز، أو التعبير عن الصعب بالسهل، أو عن القبيح باللفظ الحسن[٥].

وبعد تتبع وإحصاء لمواضع الكناية في آيات الأمثال الصريحة يلحظ أنَّ الكناية والتعريض قد وردتا في السور المكية والمدنية، وقد تقاربت مواضع الكناية في النوعين حيث بلغت في السور المكية خمسة مواضع، وفي السور المدنية أربعة مواضع.

١- الجرجاني، عبد القاهر، **دلائل الإعجاز في علم المعاني** ، ص٣٤٠.
٢- عباس، **البلاغة فنونها وأفنانها**، ص ٢٤٣- ٢٤٤.
٣- طبانه، بدوي(١٩٨٨) **معجم البلاغة العربية، ط٣، ص٤١٨**، دار المنارة، جدة.
٤-حجاب،السيد(٢٠٠١م) **من بدائع النظم القرآني**،ط٣،ج١،ص٦٩، مطبعة الجندي، بنها الجديدة،مكة.
٥- السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج٢، ص ٧٩٢.

أثر الكناية في آيات الأمثال القرآنية:

تصدرت الكناية في آيات الأمثال القرآنية مرتبة متميزة، فقد استعمل القرآن الكريم هذا النمط من الأداء في آيات أمثاله، بوصفه تعبيراً قولياً، ذا ضرورة إفهامية، فضلاً عن منزلته الفنية وقيمته البلاغية في فن القول.

ويلاحظ من خلال تتبع البحث للدلالة الكنائية في آيات الأمثال القرآنية، الخصائص الفنية والمزايا الموضوعية التي تجلى فيها التنغيم الصوتي في تعدد وسائط الكناية وتنوع أقسامها، إذ **" إنّ غاية النصوص الفنية على تباين مواضيعها، هي عملية الفهم والإفهام، بين المنشئ والمتلقي**[1]**"**، ويلمس المتلقي أنّ هناك غايةً فنيةً مقصودةً في نص آيات الأمثال القرآنية هدفها وغايتها التأثير، التي توصل إلى النظر بعمق في إبداع نص آيات الأمثال وتفوقها وإعجازها الباهر.

والمتأمل إلى نص آيات الأمثال القرآنية، يجد أنّ هذا الفن استطاع تطويعَ الأمثال والمعنى المراد من ضربها، وبأسلوب صياغي معبر بصور مليئة بالعواطف المشحونة والمشاهد المخيلة، لاسيما أن التعريض والرمز، والإيماء، والتلويح، أبلغُ من التصريح وأمتع لذهن المتلقي في تذوق نص آيات الأمثال.

ومن خلال التطبيق العملي والإجرائي، على آيات المثل القرآني، يلمس المتأمل لنصوصها كثيراً من تلك المزايا والخصائص الفنية التي انطوت عليها الدلالة الكنائية، في آيات الأمثال القرآنية، والتي حملت بين طياتها السمة الوظيفية لإفهام المتلقي، وانتمت في الوقت نفسه إلى الدلالة الفنية لتكشف عن أعماق الصورة المتخيلة من نص آية المثل القرآني، ويظهر ذلك جلياً عندما تحدث الملاءمة في نص المثل القرآني بين المضامين الحقيقية، والأساليب الفنية المجازية.

---

[1]- عنوز، صباح(٢٠٠٦م) **دلالة البيان في تفسير النص القرآني بين الدال الوظيفية الافهامية**،العدد (٢) مجلة الدراسات الإسلامية.

النموذج الأول:

يرى المتلقي أن آيات الأمثال القرآنية، استثمرت فن الكناية وارتكزت على خصائصه الفنية، التي تذكر الحقيقة من ضرب آية المثل، وهي مصحوبة بالدليل والبرهان، فتعطي بذلك قوةً وعمقاً في التأثير والإدراك، كما هو الحال في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾[1].

مناسبة آية المثل القرآني:

وقد ارتبط نزول هذه السورة العظيمة، بحدث عظيم كان له الصدى الواسع والأثر الكبير في المجتمع العربي آنذاك، وهذا الحدث العظيم هو المعجزة الثانية من معجزات نبي آخر الزمان بعد معجزة القرآن، وهو إسراؤه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم عروجه إلى السماء فيما عُرف بعد ذلك(بالإسراء والمعراج)، ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[2].ويرى المتأمل أن الآيات استطاعت أن تكشف عن حكمة الإسراء﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

واستطاعت آيات سورة الإسراء أن تربط بين " **قواعد العمل والجزاء، والهدى والضلال، والكسب والحساب... إلى الناموس الكوني الذي يصرف الليل والنهار**[3]"، وفي نسيج إيقاعي وتنغيم صوتي نرى أن السورة قد احتوت الأسس والقواعد التي ينبغي على المسلم أن يسير عليها ووضحت السلوك والآداب الفردية والجماعية في توثيق العلاقات الاجتماعية ومن ثم تقويتها في ترسيخ عقيدة التوحيد، وجاء البيان الختامي يرشد المتلقي وبكل وضوح أن هذا القرآن الذي أنزله الله على منقذ البشرية ما هو إلا " **منهج كامل للحياة الهنيّة، يتيح للإنسان أن يجمع بين خيري الدنيا والآخرة**[4]"﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا

---

[1]- سورة (الإسراء:٢٩).
[2]- سورة (الإسراء:١).
[3]- قطب، **في ظلال القرآن**،ج٥ ،ص١٣ .
[4]- باجوده، حسن محمد(١٣٩٥هـ) **تأملات في سورة الإسراء**، ط١،ص١٠٠ دار الاعتصام،القاهرة.

كَبِيرًا ﴾[1]، فقد بينت الآيات في هذه السورة العظيمة الأوامر والنواهي الإلهية والرسائل الربانية التي أرسلها الله للبشرية عن طريق هذا القرآن، مما يهدي للتي هي أقوم، ويعمل على تفصيل تلك الرسائل الإلهية وما اشتملت عليه من قواعد وأسس للجماعة المسلمة فيما يتعلق بواقع الحياة والسلوك القويم.

ولما كان التوسط في كل أمر مطلوباً ومحموداً، جاءت الحكمة الإلهية تبين ذلك بقوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾[2]، إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾[3]، يتضح للمتلقي أن آية المثل القرآني التي بين أيدينا ما هي إلا إحدى آيات الحكمة التي تبدأ بالنهي عن الإشراك بالله ثم الإحسان إلى الوالدين قولاً وعملاً، وكذلك الإحسان لذوي القربى والمساكين وابن السبيل وعدم التبذير في ذلك ثم عدم التقتير في صرف المال أو الإسراف وبسط اليد بما فيها ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ وجاءت الآيات كذلك بالنهي عن قتل الأولاد خشية الفقر والحاجة والنهي عن بناء العلاقات المحرمة التي تقود إلى فاحشة الزنا ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾[4] وكذلك قتل النفس التي حرّم الله قتلها إلا بالحق ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ... ﴾[5]، وجاء النهي عن أكل مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾[6]، وأمر الله تعالى الجماعة المسلمة الوفاء بالعهد والكيل ﴿ وَأَوْفُوا۟

---

[1]- سورة (الإسراء:٩).
٢- سورة (الإسراء:٢٢).
٣- نفس المصدر:٣٩).
٤- سورة (الإسراء:٣٢).
٥- نفس المصدر:٣٣).
٦- نفس المصدر:٣٤).

ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ﴾[1] وعدم الحكم بما لا يكون معلوماً والنهي عن التكبر والعظمة أو الاختيال والمفاخرة، ثم العودة مرة أخرى إلى النهي عن الإشراك بالله - عز وجل - لما له من نهاية سيئة والعياذ بالله..

وهكذا يدرك المتلقي هذا الارتباط الوثيق بين آية المثل وبين ما سبقها وما لحق بها من آيات جليلات في السياق إذ تدعو جميعها إلى ما فيه صلاح الآخذ والعامل بمقتضى حكمها.

أثر الكناية في آية المثل القرآني:

عندما يتأمل المتلقي آية المثل القرآني، يلاحظ أن جو الحركة داخل آية المثل وصيغة ودلالة أصواته وإيقاعه الخارجي والداخلي، التي يستطيع المتلقي أن يكشف عن علاقات صوتية جمالية وثيقة الصلة بظاهرة الانسجام بين صوت آية المثل ومعنى ذلك المثل﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾،لا شك أن في آية المثل القرآني هنا عبرة أكيده، وموعظة جليلة أوردها لنا السياق عن طريق رسم لوحة جمالية لصورة الخلق الذميم (البخل والإسراف)، فقد صورت لنا آية المثل الإنسان المقترّ البخيل في صورة ذلك الشخص الذي شدّ الغل بيده إلى عنقه، فلا يستطيع لهما حِراكاً ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾، فأخذ يلوم نفسه ويلومه من حوله من الناس، وصورت آية المثل القرآني للمتلقي وبأصوات حروفها المجهورة والمهموسة، حال المسرف في صورة الباسط يده بسطاً لا يستطيع معه ضمّ أصابعه بعضها إلى بعض، والسبب في ذلك يعود إلى اعتياد هذا الإنسان على الإسراف والتبذير.

جاءت آية المثل القرآني بأصواتها المجهورة التي تواترت وبلغ عددها(٢٩) صوتاً، لترسم تلك الصورة الجميلة التي أراد أن يرسمها فن الكناية برمزيته وبتصوير دقيق فيه العبرة والحكمة للجماعة المسلمة في آية المثل القرآني.

١- نفس المصدر:٣٥).

الأصوات المجهورة التي وردت في آية المثل القرآني		
الصوت	**المفردة القرآنية**	**عدد ورودها**
الباء	تَبۡسُطَهَا، ٱلۡبَسۡطِ	مرتين
الجيم	تَجۡعَلۡ	مرة واحدة
الدال	يَدَكَ ، فَتَقۡعُدَ	مرتين
الراء	مَّحۡسُورًا	مرة واحدة
العين	تَجۡعَلۡ، عُنُقِكَ، فَتَقۡعُدَ	٣ مرات
الغين	مَغۡلُولَةً	مرة واحدة
اللام	وَلَا، تَجۡعَلۡ، مَغۡلُولَةً، إِلَىٰ، وَلَا، كُلَّ، ٱلۡبَسۡطِ، مَلُومًا	١٠ مرات
الميم	مَغۡلُولَةً، مَلُومًا، مَّحۡسُورًا	٥ مرات
النون	مَغۡلُولَةً، عُنُقِكَ، مَلُومًا، مَّحۡسُورًا	٤ مرات
المجموع		٢٩ مرة

واستطاعت أن تشكل صورة حية تثير ذلك الخيال العظيم وتكشف له عن موقف وحال البخيل الذي تمسك بتلك الدنيا الزائلة،﴿**فَتَقۡعُدَ مَلُومًا مَّحۡسُورًا**﴾ وكان للصوت المجهور في آية المثل القرآني، المساهمة والمشاركة الكبيرة في جوانب الإعجاز البياني في الأداء والسماع للمتلقي، فكما كان لحروف المد مساهمة في تنغيمها الصوتي، كذلك الأصوات بأنواعها لها نفس المشاركة.

وجاء صوت (الدال) في آية المثل القرآني بحضور ضعيف، فقد بلغ عدد تواتره (مرتين) فقط في لفظة (**يَدَكَ ، فَتَقۡعُدَ**) وهو صوت مجهور شديد، يقول عنه العلايلي:**" للتصلب والتغير**[1]**"** وكأنه جاء في لفظة (**يدك**) ليوحي بالصورة التي رسمتها آية المثل لمنظر اليد وقد غل للعنق وتصلب، وهو تغيير من هيئة اليد الطبيعية، فقد استطاع صوت الدار هنا بالمساهمة في تقريب المعنى المراد من رمزية الكناية في آية المثل القرآني، وجاءت اللفظة (**فتقعد**) بجرس صوت الدال فيها وقد أضفى

١- عباس، **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، ص٥٥.

عليها بالأحاسيس اللمسية التي أصابت ذلك البخيل وعطلت قواه عن الحركة، ونرى هنا أن إيقاع صوت الدال رسم تلك الموازنة الاقتصادية التي أرادها الله عز وجل من هذا المثل القرآني، فلفظة (**يدك**) (واليد عادة تستخدم في المنح والعطاء)، رسم صوت الدال لنا تلك اليد وهي مربوطة إلى عنق البخيل، وحين نقيد اليد إلى العنق لا تستطيع الإنفاق فتحقق معنى الصوت هنا وهو التغير وهي كناية عن البخل والإمساك.

أما صوت(اللام) الذي بلغ عدد تواتره في آية المثل القرآني(١٠) مرات، وهو صوت مجهور متوسط الشدة، يوحي للمتلقي بالتماسك والمرونة والالتصاق، ولو تأملنا مفردات آية المثل القرآني التي كان لصوت (اللام) حضور واضح فيها(**وَلَا، تَجۡعَلۡ، مَغۡلُولَةً، إِلَىٰ، وَلَا، كُلَّ، ٱلۡبَسۡطِ، مَلُومًا**) تجد أن حضوره بخصائصه الإيقاعية ومعانيه الصوتية، قد ساهم بشكل كبير في صورة تلك اليد المغلولة، وجاء معنى الإلصاق ملازماً لتلك الصفة الذميمة التي صورتها الكناية لنا في آية المثل، وهذه الصورة من الكنايات عن صفة الموحية لذهن المتلقي بنهي نص آية المثل عن البخل والتبذير، وقد استطاع صوت (**اللام**) هنا أن يوحي بالتوازن والاعتدال في الإنفاق بخاصية الليونة التي هي من معانيه، والتوازن والاعتدال هو القاعدة العظمى في القرآن الكريم(**وكذلك جعلناكم أمة وسطا...**) وجاء البيان الإلهي بذلك فكل غلو وتقتير في الإنفاق، سيساهم في هدم هذا التوازن ولذلك جاء النهي عن رذيلة البخل. وكذلك الإسراف وبسط اليد دون ضوابط شرعية تعد من الأخلاق الذميمة المنهي عنها وهي لا تعتبر من الفضائل التي يطلبها الدين من الإنسانية.

وكان لصوت النون في آية المثل القرآني نصيب، فقد بلغ عدد تواتره في الآية(٤) مرات، وهو صوت مجهور متوسط الشدة، استطاع بخصائصه الصوتية داخل نص آية المثل القرآني، أن يتطابق مع خصائص الحالة النفسية المعبر عنها لذلك البخيل أو المسرف، وهي رابطة إيحائية حددت المعنى العام المراد من الصورة الكنائية في آية المثل القرآني، ويقول الأرسوزي عن معاني هذا الصوت المجهور، أنه صوت " **للتعبير عن الصميمية** [١]" وكأن هذا الصوت في مفردة (**مَغۡلُولَةً ، عُنُقِكَ، مَلُومًا، مَّحۡسُورًا**) أعطى المتلقي إيحائيةً صوتيةً في جرس صوته(**مَغۡلُولَةً**) ينبعث من الصميم للتعبير عن وصف تلك اليد التي أصبحت مغلولة إلى عنق ذلك البخيل، وكان لهذا الصوت الرنان في

١- عباس، **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، ص٧٠.

لفظة(**مَّحْسُورًا**) الذي تتجاوب اهتزازاته الصوتية في التجويف الأنفي لقارئ الآية، هو أصلح الأصوات في رسم صورة مشاعر ذلك الألم والحسرة التي أصابت البخيل المقتر والمسرف المبذر.

لقد كان لتنغيم هذا الصوت في آية المثل القرآني، الذي كان بموحياته الصوتية ومعانيه التعبيرية الاستطاعة في التكيف مع التراكيب والمفردات لكي يوصل المعنى المراد إلى ذهن المتلقي فهو يوحي تارة بالحركة من الداخل إلى الخارج، وهو الانبثاق كما في لفظة(**ملوماً**) كما يوحي تارة أخرى بالحركة من الخارج إلى الداخل كما في لفظة(**مغلولة**) وهو النفاذ في الأشياء.

وكان للأصوات الانفجارية في آية المثل القرآني، أكبر نصيب فقد بلغ عدد تواتر أصواتها داخل المثل(١٦) مرة، وساهمت الأصوات الانفجارية بانسجامها الصوتي والتركيبي لإظهار صورة الإعجاز البياني في آية المثل القرآني" **فالعذوبة في ترتيب الحروف، ومناسبة المخارج والصفات الصوتية للحروف بعضها على بعض مناسبة طبيعية في الهمس، والجهر، والشدة، والرخاوة، والتفخيم، والترقيق، والتفشي والتكرير**[1]"، واستطاعت الأصوات الانفجارية، أن تشارك الصورة الكنائية في رسم المشهد بكل تفاصيله وأحاسيسه للمتلقي من خلال التناسب الصوتي بين أصواتها وعدم وجود تنافر في الأداء ولا حتى في السمع﴿**تَجْعَلْ،مَغْلُولَةً،تَبْسُطْهَا،فَتَقْعُدَ**﴾، وكان لصوت (**التاء**) في آية المثل، والذي ساهم بعدد تواتره في الآية (٤) مرات، على تقريب المعنى لذهن المتلقي.

[1]- الرافعي، **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، ص٢١٥.

الأصوات الانفجارية التي وردت في آية المثل القرآني		
الصوت	**المفردة القرآنية**	**عدد ورودها**
الهمزة	إِلَىٰ	**مرة واحدة**
الباء	تَبۡسُطۡهَا، ٱلۡبَسۡطِ	**مرتين**
التاء	تَجۡعَلۡ ،مَغۡلُولَةً ،تَبۡسُطۡهَا، فَتَقۡعُدَ	**٤ مرات**
الجيم	تَجۡعَلۡ	**مرة واحدة**
الدال	يَدَكَ ، فَتَقۡعُدَ	**مرتين**
الطاء	تَبۡسُطۡهَا، ٱلۡبَسۡطِ	**مرتين**
القاف	فَتَقۡعُدَ ،عُنُقِكَ	**مرتين**
الكاف	يَدَكَ ، كُلَّ	**مرتين**
المجموع		**١٦ مرة**

وصوت التاء من الحروف اللمسية[١]، وهو صوت انفجاري شديد، وصفه ابن سينا بأن صوته يسمع بقرع الكف بالإصبع قرعاً بقوة[٢]، وعلى الرغم من ذلك إلا أن جرس صوته يرمز لليونة والمرونة ونعومة الملمس، وكأن نعومة المال والانخداع بزينة الدنيا تجر صاحبها إليه وبكل مرونة وسهولة للبخل إذا لم يكن من الفئة المؤمنة التي استقر الإيمان في قلبها وبان ذلك على جوارحها، وجميع شؤون حياتها. فالبسط فيه مرونة، ولفظة تجعل فيها الصيرورة **" وهكذا صنف حرف (التاء) في زمرة الحروف اللمسية؛ لأن صوته يوحي بإحساس لمسي مزيج من الطراوة والليونة**[٣]**"**، لقد جاءت مفردات آية المثل القرآني التي كان لصوت **(التاء)** فيها حضور ترسم للمتلقي، سمة التعبير القرآني القوي والمؤثر في نهيه عن البخل والتبذير، وهذه سمة من سمات الكناية في آية المثل القرآني، فقد رسمت بجرس صوت **(التاء)** التعبيري صورة حسية لمشهدٍ محسوس أثار الشعور والإحساس النفسي، والصورة الحسية هنا أكثر تأثيراً من الصورة المجردة، فهي أقرب في رسم الصورة، وأدعى إلى التمثل بالخيال، فصورة البخيل أو الممسك عن الإنفاق وهو مقيد إلى عنقه، صورة متخيلة استطاعت الكناية هنا من تقريب المعنى، وسرعة فهمه ، وجاءت مؤكدة في إحداث

[١]- عباس، **خصائص الحروف العربية ومعانيها** ، ص٥٥.
[٢]- المرجع نفسه، ص٥٥.
[٣]- عباس، **خصائص الحروف العربية ومعانيها** ،ص٥٦.

ردة الفعل لذلك المشهد، يقول عبد القاهر الجرجاني:" **إن إثبات الصفة بإثبات دليلها، وإيجابها بما هو شاهد في وجودها،آكد وأبلغ في الدعوى من أن تجيء إليها فتثبتها ساذجاً غفلاً** [1]".

وكانت للألفاظ بلاغتها في مجيئها بآية المثل القرآني، وخصوصاً التي احتوت صوت(**التاء**) كما في لفظة(**تجعل**) فنلاحظ بدء الآية الكريمة بنهي صريح عن فعل ذميم وهو البخل، وكان لبداية هذه الآية بهذا النهي الواضح مع الفعل (**جعل**) الذي جاء معناه في لسان العرب بمعنى (**وَضَعَ**) [2]، لقد كانت بداية آية المثل القرآني بالفعل المضارع المقترن بلا الناهية، دّل ذلك على هذا الخلق الذميم وهو (**البخل**) متأصل في صاحبه ولم يكن إلا بمحض إرادته واختياره هو دون مشاركة أحد آخر له في تلك الإرادة، وزادت الصورة الكنائيه هنا آية المثل القرآني بروعة التعبير والجمال، فلم تأتِ بصريح العبارة عن البخل، كأن يقال مثلاً (**لا تبخل**) وإنما جاءت بهذه الكناية بصورتها المنفردة وهي أن يكون الإنسان قد شد يده إلى عنقه بحبلٍ وقيد وثيق لا يستطيع مع هذا الحبل حركة اليد التي منعت وبخلت، لقد صورت لنا الكناية للمتلقي تلك الصورة ، بشخص مجرم ومسيء قد شد قيده وأحكمت أغلاله فلا يستطيع معها حراكاً، جاءت دقة الألفاظ في صوت (**التاء**) واصفة المشهد التصويري البارع.

وكان لصوت الهمزة الذي لم يرد في آية المثل القرآني إلا مرة واحدة في حرف الجر (**إلى**) والذي كان له فضلٌ كبير ودقة واضحة في تصوير حركة البخيل الذي شدت يده إلى جهة عنقه، تلك الحركة التي نقلت ذهن المتلقي لوصف " **أنانية البخيل التي جعلته يظهر أن من حوله من البشرية من أهلٍ وأصحاب وأقارب سيقومون بخطف وسرقة ما بيده، فيزيد ذلك الشعور السيئ من حرصه وتمسكه بالمال**[3]" لقد ساهم صوت الهمزة في آية المثل، مساهمة واضحة في تقريب وتصوير المشهد الذي رسمته الكناية لذهن المتلقي.

أما صوت الدال كما في لفظة (**يدك**) فلاشك أنه أضفى هذا الصوت الانفجاري وحضوره في لفظة (**يدك**) جرساً إيقاعياً بليغاً في موضعه، وكان لإفراده هنا، وحي عن جواز " **التعبير بلفظ مفرد**

---

[1]- الجرجاني،عبد القاهر،دلائل الإعجاز **في علم المعاني** ،ص١١٠-١١١.
[2]- ابن منظور،**لسان العرب**، جعل الشيء يجعله ومجعلا واجتعله وضعه،مادة جعل.
[3]- باجوده، **تأملات في سورة الإسراء**،ص126 (بتصرف).

عن شيئيين متماثلين، إلا أن الإنفاق لا يكون بمد كلتا اليدين بالمال، وإنما بيد واحدة [1]"، ولكون اليد أداة العطاء فقد وظفتها آية المثل القرآني هنا للتعبير عن صفتي البخل والإسراف، في مشهد يرسم صورة قريبة لذهن وحس المتلقي.

ويرى المتأمل ذلك جلياً في" **صورة اليد وهي مغلولة إلى العنق** ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾**،كناية عن شدة البخل** [2] "و استطاعت الكناية هنا وبمشاركة صوت الدال وجرس صوته أن ترسم صورة البخيل بطريقة مغايرة للمعتاد، فلم تصوره مجرد بخيل شحيح النفس، يحبس المال ويكنزه ويمنعه من الإنفاق والعطاء، وإنما صورته بمشهد غريب ويائس لئيم ، وكأنه إنسان مربوط اليدين بحبل وثيق، لم تشد يديه إلى الأمام كما هو مألوف لدى السامع، وإنما يداه مغلولتان إلى عنقه بذلك الحبل القاسي الوثيق الذي حجب عنه الحركة. لقد كان تناسب الصورة المضروبة في آية المثل مع حال البخيل، دليلاً على الانسجام الإيقاعي الذي أضفاه صوت الدال في آية المثل القرآني، وهي تناسب موضوع البخل؛ لأنه من أشد الأضرار على المجتمع المسلم، وهي خصلة ذميمة وصفها القرآن الكريم في عدة مواضع[3]، وجاءت صورة اليد وهي مغلولة إلى العنق وقد منعت صاحبها الحركة صورة مناسبة لذلك الإمساك والمنع من العطاء والإنفاق؛ لأن البخل يتجذر في النفس ويتمكن منها، والبخل أقرب إلى الشر من (**التبذير**) الذي كنّي عنه بهذه الصورة،﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ وهي صورة أخف من الصورة التي قبلها فقوة التصوير هنا أقل مقابل التصوير إزاء كناية (**البخل**)؛ لأن صفة التبذير من طبيعة النفس البشرية، كما أن بسط اليد يوحي بالخلو التام لذلك القيد الذي رسمته لنا صورة المقتر، وهذه دلالة على الإنفاق والعطاء الكثير في أبواب الخير.

وجاءت الأصوات الاحتكاكية، وعددها (١٠) عشرة أصوات،أن ترسم صورة المشهد كاملاً للمتلقي، وجاء صوت (السين) وهو صوت مهموس رخو، (٣) مرات وهو أحد الأصوات الصفيرية، إذ يوحي بجرسه التنغيمي " **بإحساس لمسي بين النعومة والملاسة، وبإحساس بصري من الانزلاق والامتداد، وبإحساس سمعي هو أقرب للصفير** [4]**"**.

---

[1]- باجوده، **تأملات في سورة الإسراء**، ص 125.
[2]- أمين، بكري شيخ أمين(١٩٨٠) **التعبير الفني في القرآن**،ط٤،ص٢٠١، دار الشروق، القاهرة.
[3]- انظر: سورة (الحشر: ٩) وسورة (التغابن: ١٦) وسورة (النساء: ١٢٨).
[4]- المرجع نفسه ، ص١١٠.

الأصوات الاحتكاكية التي وردت في آية المثل القرآني		
الصوت	المفـــردة القـــرآنـــيـة	عدد ورودها
الحاء	مَّحْسُورًا	مرة واحدة
السين	تَبْسُطْهَا، ٱلْبَسْطِ، مَّحْسُورًا	٣ مرات
العين	تَجْعَلْ،عُنُقِكَ، فَتَقْعُدَ	٣ مرات
الغين	مَغْلُولَةً	مرة واحدة
الفاء	فَتَقْعُدَ	مرة واحدة
الهاء	تَبْسُطْهَا	مرة واحدة
المجموع		١٠ مرات

لقد كان لصوت (السين) في آية المثل القرآني، حضورٌ جماليٌ استطاع أن يضيف بإيقاعه وتنغيمه مشهداً حياً للصورة الكنائية، كما في لفظة **(تَبْسُطْهَا)** التي دلّت بإيحائها على ذلك المشهد التصويري البديع، وهو" **صورة اليد المبسوطة الممتدة في خط مستقيم واحد، ابتداءً من العضد حتى رؤوس الأنامل فنحن إذاً بصدد شيئين مهميّن بارزين في الصورة، ومن بروزهما تبدو قدوتهما المعبرة:**
الأول: هو اليد الممتدة امتداداً غير عادي.
والثاني: وهذا في حقيقته امتداد للأول، الأصابع الممتدة أو الكف المبسوطة، وأن اليد التي تلك حقيقتها لا يمكن أن تُبقي على شيء[1]".

ويرى المتلقي في آية المثل القرآني السابق صورة أخرى من صور التناسق الجمالي، لإيقاع صوت السين، وهو التكرار الذي أوحى على آية المثل تعبيراً لأبعاد المعنى مر من الآية الكريمة، فالتكرار هنا يشكل تردداً صوتياً تنغيمياً يحقق للمتأمل انجذاباً شعورياً في وقت زمني معين، نحو معنى آية المثل القرآني، وجاء تكرار صوت (السين) كما في لفظة **(تَبْسُطْهَا)** وقوله **(ٱلْبَسْطِ)** ليلفت انتباه المتلقي، فتكرار صوت (السين) قد أفاد المتلقي بإفادة نغمية، لما أحدثه هذا الصوت من جرس

[1]- باجوده ،**تأملات في سورة الإسراء**،ص١٢٧.

ووقع على أذن السامع، ففي قوله **(كل البسط)** توكيد للمعنى المذكور وزيادة في المبالغة في الإسراف والتبذير الذي يكون عند بعض أفراد الجماعة المسلمة.

لقد استطاع هذا الصوت بجرسه الإيقاعي، أن يُسهم في هذا التوكيد وتصوير ذلك التبذير لدى أذن المتلقي، ويلمس المتأمل الانسجام الواضح بين الصوت ودلالة الخطاب من حيث جرسها الاحتكاكي وصفيره ، ومثل هذا التكرار لصوت(السين) في آية المثل القرآني، خلق جواً أمام خيال المتلقي لصورة تلك اليد الممتدة على غير طبيعتها الإنسانية.

والمتأمل في آية المثل القرآني يرى أن الصورة التي رسمتها الكناية بأصواتها الاحتكاكية والمهموسة توحي بقوة تأثيرها الإيقاعي وإن**" للألفاظ في الأدب نغمة لذيذة كنغمة أوتار، وصوت منكر كصوت حمار، وإن لها في الفم حلاوة، كحلاوة العسل، ومرارة كمرارة الحنظل، وهي على ذلك تجري مجرى النغمات والطعوم**[1]**"** و يشعر المتلقي وهو يقرأ مفردات المثل القرآني بإيقاعه الموزون من تتابع أصواته وألفاظه وآياته، ويلمس التناسق الصوتي في صياغته وتآلف كلماته وتراكيبه، ويجد في تناسق حروفه تناسقاً عجيباً، بحيث تألف أذن المتلقي إلى اجتماعها إلى بعضها وهي تشكل لحناً طرياً يلامس الأحاسيس والمشاعر الوجدانية.

الأصوات المهموسة التي وردت في آية المثل القرآني		
الصوت	**المفردة القرآنية**	**عدد ورودها**
التاء	تَجۡعَلۡ، مَغۡلُولَةً، تَبۡسُطۡهَا، فَتَقۡعُدَ	**٤ مرات**
الحاء	مَّحۡسُورًا	**مرة واحدة**
السين	تَبۡسُطۡهَا، ٱلۡبَسۡطِ، مَّحۡسُورًا	**٣ مرات**
الطاء	تَبۡسُطۡهَا، ٱلۡبَسۡطِ،	**مرتين**
المجموع		**١٠ مرات**

[1]- لاشين، **من أسرار التعبير في القرآن (صفاء الكلمة)**، ص٥.

لقد استطاع صوت(التاء) كما في لفظة (تَجْعَلْ،مَغْلُولَةً،تَبْسُطْهَا،فَتَقْعُدَ) وصوت (الحاء) في لفظة

(مَّحْسُورًا) أن يرسم باللوحة الكنائية معنى موحياً في قوله: ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ عن طريق الإيحاء بالضعف وقلة الحيلة التي يصبح فيها القاعد، بل الذل والهوان اللذين ارتضاهما الإنسان - المسرف والبخيل- لنفسه، فاستعمال جملة (فتقعد) ولفظ(محسوراً) التي من معانيها الحسير: وهي الدابة التي تعجز عن متابعة المسير فتراها تقف من الإعياء والتعب، قال ابن منظور :" **حسرت الدابة والناقة حسراً واستحسرت : أعيت وكلّت... والعرب تقول: حسرت الدابة إذا سيّرتها حتى ينقطع سيرها** [1]"، فجاءت اللفظة هنا مواكبة للمعنى المراد من الآية، فصورة (البخيل والمسرف) كلّ منهما يحسر نفسه فيقف عاجزاً متعباً، لقد جاء التعبير القرآني هنا بدلالة توحي لذهني المتلقي والسامع بالسخرية، من ذلك الإنسان الذي حرم نفسه وحرم غيره من عطاء الله، أو ذاك المسكين الذي بسط يده في غير مكانها، فكلاهما بالتصوير (قاعد) " **فالبخيل قاعد وكأنه ملازم للأرض كشخص مقعد،** [2]".

وجاء إيحاء لفظة (فتقعد) بالذل والهوان مناسباً أكثر من أي لفظة أخرى فلو **"استعملت جملة (فتجلس) مثلاً لتحوّل المعنى عن هذا الإيحاء تماماً إذ تستعمل العرب هذا التركيب دائماً القعود (كان قائماً فقعد) والجلوس (كان مضجعاً فجلس)، ففي الأول تحوّل من القيام الذي يوحي بالعزة والقوة إلى القعود الذي يوحي بالذل والهوان. أما في التعبير الثاني فتحوّل من الاسترخاء والضعف إلى الجلوس الذي هو نهوض من الأسفل إلى الأعلى**[3]"وهكذا تبقى صورة البخيل المقتر وصورة المسرف المبذر عالقة في الحس والوجدان تفعل فعلها، وما كان أي تعبير آخر أن يبلغ إلى إحساس وشعورة المتلقي كما استطاع هذا الأسلوب الكنائي.

ثم كانت خاتمة الآية الكريمة وقد أظهرت للمتلقي النتيجة المحتومة لتلك الصورتين إذ قال تعالى ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ لقد جاءت" **الفاء هنا سببية نصبت الفعل المضارع بعدها الذي وقع جواباً للنهيين السابقين، وكل من قوله (ملوماً محسوراً) حال منصوبة فقوله:(ملوماً) حال عائدة على**

---

[1]- لاشين، **من أسرار التعبير في القرآن (صفاء الكلمة)**، ص٥.
[2]- حفني،عبد الحليم(١٩٧٨م)**أسلوب السخرية في القرآن الكريم**،د.ط،ص١٨٤،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة
[3]- باجوده، **تأملات في سورة الإسراء**،ص١٠١ (بتصرف).

قوله (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك)، وقوله (محسوراً) عائد إلى قوله تعالى:(ولا تبسطها كل البسط) [1]"ومن العلماء[2] من يجعل ملوماً مرتبطاً بالبخل، ومنهم من يجعل محسوراً مرتبطاً بالإسراف. وجاءت هنا مطابقة في المعنى بين الغل والبسط في قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾، ووردت لفظة (محسوراً) في آية المثل القرآني، في موضعها من سياق الآية موحية بمعناها في بلاغة وجمال تمام الإيحاء، فضلا عن مناسبتها للفاصلة السابقة لها واللاحقة بها في السورة الكريمة.

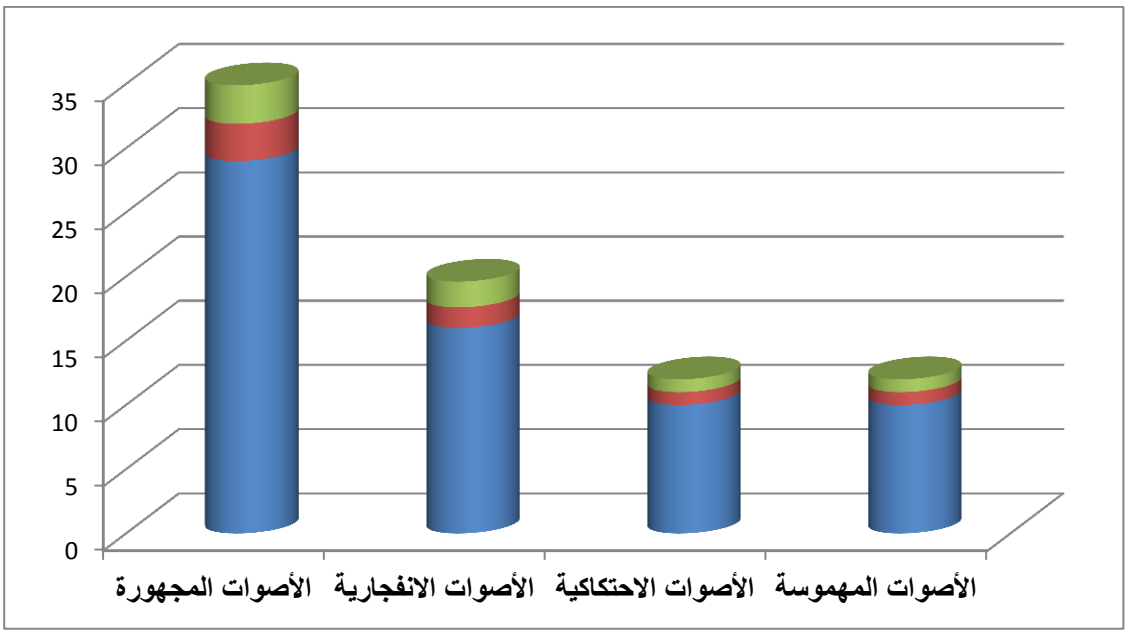

لقد جاء التصوير في آية المثل القرآني الكنائي ليمنح المعنى ترهيباً من الإقدام على البخل أو التبذير في المال، كما أعطى- في المقابل - ترغيباً في العمل على الاقتصاد والتوسط في صرف المال.

و يلحظ جرس تنغيمي بتواتر أصوات المد الثلاثة في المثل، وساعد تواترها على إضفاء إيقاعي موسيقي متناغم أضفى البعد الفني والأسرار المكنونة داخل آية المثل القرآني، وساهمت في تشكل فن الكناية وإيضاح المعنى المراد من ضرب المثل القرآني.(وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ).

[1]- الآلوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** ،ج١٤،ص٦٥،(بتصرف).
[2]- أبو حيان، **تفسير البحر المحيط**،ج٦ ،ص٣١.

حروف المد التي وردت في آية المثل		
الصوت	**المفردة القرآنية**	**عدد ورودها**
الألف	وَلَا، إِلَىٰ، تَبۡسُطۡهَا، وَلَا، ٱلۡبَسۡطِ، مَلُومٗا، مَّحۡسُورًا	**٦ مرات**
الواو	وَلَا، وَلَا، مَّحۡسُورًا، مَغۡلُولَةً	**٤ مرات**
الياء	يَدَكَ،	**مرة واحدة**
المجموع		**١١ مرات**

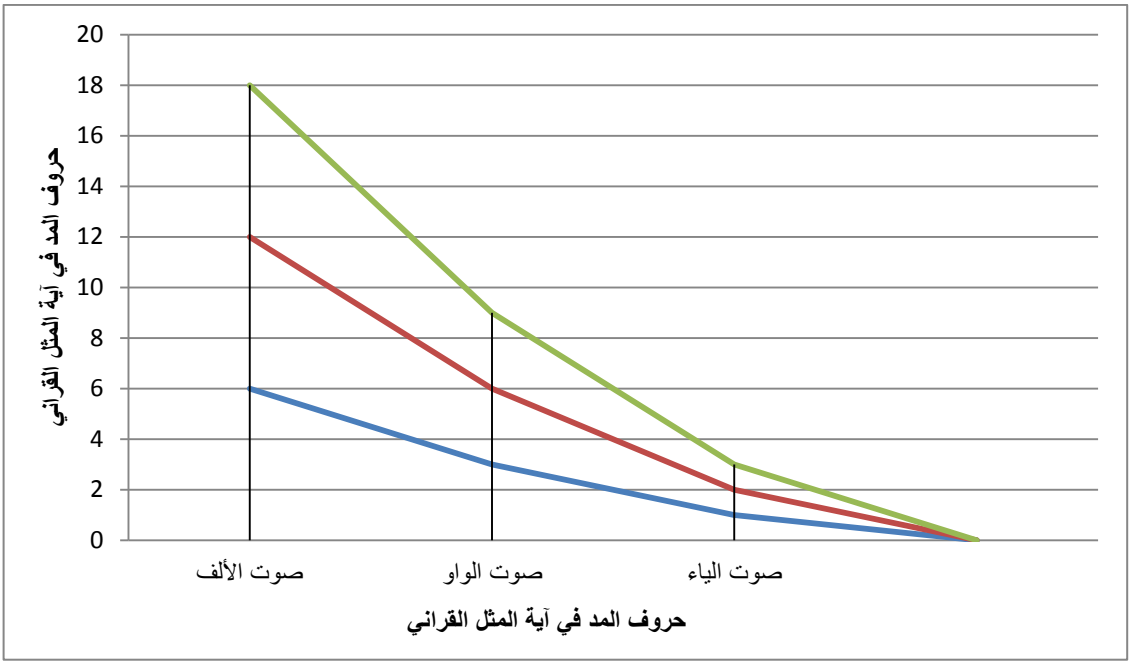

والمتأمل لآية المثل القرآني يرى أن حضور المدود التي بلغ عدد تواترها في آية المثل القرآني(١١) مرة، قد شكّل لوحة فنية تصور فيها حال البخيل بأبشع صورة فهي تساهم في تقريب المعنى المراد لحال البخيل وحال المسرف والمبذر وبيان الوصف الإلهي لهما بقرينة تقرب المشهد.

وقد اجتمعت في آية المثل القرآني عدة أصوات فيها المد(مَّحْسُورًا،تَبْسُطْهَا،مَلُومًا) (١١) صوتاً من المد الواو والألف والياء، وجاءت المدود متناسقة مع معنى الآية ففي لفظة (مَّحْسُورًا،تَبْسُطْهَا، مَلُومًا) مد طبيعي وكأن حب المال والحرص على جمعه أمر طبيعي مجبولة عليه النفس البشرية، ولذا كانت الحاجة إلى مد الصوت وإطالته لما يقتضيه المعنى والمقام ؛ فيتناسب معنى الصوت الممدود مع المعنى المراد لآية المثل القرآني، وفيها إشارة للهول العظيم الذي أعده الله لذلك المقتر والمبذر تبذيرا، وجاءت لفظة (مَّحْسُورًا) بحكم مد عوض[١] الذي جاء عليها (مَّحْسُورًا) فقد تم تعويض تنوين الفتح بألف ممدودة، معززاً قيمة المد الذي أعطى صورة واضحة للحسرة والندم الذي ينتاب تلك الفئة المبذرة والمقترة، بينما جاء في لفظة(مَلُومًا،مَغْلُولَةً) مداً طبيعياً وكأن صوت المد هنا جاء لبيان حقيقة تلك الصورة التي رسمتها الكناية في هاتين اللفظتين وأن صفة اللوم طبيعية بالنسبة للمقتر والمبذر، بعدما يريان العذاب الأليم الذي أعده الله لهما في الدار الآخرة، وقد ساهمت الأصوات في التأثير الإيقاعي لمسار آية المثل القرآني، فهي تمتاز بخصائص موسيقية تجعلها أقدر على إحداث تأثيرات نفسية على حال ذلك البخيل **" وتبدو فاعلية حروف المد واللين فيما تحدثه من تنوع في الإيقاع بين الانخفاض والارتفاع ينجم عن طولها المقطعي المناسب مع هواء الزفير**[٢]**"**.

ويظهر أثر المد واضحاً في آية المثل القرآني، فقد توزعت المدود على طول آية المثل القرآني بطريقة تفسح المجال للقارئ أن يتغنى بالقرآن الكريم، وتمتع السامع بهذا الأداء الخاص. ويعد المد من أغنى الظواهر بالإيقاع، لأنه**" امتداد اللفظ بالصوت لعلة في الصيغة، وهذه الزيادة تضفي عليها قيمة في العبارة القرآنية موسيقياً**[٣]**"**وجاءت الغنة[٤] في لفظة (مَلُومًا مَّحْسُورًا) بحكم إدغام بغنة، وقد

---

[١]- هو المدّ الذي يلفظ في آخر الكلمات التي تنتهي بتنوين الفتح في حالة الوقف، ويتمّ تعويض تنوين الفتح بألف ممدودة إشارة إلى أنّ القارئ توقف عند هذه الآية، ويكون مدّ العوض بمقدار حركتين كحرف الألف عندما يقرأ في حالة المدّ الطّبيعيّ.

[٢]- حمدان، ابتسام(١٩٩٥) **الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي**،ص١٢٨،رسالة دكتوراه، جامعة تشرين، كلية الآداب، قسم اللغة العربية ،دمشق.

[٣]- ابن مجاهد، **السبعة في القراءات**، ص١١٠.

[٤]- وهي صوت يخرج من الخيشوم، واصطلاحاً: صوت لذيذ مركب في جسم النون والميم. للتوسع انظر، مراد، عثمان سليمان، **السلسبيل الشافي**،ص١٢.

أعطت مظهراً جمالياً في الترتيل ومنحت آية المثل القرآني إيقاعاً فريداً ساهم في بيان المعنى المراد من التصوير الكنائي.

وساهم تواتر أصوات المد برفع نسبة الإمتاع وإمكانية إبراز تميز المفردات القرآنية ، ولهذا تبقى المدود من أهم مظاهر الإيقاع القرآني، يقول تمام حسان:**" فتجويد القران يشتمل إلى جانب إعطاء الأصوات حقها من الصفة والمخرج على أمور أخرى منها المد بأنواعه والغنة والسكت... [1]".**

ويتضح من ذلك أن أصوات المد تؤثر تأثيراً كبيراً في التنغيم الصوتي والدلالي لآية المثل القرآني، و لها إسهامات صوتية بارزة يلمسها المتلقي فيها.

النموذج الثاني:

المتأمل في آيات الأمثال القرآنية، يلمس جريان ألفاظها على نسق بديع خارج عن المألوف فالقرآن الكريم بآياته وأمثاله لا يوجد فيه شيء على نسق الشعر و أعاريضه ، وكذلك على سنن النثر،**" إذ هو لا يلتزم السنن المعهودة في هذا ولا ذاك،... [2]".**

ومن أمثلة هذا الانسجام والتنغيم الموزون ما يجده المتلقي من نماذج الكناية في آيات الأمثال الصريحة قوله تعالى:﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3].

مناسبة آية المثل القرآني:

جاءت سورة يونس ، ترسم للمتلقي لوحة ليس باستطاعة أحد تقطيعها؛ لأنها جاءت لحمة واحدة " **فهي تتدفق في هيئة موجات متوالية؛ تنصب بمؤثراتها الموحية على القلب البشري، وتخاطبه بإيقاعات منوعة، من التعجيب من أمر المشركين في استقبالهم للوحي والقرآن، إلى عرض المشاهد الكونية التي تتجلى فيها ألوهية الله سبحانه[4]".**

---

[1]- حسان، تمام، **البيان في روائع القران**،ص٢٧٢.

[2]- البوطي، محمد سعيد رمضان(١٩٩٦) **من روائع القران الكريم**، تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، مؤسسة الرسالة ، بيروت،ص١١١.

[3]- سورة (يونس:٢٤)

[4]- قطب، **في الظلال القرآن** ،ج٤،ص١٢٠.

وسورة يونس، سورة مكية باستثناء ثلاث آيات منها مدنية من الآية (٩٤) وحتى نهاية السورة وعدد آيات السورة (١٠٤) وقد افتتحت السورة بأحرف مقطعة زادت من جمالية الأسرار التنغيمية في آية المثل القرآني، وجاءت السورة لتأخذ المتلقي عبر موجاتها التنغيمية وصورتها الكنائية، إلى محطات تأملية، فبدأت السورة كباقي أخواتها بأحرف ثلاثة(ألف،لام، را) يبدأ بهذه الأحرف والأسرار وهي مبتدأ خبره ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ ثم يأخذ" **السياق في عرض عدة أمور تبدو فيها الحكمة التي أشير إليها في وصف الكتاب من الوحي إلى الرسول- صلى الله عليه وسلم- لينذر الناس ويبشر المؤمنين، والرد على المعترضين أن يوحي الله إلى بشر إلى خلق السماوات والأرض وتدبير الأمر فيهما ...** [١]".

وتأتي الآيات السابقة لآية المثل برسم لوحة في ذهن المتلقي، تتطرق فيها وبتنغيم صوتي، وجرس إيقاعي، لتعرض فيها الآيات الكونية والنواميس الإلهية في مخلوقاته سبحانه وتعالى، وكيف استقبل الذين أعرضوا عن آيات الله وقدرته من الغافلين تلك النواميس" **الذين لا يرتقبون لقاء الله مدبر كل شيء، وما ينتظر هؤلاء الغافلين من سوء المصير؛ وما ينتظر المؤمنين في الجانب الآخر من نعيم مقيم** [٢]".

وأخذت آيات تلك السورة العظيمة، تبحر وتصف الطبيعة الإنسانية والتعامل مع قضاء الله وقدره في الشر والخير، وحال المؤمن الواثق بنور الله وتضرعه لخالقه ومولاه في السراء والضراء، وحال الذين يدعون الله ويتضرعون إليه عند مس الأذى، ونسيانهم له عند كشف ذلك الضر" **ولجاجهم فيما كانوا من قبل فيه دون اعتبار بالقرون الخالية التي سارت في الطريق ذاته، ولقيت مصارعها في ذلك الطريق!**[٣]".

ورسمت صورة منسجمة كخيوط العنكبوت بأصواتها المجهورة وحروفها الممدودة، حال الأمم السابقة التي تجبرت وتكبرت، كقوم نوح - عليه السلام- وكيف كذبوا رسولهم، وقصة كليم الله موسى- عليه السلام- ، والإشارة إلى ذي النون (يونس) - عليه السلام - ، ثم تجيء الإيقاعات الأخيرة في السورة واضحة للعرب الذين يدعوهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - فإن المكذبين كانوا يطلبون إلى الرسول أن يأتي لهم بقرآن غيره أو يبدله .

---

[١]- المرجع السابق ،ج٤،ص١٢٠.
[٢]- المرجع نفسه.
[٣]- المرجع نفسه.

أثر الكناية في آية المثل القرآني:

للكناية في الأمثال القرآنية استعمال كبير، وهذا ما يلمسه المتلقي في هذه الآية الكريمة، وما ذاك إلا جرياً على طريقة العرب في كلامهم ، ولكن القران الكريم أحدث كناياتٍ جديدةً لم تكن مسموعةً ولم يعرفها العرب من قبلُ، سواء فيما يتصل بين تراكيبها وألفاظها بمتلازمات خفية بين المعاني، أو حتى بالإيحاء والسيميائية التي تحدث لدى المتلقي دلالات مختلفة ومتفاوتة، أو بتجلية المعاني وتشخيصها وتفخيمها وإدغامها أو إظهارها بصورة مؤثرة في المتلقي.

ويرى المتأمل لآية المثل الكريمة، ضرب لـ (الحياة الدنيا) وهي تطلق على مدة بقاء الأنواع الحية على وجه الأرض، واستقرار تلك الأرض بكل ما عليها على حالتها؛ فالمتأمل يرى أن إطلاق" **اسم الحياة الدنيا على تلك المدة؛ لأنها مدة الحياة الناقصة غير الأبدية؛ ولأنها مقدر زوالها،في دُنيا ، ووصفها بـ (الدنيا) بمعنى القريبة، أي الحاضرة غير المنتظرة، كنّي عن الحضور بالقرب**[1]" وجاء أسلوب تشبيه الحياة الدنيا الفانية بنبات الأرض القائم على صيغة القصر بـ (إنما) كناية عن سرعة الانقضاء، وفائدة الكنايتين في الآية إيضاح حال الدنيا؛ للتزهيد فيها، ولاستغلالها في العمل والتزود للحياة الباقية.

وقد كان لمجيء صورتي الكناية، وصورة التعريض في آية المثل مزية إيضاح مع إيجاز، حيث رسمت للمتلقي صورة جمالية؛ فالحياة الدنيا بزينتها وأموالها وقصورها وجميع أحوالها ليست كالحياة الآخرة التي فيها ما لا عين رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر، وهي بعيدة كل البعد عن حس الأحياء، بل هي قريبة من أهلها فهم يعيشونها، ويتحسسون ما فيها، وهي مع ما فيها من كل صور البهجة والفرح والسرور صائرة إلى زوال وفناء، والمنتفع بهذا المثل المضروب هم أهل التأمل والنظر، أما غيرهم فلم يكن ضرب هذا المثل لهم؛ لأنهم لن ينتفعوا به لقلة تبصرهم وإدراكهم وتعقلهم.

وجاءت آية المثل القرآني بأصواتها المجهورة لترسم لذهن المتلقي تلك الصورة الجميلة التي أرادت أن ترسمها الكناية في آية المثل القرآني، وهي صورة حية تثير لدى المتلقي ذلك الخيال العظيم وتكشف له عن موقف وحال الكفار اليائس،﴿كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ﴾ وكان للصوت في آية المثل القرآني، المساهمة والمشاركة الكبيرة في جوانب الإعجاز البياني في الأداء والسماع للمتلقي، فكما

[1]- ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٧، ص ٣٣١ .

كان لحروف المد مساهمة في تنغيمها الصوتي، كذلك الأصوات بأنواعها لها نفس المشاركة لإبراز ذلك الخيال التصويري، كما في لفظة (فَٱخۡتَلَطَ،وَٱزَّيَّنَتۡ،تَغۡنَ، أَخَذَتِ،عَلَيۡهَآ) فاستخدام المثل القرآني لهذه الأوتار الصوتية وتذبذبها بشكل قوي في حروف الجهر أعطى مؤشراً يوصل المتلقي لإدراك جمالياتها التعبيرية بأسلوبية ومتعة فنية من خلال انسجام الصوت مع المعنى والسياق العام لآية المثل القرآني .

والمتأمل لآية المثل القرآني السابق، يرى أن هناك علاقةً مباشرة ورابطاً قوياً بين تأثير الأصوات والبعد الفني الإيقاعي الذي لا يدرك إلا بالسماع، وجاءت أساليب الأمثال القرآنية منسجمة كل الانسجام بين تراكيبها وجملها مع تناغم تلك الذبذبات الصوتية، جاعلةً المتلقي يسعى لإثبات ذلك الإعجاز الإلهي، من خلال الأثر التنغيمي والإيقاع الصوتي في آيات الأمثال حيث" **اتخذت المباحث الصوتية عند العرب القرآن أساساً لتطلعاتها، وآياته مضماراً لاستلهام نتائجها، وهي حينما تمازج بين الأصوات واللغة، وتقارب بين اللغة والفكر، فإنما تتجه بطبيعتها التفكيرية لرصد تلك الأبعاد مسخرة لخدمة القرآن الكريم**[1]".

ورصد الباحث تلك الأصوات وعدد تواترها، وصدى كل صوت، فبلغ عدد الأصوات المجهورة في آية المثل،(٧٢) صوتاً، وكان لصداها الوقع الكبير، أما الأصوات الانفجارية والتي بلغ عدد تواترها (٤٨) صوتاً، وكان لتنغيم الأصوات الاحتكاكية التي بلغ عدد تواترها (٤٠) صوتاً أثرٌ واضحٌ استطاعت أصواتها التي تشكل منها المثل القرآني أن تكشف بدلالتها الصوتية المعنى المراد، وقربت الأصوات المهموسه التي بلغ تواترها (٢٦) صوتاً ذلك المعنى، كما في الجدول الآتي:

[1]- الصغير، **الصوت اللغوي في القرآن**،ص٧٣.

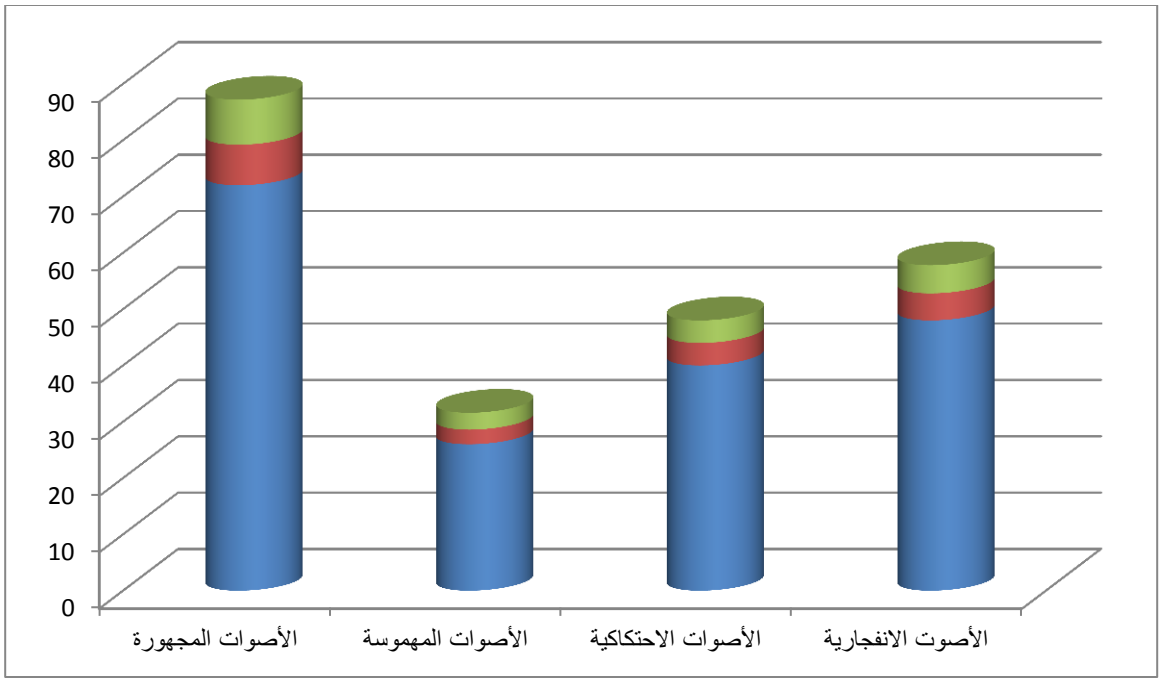

جدول توضيحي لنسبة تواتر الأصوات في آية المثل القرآني السابق

الأصوات المجهورة التي وردت في آية المثل القرآني		
الصوت	**المفردة القرآنية**	**عدد ورودها**
الباء	بِهِۦ، نَبَاتُ، بِٱلْأَمْسِ	٣ مرات
الجيم	فَجَعَلْنَٰهَا	مرة واحدة
الدال	ٱلدُّنْيَا، حَصِيدًا، قَٰدِرُونَ	٤ مرات
الذال	إِذَآ، أَخَذَتِ، كَذَٰلِكَ	٣ مرات
الراء	ٱلْأَرْضِ، ٱلْأَرْضُ، زُخْرُفَهَا، قَٰدِرُونَ، أَمْرُنَا، نَهَارًا، يَتَفَكَّرُونَ	٧ مرات
الزاي	أَنزَلْنَٰهُ، زُخْرُفَهَا، وَٱزَّيَّنَتْ،	٤ مرات
الضاد	ٱلْأَرْضِ، ٱلْأَرْضُ	مرتين
الظاء	وَظَنَّ	مرة واحدة
العين	وَٱلْأَنْعَٰمُ، عَلَيْهَآ، فَجَعَلْنَٰهَا	٣ مرات
الغين	تَغْنَ	مرة واحدة
اللام	مَثَلُ، ٱلْحَيَوٰةِ، ٱلدُّنْيَا، أَنزَلْنَٰهُ، ٱلسَّمَآءِ، فَٱخْتَلَطَ، ٱلْأَرْضِ، يَأْكُلُ، ٱلنَّاسُ، وَٱلْأَنْعَٰمُ، ٱلْأَرْضُ، أَهْلُهَآ، عَلَيْهَآ، لَيْلًا، فَجَعَلْنَٰهَا، لَّمْ، بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ، نُفَصِّلُ، ٱلْأَيَٰتِ، لِقَوْمٍ	٢٢ مرة
الميم	إِنَّمَا، مَثَلُ، كَمَآءٍ، مِنَ ٱلسَّمَآءِ، مِمَّا، وَٱلْأَنْعَٰمُ، أَنَّهُمْ، أَمْرُنَا، لَّمْ، بِٱلْأَمْسِ، لِقَوْمٍ	١٤ مرة
النون	إِنَّمَا، ٱلدُّنْيَا، كَمَآءٍ، أَنزَلْنَٰهُ، مِنَ، نَبَاتُ، ٱلنَّاسُ، وَٱلْأَنْعَٰمُ، وَٱزَّيَّنَتْ، وَظَنَّ، أَنَّهُمْ، قَٰدِرُونَ، أَمْرُنَا، لَيْلًا أَوْ نَهَارًا، فَجَعَلْنَٰهَا، حَصِيدًا، كَأَن، تَغْنَ، نُفَصِّلُ، لِقَوْمٍ	٢٧ مرة
المجموع		٧٢ مرة

رسمت الأصواتُ المجهورة والتي بلغ عدد تواترها (٧٢) صوتاً لوحةً جماليةً مفعمةً بالأحاسيس والمشاعر التي لعبت دوراً كبيراً في تقريب المعنى المراد في آية المثل، والآية بمجملها بما فيها من ظواهر بلاغيةٍ كنائيةٍ وتشبيهٍ توصل إلى الحس مشهد الفزع والخوف والهلع الذي يأخذ الظالمين، الذين ظنوا أن الله لن يقدر عليهم، فضلاً عن السخرية بهم والذل الذي يصيبهم، وجاءت الأصوات المجهورة بمفرداتها ﴿فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ تجلّي هذه الكناية حالةً نفسية للكافرين في مشهد من مشاهد قدرة الله على الظالمين، وجاءت الكناية في الأصوات المجهورة للوقوف على الإشارات الوجدانية والمشاعر النفسية التي تجسدها بالتصوير الفني المؤثر.

واستطاعت بتجسيدها وتصويرها الفني ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ﴾ أن تظهر خروج الكناية في آية المثل من المعنويات والمجردات والانفعالات النفسية باللباس الحسي الذي يكون تأثيره في نفس المتلقي أعمق من المجردات.

وكان حضور صوت(النون) كبيراً إذ بلغ عدد تواتره (٢٧) صوتاً، وهو مجهور متوسط الشدة، استطاع بتنغيمه وإيقاع جرسه الموسيقي داخل آية المثل أن يتطابق مع الحالة النفسية لمن اغتر بزينة الحياة الدنيا؛ فقد استطاعت الكناية تصوير ذلك المشهد لحال الحياة الدنيا في بهجتها وسرور الإنسان واغتراره بما فيها من سعادة وحبور، حتى إذا ظن أنه امتلكها وأنه قادرعليها أخذت منه بغتة في أحوج اللحظات إليها(أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا) وحيل بينهما، ورسم الكناية صورة الأرض(وَٱزَّيَّنَتْ) التي تستقبل الغيث فتخضرّ ويزهو نباتها ويكبر حتّى تُصبح كالعروس المتحلّية بكامل الزينة والحُلي فتروق صاحبها ويسعد بها حتى إذا ظن أنه قادر على الانتفاع بها بما فيها فجأها القدر الإلهي المحتوم فقضى عليها وأبادها عن آخرها وأصبحت كأنها لم تكن شيئاً ذا بال فيخيب ظنه بها ويضيع أمله فيها في لحظة ثقته بنفعها وسعادته بها[١].

واستطاعت الكناية كشف الجوانب الخفية في آية المثل﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ﴾ نلاحظ تأثير صوت النون في الآية فقد جاءت بشكل انسيابي وسهولة في العبارة لا يمكن أن تتوفر

[١]- ابن القيم، محمد بن أبي بكر الجوزية(١٩٨٦) **الأمثال في القرآن الكريم**، ط١، ص١٨٦ (بتصرف) مكتبة الصحابة، مصر.

فيما لو وضعت العبارة بنظم آخر كما لو قيل مثلاً: (إنما مثل الحياة الدنيا كنبات ماء..) لقد حقق صوت النون هنا نظماً جميلاً داخل آية المثل من ترتيب للأحداث، إذ أن أساس ظهور النبات في الأرض هو نزول المطر من السماء، ثم اختلاطه بما في الأرض من بذور مختلفة، ثم تأتي بعد ذلك مرحلة نمو الزرع ونضج الثمر، ثم إعجاب الزرّاع والناس باختلاف ألوانه وأشكاله.

وجاء صوت (اللام) الذي بلغ عدد تواتره(٢٢) مرة، وهو صوت مجهور متوسط الشدة، يوحي للسامع بالتماسك والمرونة والالتصاق، ولو تأملنا مفردات الآية التي كان لصوت (اللام) حضور واضح فيها (مَثَلُ،ٱلْحَيَوٰةِ،ٱلدُّنْيَا،أَنزَلْنَٰهُ،ٱلسَّمَآءِ، فَٱخْتَلَطَ،.....) تجد أن حضوره بخصائصه الإيقاعية الصوتية ساهم بشكل كبير في صورة الاختلاط للأرض ﴿فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ...﴾إذ جاءت فاء العطف لتبين للسامع أن الماء وبتماسكه للأرض كان سبباً في ذلك الاختلاط، وجاءت لفظة (اختلط) في الآية مناسبة فلو قيل مثلاً (امتزج) لم تناسب المعنى، **" لأن الاختلاط أعمّ وأشمل من الامتزاج، إذ يكون الاختلاط بين جامدين أو مائعين أو أحدهما مائع والآخر جامد بينما لا يكون الامتزاج إلا بين سائلين**[١]". لذا كان مجيء لفظة (اختلط) في السياق أكثر بلاغة ودقة من لفظة (امتزج) على سبيل المثال؛ لأن في اختلاط الماء بالنبات ما يدل على أنه جرى منه مجرى الغذاء[٢] والباء في قوله (به) هنا للمصاحبة [٣].

وجاء صوت (الراء) وهو انفجاري مجهور، يرسم صوراً مشحونة بالعنف والشدة غالباً، ومن تلك الصور ما ورد في لفظة (قَٰدِرُونَ، أَمْرُنَا، نَهَارًا) تكررت الراء في آية المثل سبع مرات. وهذا التكرار يجمل دلالة، إذ لو نظر السامع إلى سياق الآية لوجدناها تتحدث عن أهوال وصور مؤلمة تفزع منها القلوب(وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْنَهَارًافَجَعَلْنَٰهَاحَصِيدًا). جاءت الكناية لترسم للمتلقي الجو الصاخب، المخيف الذي تجسده تلك البنى الصوتية، فوظفت في رسم صورة حية لموقف بغي الإنسان وفساده والاغترار بمباهج الدنيا وزخرفها الزائل... وحضرت الكناية هنا لتحذر الإنسان ألا يأخذه غروره بما في الدنيا من زخرف وجمال إلى أن يظلم نفسه فينسى عاقبة

---

[١]- الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن، " خَلَطَ" ، " مَزَجَ"**.
[٢]- أبو حيان، **تفسير البحر المحيط**،ج٥، ص١٤٣،(بتصرف).
[٣]- المصدر نفسه .

ذلك الغرور ويؤدي بنفسه بعد ذلك إلى الهلاك المحتوم عليه أن يعلم أن كل نعيم فيها ما هو إلا سراب يحسبه الظمآن ماءً ثم لا يلبث أن يدرك خداعه وزواله بعد فوات الأوان.

وكان للأصوات الانفجارية نصيب كبير فقد بلغ عدد تواتر أصواتها (٤٨) صوتاً، وساهمت أصواتها بنسيج من التناغم الصوتي والتركيبي ليوحي للمتلقي بأسرار الإعجاز البياني في آية المثل ويعرضه بالتصوير الكنائي.

الأصوات الانفجارية التي وردت في آية المثل القرآني		
الصوت	**المفردة القرآنية**	**عدد ورودها**
الهمزة	إِنَّمَا، كَمَآءٍ، أَنزَلْنَٰهُ، ٱلسَّمَآءِ، ٱلْأَرْضِ، يَأْكُلُ، وَٱلْأَنْعَٰمُ إِذَآ، أَخَذَتِ، ٱلْأَرْضُ، أَهْلُهَآ، أَتَىٰهَآ، أَمْرُنَا، أَوْنَهَارًا، كَأَن، بِٱلْأَمْسِ، ٱلْأَيَٰتِ	١٨ مرة
الباء	بِهِۦ، نَبَاتُ، بِٱلْأَمْسِ	**٣ مرات**
التاء	ٱلْحَيَوٰةِ، فَٱخْتَلَطَ، نَبَاتُ، حَتَّىٰٓ، أَخَذَتِ، وَٱزَّيَّنَتْ، أَتَىٰهَآ، تَغْنَ، ٱلْأَيَٰتِ، يَتَفَكَّرُونَ	**١١ مرة**
الجيم	فَجَعَلْنَٰهَا،	**مرة واحدة**
الدال	ٱلدُّنْيَا، حَصِيدًا، قَٰدِرُونَ	**٤ مرات**
الضاد	ٱلْأَرْضِ، ٱلْأَرْضُ	**مرتين**
الطاء	فَٱخْتَلَطَ	**مرة واحدة**
القاف	قَٰدِرُونَ، لِقَوْمٍ	**مرتين**
الكاف	كَمَآءٍ، يَأْكُلُ، كَأَن، كَذَٰلِكَ، يَتَفَكَّرُونَ	**٦ مرات**
المجموع		**٤٨**

فجاء صوت (الكاف) وهو صوت حنكي انفجاري مهموس وبلغ تواتره في الآية (٦) مرات، وساهم في تمثيل وتصوير حال نزول الماء، ونمو الزرع في تلك الأرض، ولنتأمل ذلك في قوله تعالى :﴿مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ﴾ جاءت الآية هنا بتحديد الصنف مما يأكل الناس والأنعام دون

سواهما، إذ أن الإعجاب والرغبة فيما يأكل الناس من حبوب وثمر وبقول ومما تأكل الأنعام كالحشيش وسائر ما يُرعى... ثم تصور الآية بصورتها الكنائية اشتداد الرغبة فيهما أكثر من غيرهما من أنواع النبات، لذا ناسب حضور النبات وما في الدنيا من متاع ومباهج تروق كل من عاش عليها وتمتع بنعيمها البرّاق.

ثم تصور الآية ما تنتهي إليه الصورة الكنائية بذلك التعقيب﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا ﴾ لقد رسمت الآية بمجيء لفظة (حتى) والتي أفادت السامع الغاية في اكتمال الزينة والزخرف، وجاء التنغيم الصوتي في لفظة (زُخۡرُفَهَا) ليدل على النبات الجميل وكأنه نوع من أنواع حلي المرأة التي تتزين به، هذا فضلاً عمّا أضافته لفظة(وَٱزَّيَّنَتۡ) من تأكيد[1] لهذه الزينة إذ إن الحلي يمكن أن تؤخذ ولا يتزين بها أما وقد جاءت لفظة(وَٱزَّيَّنَتۡ) فدلّت على أن أخذ الزُخرف إنما كان للزينة وهذا ما زاد التعبير بلاغة وجمالاً وتأكيداً إذ إنه من الممكن أن يقال في زماننا على سبيل المثال (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها فقط) ثم يقال (وظن أهلها أنهم قادرون عليها).

أما صوت الهمزة الذي بلغ عدد تواتره في آية المثل (١٨) صوتاً، ويشكل بإيقاعه فاعلية مهمة في الآية، بما له من قدرة على إثارة التخيل اللازم لفهم الصورة الكنائية والمعنى المراد من الآية، بل وتعمل على تعميق دلالة المعنى المتجسد بالألفاظ، وظهر ذلك في قوله:﴿ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ ﴾ استطاع صوت الهمزة هنا رسم صورة موحية ومؤثرة في نفس السامع وتعميق دلالة المعنى فالظن هنا جاء بمعنى اليقين[2] أي أنهم صاروا في حكم العالمين لفرط طمعهم وأملهم فيها[3].

---

[1]- أبو حيان، **تفسير البحر المحيط** ،ج٥ ،ص١٤٣،(بتصرف).
[2]- ابن فارس، **مقاييس اللغة** ، (ظنَّ) بتصرف .
[3]- الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، (ظنَّ).

أما (أن) هنا فقد جاءت مؤكدةً لهذه القدرة والتحكم في الأرض ولا أدل على ذلك من مجيء حرف الجر على الذي يفيد الاستعلاء المجازي والضمير المتصل بها عائد على الأرض من غير شك، وبناءً على ذلك نستطيع أن نقول إن وجود (على) الذي أفاد الاستعلاء المجازي قد أعطانا إحساساً أن الظن عندهم قد وصل إلى درجة اليقين فعلاً أي وكأنهم مستعلون على هذا الشيء، ليس لأحدٍ غيرهم التحكم فيه والتّسلط عليه.

ومن ألوان التعبير الكنائي التي استطاعت أن تكشف للمتلقي الجوانب الخفية وتدفعها للتأمل والتدبرما جاء في قوله تعالى:﴿أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا﴾ يدرك السامع من هذا الإتيان الذي يرتبط به البعد الزمني وفي الوقت نفسه في هذا البعد إيحاء بفسحة الأمل وقوة الظن على الاستعلاء، ولعل الإتيان هنا المقصود به الصيحة الأولى[1].

وقد يفهم المتأمل من لفظة (أتى) أن العقاب والعذاب بعيد وقت تحققه ولذلك راعت الآية الكريمة هذه النواحي النفسية للناس الذين قد نسيء لهم في الأجل ومُد لهم في العمر[2]، ويلمس السامع دقة مجيء لفظة(أمرنا) مع هذا المعنى دون سواه كما لو قيل على سبيل المثال (قضاؤها) وما ذاك إلا لأن الأمر يعني الشأن وهو لفظ عام للأقوال والأفعال كلها[3] بينما القضاء هو فصل الأمر قولاً ذلك أو فعلاً هذا فضلاً عمّا في الأمر من قوة وشدة وحزم.

وتدخل الكناية لبيان أهمية تعاقب الليل والنهار وأثر ذلك في نظام الكون، وتقريب ذلك المعنى إلى الفهم بصورة حسية كما في قوله تعالى:﴿لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا﴾ أضفى على آية المثل جلالاً ورهبةً لائقةً إذ في ذكر هاتين اللفظتين توقّع لنزول البلاء في أي وقت كان، سواء كان ذلك أثناء غفلتهم ونومهم ليلاً أو لحظة استيقاظهم وحذرهم نهاراً؛ لأنه من عند عزيز مقتدر لا يمنعه عن أمره مانع.

---

[1]- جاء هذا المعنى في سورة (الزمر: ٦٨)وسورة(يس: ٤٩) وسورة (غافر: ١٦).
[2]- وفي سورة الأنعام نرى موقفاً جميلاً لمثل هذا المعنى من الآية (٤٢-٤٤).
[3]- الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن،"** أمر".

وجاء التنغيم الصوتي في صوت (الهمزة) ليلفت انتباه المتلقي لتقدم الليل على النهار في القرآن الكريم، وكأن الليل هو المهم وهو الأصل كما جاء في قوله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴾[1]. فقد تأصلت الغفلة في أهل القرى وتقدم الليل هنا لارتباط النوم والراحة به ويقترن بذلك غفلة هؤلاء النّاس وانصرافهم عن الله – سبحانه وتعالى- وتبدو الغفلة أشد والانصراف عن الله تعالى أكبر حينما تبلغ الجرأة الحد الذي يجاهرون معه بالمعاصي نهاراً كي يفاجأوا ببأس الله تعالى وقد أتاهم نهاراً وهم يلعبون.

وجاءت الأصوات الاحتكاكية بتنغيمها الصوتي لتساهم صورة الكناية فيها بشكل كبير وقد بلغ عدد أصواتها(٤٠) صوتاً، فجاء صوت الهاء وهو صوت حنجري احتكاكي مهموس بجرسه الإيقاعي كما في لفظة (أَنزَلْنَٰهُ، بِهِۦ، زُخْرُفَهَا، أَهْلُهَآ، عَلَيْهَآ ،أَتَىٰهَآ، نَهَارًا ،فَجَعَلْنَٰهَا) التي جاءت الكناية بألفاظ موحية شفافة تبعث على التفكير والتأمل، وتترك للقارئ مجالاً لاستنباط المعاني المقصودة، ولعل أجل هذه المعاني الإيمان بالله تعالى.

وإذا نظرنا إلى سياق المفردات في الآية نجد المعاني تعبر عن مكنون النفس البشرية بطريقة توحي بالتفجع والتحسر، أو تومئ بالارتياح والطمأنينة. كما يوضح ذلك الجدول المرفق.

[1]- سورة (الأعراف:٩٧).

الأصوات الاحتكاكية التي وردت في آية المثل القرآني		
الصوت	**المفردة القرآنية**	**عدد ورودها**
الثاء	مَثَلُ	**مرة واحدة**
الحاء	ٱلْحَيَوٰةِ، حَتَّىٰٓ، حَصِيدًا	**٣ مرات**
الخاء	فَٱخْتَلَطَ، أَخَذَتِ ، زُخْرُفَهَا	**٣ مرات**
الذال	إِذَآ ، أَخَذَتِ، كَذَٰلِكَ	**٣ مرات**
الزاي	أَنزَلْنَٰهُ، زُخْرُفَهَا ،وَٱزَّيَّنَتْ	**٤ مرات**
السين	ٱلسَّمَآءِ، ٱلنَّاسُ ،بِٱلْأَمْسِ	**٤ مرات**
الصاد	حَصِيدًا ، نُفَصِّلُ	**٣ مرات**
الظاء	وَظَنَّ	**مرة واحدة**
العين	وَٱلْأَنْعَٰمُ، عَلَيْهَآ ، فَجَعَلْنَٰهَا	**٣ مرات**
الغين	تَغْنَ	**مرة واحدة**
الفاء	فَٱخْتَلَطَ، زُخْرُفَهَا ، فَجَعَلْنَٰهَا، نُفَصِّلُ، يَتَفَكَّرُونَ	**٥ مرات**
الهاء	أَنزَلْنَٰهُ، بِهِۦ، زُخْرُفَهَا ، أَهْلُهَآ ، عَلَيْهَآ ،أَتَىٰهَآ ، نَهَارًا ،فَجَعَلْنَٰهَا	**٩ مرات**
المجموع		**٤٠ مرة**

جاءت جملة ﴿فَجَعَلْنَٰهَاحَصِيدًا﴾ فكما هو معروف أن(الجعل) يأتي مرحلة ثانية بعد الخلق كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىخَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥنَسَبًاوَصِهْرًاۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾[1]. فالجعل هنا يتعلق بالتحويل تحويل المخلوق أو تحويره إلى شيء آخر غير أصله ويُفهم منه التصيير ولكن في الجعل مدة أقصر من التصيير.

[1]- سورة (الفرقان:٥٤).

ويرى المتأمل دقة مجيء جملة(فجعلناها) إذ تدل على أنّ ما حدث لهذه الأرض من تغيير إنما كان بأمر الله مباشرة، فهي أدق على سبيل المثال من جملة(تركناها) لأن في الجعل دليلاً على أنّ التغيير كان منه وحده سبحانه وتعالى دون سواه فالهاء في (جعلناها) إنما هي عائدة إلى الأرض والمقصود نباتها.

لقد جسد التكرار في صوت (الحاء) الذي بلغ تواتره (٣ مرات) ظاهرة فنية، أضفت على آية المثل إيقاعاً جمالياً، فضلاً عن القيمة التنغيمية، فـ الإيقاع هنا يحمل دلالات تعبيرية، تتمخض عنه دلالات، كالتقريع، أوالتوبيخ، كما في قوله تعالى:﴿أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا﴾.

وينتقل التعبير القرآني إلى الصورة الكلية أو المركبة للحياة الدنيا بكل أبعادها، ويربط بين مشاهدها وأحداثها، واستطاع أن يقرّب للسامع صورتها في تمثيلها بالماء والنبات، وهي تزهو وتزدهر وتصبح مروجاً خضراء، وفي لحظة ما تصبح حصيداً وهشيماً تذروه الرياح. فقد جاءت لفظة (حصيداً) ومن المعلوم أن أصل الحصد هو قطع الزرع في وقت الحصاد[١] ولكن اللفظة هنا استعملت للدلالة على الحصاد المفسد الذي يكون في غير أوانه.

الأصوات المهموسة التي وردت في آية المثل القرآني		
الصوت	**المفردة القرآنية**	**عدد ورودها**
التاء	ٱلۡحَيَوٰةِ، فَٱخۡتَلَطَ، نَبَاتُ، حَتَّىٰٓ، أَخَذَتِ، وَٱزَّيَّنَتۡ، أَتَىٰهَآ، تَغۡنَ، ٱلۡأٓيَٰتِ، يَتَفَكَّرُونَ	١١ مرة
الثاء	مَثَلُ	مرة واحدة
الحاء	ٱلۡحَيَوٰةِ، حَتَّىٰٓ، حَصِيدًا	٣ مرات
الخاء	فَٱخۡتَلَطَ، أَخَذَتِ ، زُخۡرُفَهَا	٣ مرات
السين	ٱلسَّمَآءِ، ٱلنَّاسُ ، بِٱلۡأَمۡسِۚ	٤ مرات
الصاد	حَصِيدًا ، نُفَصِّلُ	٣ مرات
الطاء	فَٱخۡتَلَطَ	مرة واحدة
المجموع		**٢٦**

[١]- الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن، "** حصد".

وكان لحضور الأصوات المهموسة في آية المثل التي بلغ عدد تواترها (٢٦) صوتاً، مساهمة في توضيح صورة الكناية التي رسمتها مفردات المثل القرآني والانسجام التنغيمي بين تراكيبه.

وجاء صوت (التاء) وقد بلغ عدد تواتره في الآية (١١) مرة وهو صوت أسناني لثوي مهموس والمتأمل لأثر صوت التاء في تشكيل البنية الدلالية، من ذلك قوله تعالى: (فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ) (حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ)،(مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ)، جاءت كلها تتحدث عن مطارق سنن إلهية وبعض من عذاب الله تعالى للقوم الفاسدين، ويتبين القارئ أن هناك علاقة بين حال الأرض والسماء بتلك المطارق ونواميس الحياة وجاء صوت (التاء) يوظف التصوير لتلك الحالة، فصوت التاء يدل على الجو العام لمضمون الآية، إذ فيه همس لا يكاد يفهم، فالناس يومئذ في هول عظيم. و صوت التاء في قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِ﴾ زيادة في بيان سوء حال تلك الأرض التي أصبحت كأن لم يمكث نباتها ولم يقم... لذا قيل في إعراب هذه الجملة (كأن لم تغن بالأمس) إمّا في محل نصب حال أو مستأنفة..

ويلاحظ المتلقي مجيء لفظ (بالأمس) دون سواها؛ لأن لفظة (أمس) بتنغيمها وجرسها الإيقاعي أدق في التعبير وأبلغ في الكناية عن أقرب وقت مرّ بها وهي في وضعها الرائق الجميل، وقبل أن يصيبها ما أصابها من أمر الله تعالى. تصور الكناية حال تلك الأرض وحال أولئك الذين اغتروا بزينتها وزخرفها وكيف كان مصيرهم المؤلم.

ثم نلاحظ كيف اختتمت آية المثل الجليلة بقوله تعالى:(كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ) في هذا التعبير لفت انتباه المتلقي لأحوال الدنيا وسرعة زوال نعيمها، وهي رسالة لكل من اغتر بها وانساق وراءها حتى ظن أنه تمكّن منها ووثق بها وبمواعيدها فانفلتت منه في أحوج الأوقات إليها لأنها من طبعها الهرب ممن طلبها والإقبال على من رغب عنها... فجاءت الآية تحث المتلقي على عدم التمسك بها وأخذ العبرة منها والابتعاد عن كل ما من شأنه أن يزيد من تعلق الإنسان بمناهج الدنيا الخدّاعة حتى لا يصيبه ما لا تحمد عقباه وحتى يصل بنفسه إلى ما يتمناه من جزيل الثواب

وعظيم الأجر في الدار الآخرة. وهذا تذييل جامع للآية، نفصل أي نبين الدلالات كلها الدالة على عموم العلم والقدرة، والصنع، فهذه آية من الآيات المبينة، وهي واحدة من عموم الآيات.

حروف المد التي وردت في آية المثل		
الصوت	المفردة القرآنية	عدد ورودها
الألف	إِنَّمَا، ٱلْحَيَوٰةِ، ٱلدُّنْيَا، كَمَآءٍ، ٱلسَّمَآءِ، كَذَٰلِكَ، حَتَّىٰٓ، إِذَآ، ٱلْأَيَٰتِ، ٱلْأَرْضُ، وَٱزَّيَّنَتْ، زُخْرُفَهَا، فَٱخْتَلَطَ، نَبَاتُ، ٱلْأَرْضِ، مِمَّا، ٱلنَّاسُ، وَٱلْأَنْعَٰمُ، أَهْلُهَآ، قَٰدِرُونَ، عَلَيْهَآ، أَتَىٰهَآ، أَوْنَهَارًا، فَجَعَلْنَٰهَا، بِٱلْأَمْسِ	٣٦ مرات
الواو	ٱلْحَيَوٰةِ، لِقَوْمٍ، وَظَنَّ، وَٱزَّيَّنَتْ، وَٱلْأَنْعَٰمُ، قَٰدِرُونَ، يَتَفَكَّرُونَ، أَوْنَهَارًا	٨ مرات
الياء	ٱلْحَيَوٰةِ، ٱلْأَيَٰتِ، وَٱزَّيَّنَتْ، عَلَيْهَآ، لَيْلًا، يَتَفَكَّرُونَ حَصِيدًا	٨ مرات
المجموع		٥٢

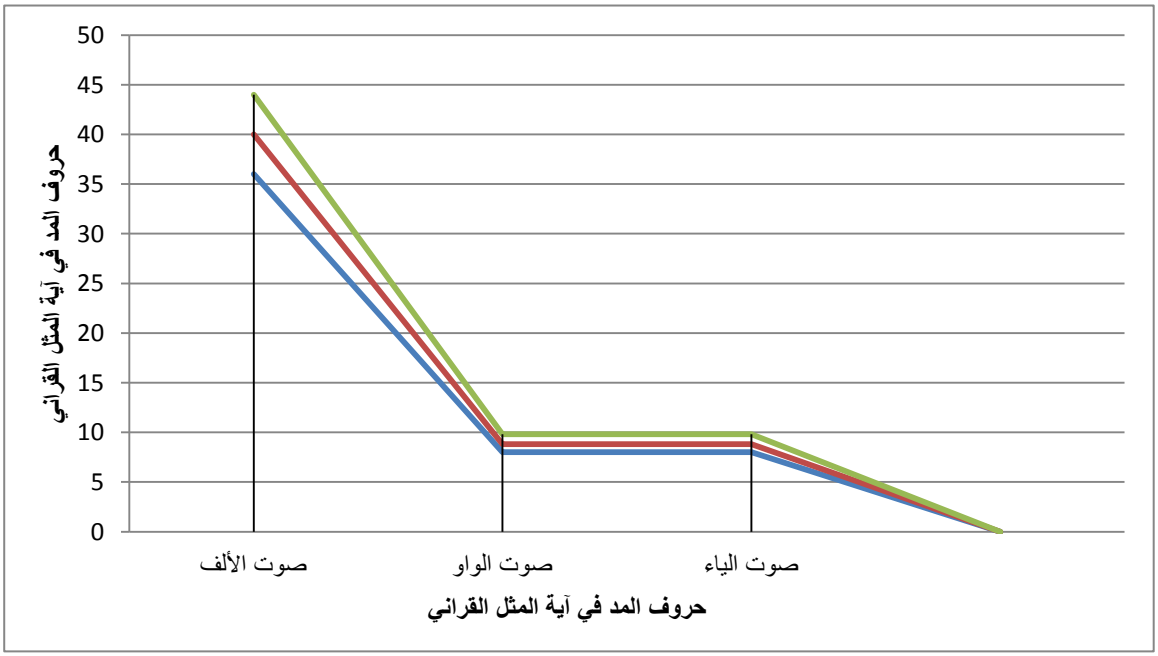

ومن أثر التنغيم الصوتي في آية المثل القرآني، تواتر أصوات المد الثلاثة في المثل، فمن اللافت للانتباه مجيء أصوات المد التي وجدت لها بيئة خصبة في آية المثل القرآني واستطاعت أن تكون عنصراً من عناصر التشكل الصوتي، وكان لتلك المدود أثر واضح في إيضاح المعنى المراد وساهمت في توصيل ذلك المعنى بكل سلاسة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ﴾. وقد اجتمعت في آية المثل القرآني عدة أصوات فيها المد (إِنَّمَا،ٱلۡحَيَوٰةِ ،وَٱزَّيَّنَتۡ، يَتَفَكَّرُونَ لَيۡلًا ، ٱلسَّمَآءِ، فَجَعَلۡنَٰهَا، عَلَيۡهَآ ، وَٱلۡأَنۡعَٰمُ) (٥٢) صوتاً من أصوات المد الواو والألف والياء، وجاء السياق في آية المثل القرآني، وفي الكناية عن البقاء والفناء، وجاءت المدود متناسقة مع معنى الآية ففي لفظة (**الحياة، والدنيا، زخرفها**) مد طبيعي وكأن الحياة والبقاء والتمسك في هذه الحياة الفانية وزينتها وأموالها من طبيعة البشر، ولذا كانت الحاجة إلى مد الصوت وإطالته لما يقتضيه المعنى والمقام، فيتناسب بذلك الصوت مع المعنى والسياق، وهي كذلك إشارة لطبيعة النفس الإنسانية، وجاءت لفظة (الدنيا) بحكم الإظهار المطلق الذي جاء على(ٱلدُّنۡيَا) فقد أظهرت النون الساكنة قبل حرف المد (الياء) معززاً قيمة المد الذي أعطى الإظهار والصفة الحقيقة لتلك الدنيا، وأنها ظاهرة ومعروفة للفئة المؤمنة، بينما جاء في لفظة(السماء، كماء) مد واجب وكأن صوت المد هنا جاء لبيان حقيقة الدار الآخرة وأن الإيمان بأنها باقية خالدة أمر واجب حتمي على الإنسان. ويظهر أثر المد وعلاقته بالزمن كما في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فصوت الواو في لفظة(يتفكرون) مد عارض للسكون، لسكون الواو عند الوقف عليه، وهذا الصوت أعطى ملمحاً صوتياً يدل على الزمن الطويل والحياة الباقية التي ينبغي على النفس البشرية أن تطيل التفكر والتأمل فيها، هذا بالإضافة إلى الشعور النفسي بطبيعة التفكر وما فيه من تمكن وهدوء بعد الوقف عليه.

ويتكرر المد الصوتي كما في قوله تعالى:﴿عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا﴾، فقد أضاف ملمح المد الصوتي في(عليها- أمرنا- ليلا- أتاها) حيث تتابعت حروف المد ست مرات، مما أعطى آية المثل القرآني إحساساً بتأكيد المعنى المراد، ووصوله لذهن المتلقي، بمصير تلك الدنيا وحال أهلها الذين

ظنوا أن الله لا يقدر على تغير حالهم. إضافة إلى ملمح التأكيد الذي تشع به الأصوات في آية المثل القرآني.

وتأتي أصوات المد في آية المثل القرآني داعمة للتصوير الكنائي الفني حيث تظهر عمقاً لا ينكر معها ذلك الأثر، ويلمس المتلقي ذلك في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ﴾، اشتملت الآية على سبعة أصوات فيها سمة المد، ومن المعلوم أن المدة الزمنية التي استغرقتها الحضارات السابقة وقامت الأمم ببنائها - كقوم عاد وثمود وأصحاب الحجر- قد وصلت إلى مئات السنين، وهذا المكث اقتضى إطالة أثر الفعل(أخذ)، ليتبع بعد ذلك بخمسة أصوات مدية، فيشكل ذلك انسجاماً بين الصوت مع المعنى والهيئة التي كان عليها حال الأمم السابقة مع تلك الدنيا الفانية.

فدلالة المد تتجلى صوتيا في آية المثل القرآني، في استمرارية ظاهرة وتتابعها؛ لتوافق المعنى المراد من المثل وتسهم في التصوير الكنائي، وتلفت الأذهان بما تمنح من وقت زمني للتأمل والتفكير مع تكّون المعنى وتحرك الصورة.

ومما سبق يُلحظ أنَّ الكناية في آيات الأمثال الصريحة جاءت للإيجاز، ولتحسين المكنى عنه، أو لتقبيحه، ولتصوير المعاني المعقولة في صورة محسوسة، بالإضافة إلى أنَّها وسيلة إقناع؛ لأنها تأتي بالحقيقة مصحوبة بالدليل.

الفصل الخامس: الاستعارة في آيات الأمثال القرآنية:

مدخل:

تعد الاستعارة من فنون البلاغة التي ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالبلاغة القرآنية وشكّلت عنصراً أساسياً في خصائصها التعبيرية والتصويرية التي تفردت بها نصوص الأمثال القرآنية على نحو معجز. وسيقف هذا المبحث بدايةً على المقصود بالاستعارة لغةً واصطلاحاً، وسر بلاغة الاستعارة، ثم تتبع وإحصاء لمواضع الاستعارة في آيات الأمثال القرآنية الصريحة، مع بيان أهم ما امتازت به بعض هذه المواضع من سمات، ثم يُتبع ذلك بتحليل لصورٍ منها.

الاستعارة لغة :

الاستعارة لغة: رفع الشيء، وتحويله من مكان إلى آخر، ومن ذلك قولهم: استعار فلان سهماً من كنانته، أي رفعه وحوّله منها إلى يده، فهي مأخوذة من العارية، وهي نقل الشيء من شخص إلى آخر، وهي مصدر الفعل استعار، وانطلاقاً من القاعدة الصرفية القائلة(كل تغيير في المبنى تغيير في المعنى) نقول: إن زيادة السين والتاء على الأصل(عار) تفيد الطلب؛ أي طلب العارة [1] **" والعارة ما تداولوه بينهم، وقد أعاره الشيء وأعاره منه وعاوره إياه، والمعاورة والتعاور: شبه المداولة والتداول في الشيء يكون بين اثنين**[2]"و **" المستعار: المتداول**[3]".

لُوحظ أثناء البحث عن المعنى اللغوي لكلمة الاستعارة أنها ترد في معاجم: المحيط في اللغة، وأساس البلاغة، ولسان العرب، ومحيط المحيط مأخوذة من الأصل اللغوي(عور)، بينما ترد في معجم العين تحت مادة عير، وترد في التهذيب من الأصل عار.

وهذا التناوب الذي يجده المتأمل لكلمة الاستعارة لم يؤد إلى اختلاف في المعنى فالمعاني اللغوية لهذا الأصل في المعاجم التي قام الباحث بالتنقيب فيها عن الكلمة تصب في قالب واحد، فهي: التداول، والمناولة، والأخذ والعطاء، والطلب، وبهذا فإن الاستعارة تعني: طلب العطية من أصلها وأخذها إلى موضع يلائمها فتسد فيه حاجة، وتلبي له رغبة، وتمنع منه ذوقاً، وفي ذلك أخذ من المستعير، وعطاء

---

[1]- عتيق، عبد العزيز(١٩٨٥م)**علم البيان،ط١**،ص١٦٧،دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،لبنان.
[2]- ابن منظور، **لسان العرب**،ج٤،ص٦١٨،مادة (عور).
[3]- ابن عباد، الصاحب إسماعيل(١٩٩٤م) **المحيط في اللغة**، تحقيق: محمد حسن، ط١،ج٢، مادة (عور)،عالم الكتب، بيروت.

من المعير، ومناولة بينهما وتداول للعطية. والبشرية لا تستغني عن الاستعارة مهما كان نوع المعار من منافع وأقوال، يأخذ ما يحتاج ويعطي مما عنده من يحتاج.

الاستعارة اصطلاحاً :

حظيت الاستعارة باهتمام البلاغيين فيها منذ نشأتها وحتى عصرنا الحديث، كونها من أبرز فنون البلاغة العربية، فضلاً عن تعدّد تعريفاتها وإظهارحسنها، وبيان بلاغتها، وتعدّ" **الاستعارة من أوائل فنون التعبير الجميلة في اللغة العربية**[١]" وأخذ الدارسون يوضحون الهدف منها، ويبيّنون علاقتها بغيرها من الصور البلاغية الأخرى، وكل منهم تناولها بمنظوره الخاص، وإن كانت الصورة في مضمونها واحدة لدى الجميع فهي بمنظور الرماني" **تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإنابة**[٢]".ويرى أن كل استعارة بليغة هي:" **جمع بين شيئين بمعنى مشترك بينهما يكسب أحده بالآخر كالتشبيه، إلا أنه ينقل الكلمة والتشبيه بطُرِقة جديدة – بالقياس إلى مرحلته- إذ يلحظ أثر التعبير الاستعاري وقيمته الشعورية وما يتركه في النفس من تأثير على نحو عملي من خلال تحليله لصور استعارية قرآنية كثيرة**[٣]"، وتعد دراسة الرماني خطوة في الدراسة الفنية للصورة القرآنية.

أما أبو هلال العسكري فقد كانت له رؤيته للاستعارة إن" **الاستعارة نقل العبارة من موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض، وذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه أو تأكيده والمبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ أو تحسين المعرض الذي يبرز فيه**[٤]".

أما القاضي الجرجاني فيعرفها قائلاً:" **إنما الاستعارة ما اكتفي فيها بالاسم المستعار عن الأصل ونقلت العبارة وجعلت في مكان غيرها وملاكها تقريب الشبه، ...**[٥]".

أما عبد القاهرالجرجاني فيعرفها:" **أن تريد تشبيه الشيء بالشيء، فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره، وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه**[١]".

---

[١]- مطلوب، **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**،ج١،ص١٣٦.
[٢]- الرماني، **النكت في إعجاز القرآن** ،ص٨٥.
[٣]- المصدر السابق،ص٨٧.
[٤]- العسكري، **الصناعتين: الكتابة والشعر**، ص٢٦٨.
[٥]- الجرجاني، القاضي علي، **الوساطة بين المتنبي وخصومه**،ص٤١.

ويذهب الخطيب الرازي إلى:" **أنها ذكر الشيء باسم غيره وإثبات ما لغيره له لأجل المبالغة في التشبيه..، ولك أيضاً أن تقول: الاستعارة عبارة عن جعل الشيء بالشيء، أو جعل الشيء للشيء لأجل المبالغة في التشبيه**[٢]".

ويرى ابن أبي الإصبع أنها :" **تسمية المرجوح الخفي باسم الراجح الجلي للمبالغة في التشبيه كقول الله تعالى(واخفض لهما جناح الذل من الرحمة)** [٣]".

الاستعارة في آيات الأمثال القرآنية:

النموذج الأول:

قولـــه تعـــالى:﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٤].

مناسبة آية المثل القرآني:

بتأمل الآيات السابقة لهذا المثل القرآني، يجد المتلقي أنها آيات تدور حول فكرة واحدة وهي توحيد الله- عز وجل- و إرسال الرسل وتكذيب أقوامهم لهم ثم بيان عاقبة ذلك التكذيب ونهايته المسيئة، وتتطرق بعد ذلك للحديث عن آيات الله وتصريفه لخلقه وملكوته وقدرته المتجلية في جميع مخلوقاته، ثم الحديث المفصّل عن الأقوام المكذّبة لرسلها وعاقبة كل منهم.

ويسرد - سبحانه وتعالى- بعد ذلك حديثه عن أولئك الذين يتّبعون محمداً- صلى الله عليه وسلم- والنور الذي جاء به ليظهر الحق وينصر المظلوم ويساعد الإنسانية ويدعو البشرية إلى إتباع رسالته التي جاء بها من عند الله - عز وجل-.

ثم يعود سياق الآيات للحديث عن قوم موسى –عليه السلام- وأن منهم من آمن ومنهم من ضلّ عن السبيل ثم بين عاقبة المكذبين الضالين منهم.

---

[١]- الجرجاني، عبد القاهر، **دلائل الإعجاز في علم المعاني** ،ص٦٧ .
[٢]- ابن الأثير، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ص٣٥١ .
[٣]- ابن أبي الإصبع، **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن**، ص٩٧-٩٨ .
[٤]- سورة (الأعراف :١٧٥- ١٧٦).

وبعد أن تحدث سياق الآيات الكريمة عن طبيعة هذا الميثاق الأول بين البشرية وخالقهم كان من الانسجام التركيبي والتنغيم الموسيقي أن تأتي آية المثل القرآني بجماليتها وتعبيرها الراقي لتحكي قصة من أوتي العلم والمعرفة بآيات الله، فتركها واتجه نحو حطام الدنيا ورذائلها، واغتر بزينتها وزخرفها، ولو شاء الله لانتفع بها ورفعه الله إلى أعلى مراتب الشرف والكرامة، ولكنه دائم الإقبال على الدنيا والجري وراء حطامها وما فيها من مغريات فانية، ومن جماليات النص القرآني أنه لم يكتفِ بهذا فحسب؛ لأن السامع قد لا يكتفي بهذا المعنى العقلي المجرد ولا يحرك حسه ومشاعره ، فكان دور المثل هنا دوراً جميلاً مناسباً لسياق الآيات، ولذلك يشعر السامع أن المثل القرآني هنا نقل لنا ذلك المعنى المجرد في صورة محسوسة مشاهدة، ولم يقتصر الأمر على مجرد رؤيتها بل تعدى الإحساس بها إلى مشاعر السامع واشمئزازه منها.

تلك هي مناسبة آية المثل القرآني لما سبقه من آيات، ولو تأملنا الآيات التي جاءت بعد سر آية المثل القرآني نجدها تتحدث عن هداية الله لمن يريد من البشر وإضلاله لبعضهم، وبينت أن هؤلاء الضّالين لا يستفيدون بما أوتوا من نعمة السمع والبصر والفؤاد؛ فهم كالأنعام بل هم أضل، ثم تتوالى الآيات بعد ذلك في تأكيد قضية الإيمان بالله وحده لا شريك له وترك ما دونه لأنه هو الخالق وغيره مخلوق، فلا يستطيعون نفعاً ولا ضراً ولا نصرا لأنفسهم ولا هم ينصرون.

ذلك هو الارتباط الواضح بين آية المثل وبين ما لحقه من آيات في السياق، إذ كل الآيات السابقة له واللاحقة به تدور حول موضوع أساسي، هو ضرورة التمسك بآيات الله وبعلمه وعدم الانصراف عنها أو التهاون في العمل بموجبها.

الاستعارة في آية المثل القرآني:

عندما يتأمل المتلقي آية المثل القرآني الاستعاري يرى كيف استطاعت أن تصوّر ببلاغتها وتراكيبها ودلالاتها، حقيقة الدنيا وزوالها **" ولا شك أن الإيمان بالله وآياته نعمة لا تعادلها أي نعمة أخرى، ولم لا ؟ وبها يكسب الإنسان رفعته وشرفه في دنياه وآخرته.. لذا كان موجّها إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم - ليتلو على قومه خير من أوتي العلم بآيات الله وأحكامه مع قدرته على العمل بها وإتباعها فلم يعمل بما أوتي من العلم والحكمة، بل تجرّد منهما وساقه هواه إلى سفاسف الدنيا وحطامها فكانت نهايته ملاحقة الشيطان له حتى أصبح من الضّالين.. وكان الأولى أن ينتفع بما أوتي من العلم ليعمل به، ولكنّه آثر ما آثره من شهوات النفس والهوى فلقي شرّ**

الجزاء[1]". إنه في حرصه على هذه الدنيا وتكالبه عليها كالكلب اللاهث في جميع أحواله إن زجرته أو تركته لأنه إذا حملت عليه نبح وولّى ذاهباً، وإن تركته شدّ عليك ونبح وإذا أتعب نفسه في النباح لهث مقبلاً عليك أو مدبراً عنك إذ يعتريه ما يعتريه من التعب والعطش، ويلاحظ المتأمل أن جو الحركة داخل آية المثل وصيغتها ودلالة أصواتها وإيقاعها الخارجي والداخلي، والتي تكشف عن علاقاتها الصوتية القوية المترابطة بظاهرة الانسجام بين صوت الآية ومعنى المثل ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ ﴾،لا شك أن في آية المثل القرآني هنا عبرة أكيده، وموعظة جليلة أوردها لنا السياق عن طريق رسم لوحة جمالية لصورة من ساقه هواه إلى سفاسف الدنيا وحطامها، فقد صورت لنا آية المثل الإنسان الذي أوتي العلم بآيات الله ولم يعمل بما أوتي من العلم والحكمة، كالكلب اللاهث في جميع أحواله.

والناظر في أساليب الأمثال القرآنية يجد التركيب فيها منسجما مع تلك الذبذبات الصوتية التي تجعل المتلقي يسعى لإثبات ذلك الإعجاز الإلهي في نظم القرآن الكريم، من خلال الأثر التنغيمي والإيقاع الصوتي في آيات الأمثال القرآنية الاستعارية ، فبلغ عدد الأصوات المجهورة في آية المثل القرآني الاستعاري، (٨٠) صوتاً، أما الأصوات المهموسة فبلغ عدد تواترها في آية المثل القرآني(٢٧) صوتاً، وكان للتنغيم الصوتي الأثر الواضح في حروفها وتراكيبها، فالحروف التي تشكل منها المثل القرآني تكشف دلالتها الصوتية من حيث تكرار هذا الصوت المهموس، أما الأصوات الانفجارية فقد بلغ عدد أصواتها (٤٣) صوتاً، واستطاعت أن تشكل التوافق السياقي بين الصوت من جانب، وبين المعنى المراد في آية المثل القرآني من جانب آخر، وكان لحضور الأصوات الاحتكاكية في آية المثل القرآني، دور بارز في الانسجام التنغيمي والجرس الإيقاعي في مفردات آية المثل القرآني، والتي بلغ عددها(٥٠) صوتاً، مما يمثل لونا جماليا فيه كل صنوف التعبير وطريقة الأداء، ويتضح ذلك من خلال الجدول المرفق.

[1]- الخازن، علي بن محمد،(٢٠٠٤م) **لباب التأويل في معاني التنزيل**، تحقيق: عبد السلام شاهين،ط١،ج٢،ص٣١١-٣١٥، دار الكتب العلمية، بيروت.

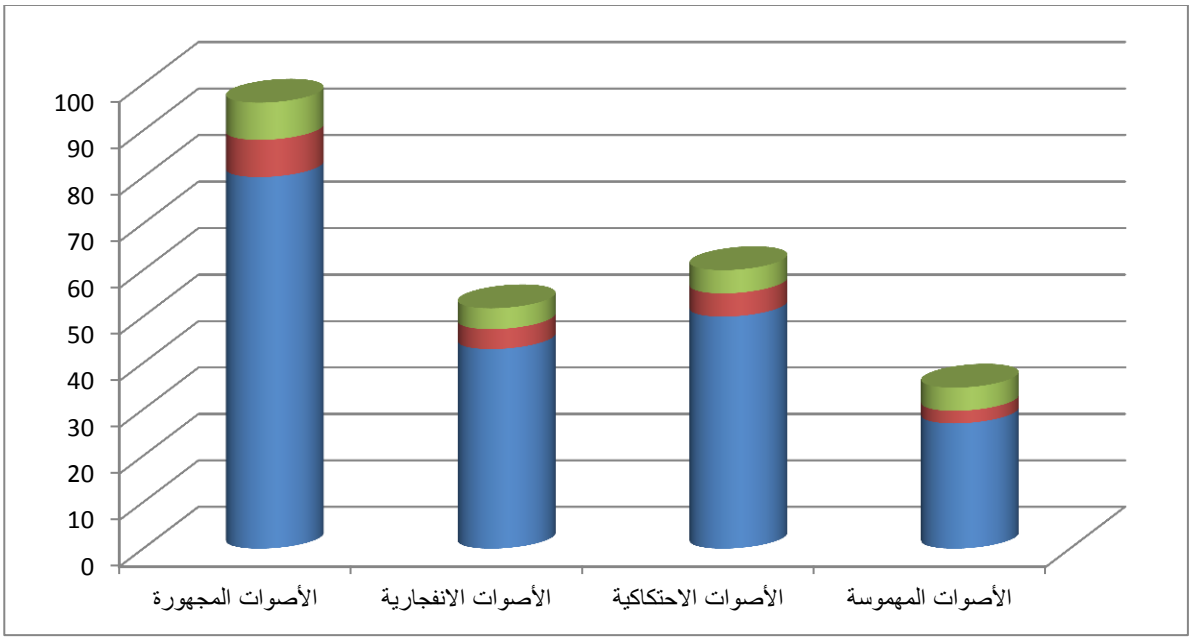

جدول توضيحي لنسبة الأصوات داخل آية المثل القرآني السابق

لقد رسمت آية المثل القرآني الاستعاري، بحروفها المجهورة ﴿نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا ﴾لوحة تحمل بين طياتها المقاصد الشاملة لإصلاح المجتمع البشري وتكامله، ويوضحها كاملة من جميع نواحيها من دون تكلّف وتقعّر﴿فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴾ وقد راعت آية المثل هنا، التوازن والانسجام بين الأصوات المجهورة عند توزيع الحروف في المفردات القرآنية التي اختارتها " **في ترك الاستثقال وتجنب جمع الأصوات متقاربة المخارج**[1]".والجدول يوضح ذلك.

[1]- رمضان، **وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن**، ص٣٨.

الأصوات المجهورة التي وردت في آية المثل القرآني		
الصوت	المفردة القرآنية	عدد ورودها
الباء	نَبَأَ، فَأَتۡبَعَهُۥ، بِهَا ، وَٱتَّبَعَ، ٱلۡكَلۡبِ ، كَذَّبُواْ، بِـَٔايَٰتِنَا	**٧ مرات**
الدال	أَخۡلَدَ	**مرة واحدة**
الذال	ٱلَّذِيٓ، ذَّلِكَ، ٱلَّذِينَ، كَذَّبُواْ	**٦ مرات**
الراء	لَرَفَعۡنَٰهُ، ٱلۡأَرۡضِ ، تَتۡرُكۡهُ ، يَتَفَكَّرُونَ	**٤ مرات**
الضاد	ٱلۡأَرۡضِ	**مرة واحدة**
العين	عَلَيۡهِمۡ، فَأَتۡبَعَهُۥ،لَرَفَعۡنَٰهُ،وَٱتَّبَعَ،عَلَيۡهِ،لَعَلَّهُمۡ	**٦ مرات**
الغين	ٱلۡغَٰوِينَ	**مرة واحدة**
اللام	وَٱتۡلُ،عَلَيۡهِمۡ،ٱلَّذِيٓ،فَٱنسَلَخَ،ٱلشَّيۡطَٰنُ،ٱلۡغَٰوِينَ ،وَلَوۡ،لَرَفَعۡنَٰهُ، أَخۡلَدَ، وَلَٰكِنَّهُۥٓ ،إِلَى،ٱلۡأَرۡضِ، فَمَثَلُهُۥ،كَمَثَلِ،ٱلۡكَلۡبِ ،تَحۡمِلۡ،عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ ،يَلۡهَث ، ذَّلِكَ ، مَثَلُ،ٱلۡقَوۡمِ،ٱلَّذِينَ،ٱلۡقَصَصَ، لَعَلَّهُمۡ	**٢٩ مرة**
الميم	عَلَيۡهِمۡ،لَعَلَّهُمۡ،ٱلۡقَوۡمِ،مَثَلُ،تَحۡمِلۡ،كَمَثَلِ ،فَمَثَلُهُۥ،مِنَ، مِنۡهَا.	**٩ مرات**
النون	نَبَأَ،يَتَفَكَّرُونَ ،بِـَٔايَٰتِنَا،ٱلَّذِينَ،وَلَٰكِنَّهُۥٓ ،شِئۡنَا،لَرَفَعۡنَٰهُ، مِنۡهَا، ٱلشَّيۡطَٰنُ، فَكَانَ،مِنَ،ٱلۡغَٰوِينَ ، نَبَأَ،ءَاتَيۡنَٰهُ ،ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ.	**١٧ مرة**
المجموع		**٨٠ مرة**

عندما نتأمل آية المثل نجد أنها اشتملت على تشبيه تمثيلي بالإضافة إلى الاستعارة كما في قوله:

﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ...﴾[1] إذ شبه من أوتي شيئاً من العلم والإيمان ثم لم ينتفع به واتّبع هواه وساقه الشيطان إلى مهاوي الردى مشغول بالدنيا ومهموم بحالها من" صغائر الأمور وخسائس الشهوات، بحال الكلب اللاهث في جميع أحواله سواء كان قائماً أو

[1]- سورة (الأعراف :١٧٥- ١٧٦).

قاعداً مقبلاً أو مدبراً، دعوته أو زجرته، فهذه طبيعة فيه تماماً كالمتكالب على الدنيا أصبح انشغاله بها طبيعة في شخص صاحبها[1]".

واشتملت الآية الكريمة على استعارة كما في قوله:﴿ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾ إذ استعير لفظ الانسلاخ وهو لا يكون إلا للشاة أو الحيوان عموماً إذا أُبعد عنه جلده، استعير هذا اللفظ لمن يبتعد عن آيات الله وعلمه بعد أن أوتيه.

وتجري الاستعارة كالآتي:

شُبه الإنسان الذي ابتعد عن علمه ولم يعمل به بالشاة التي سُلخ جلدُها ثم حذف المشبه وكني عنه بشيء من لوازمه وهو السلخ، ثم بولغ في التشبيه وادّعى دخول المشبه في جنس المشبه به وأنه فردٌ من أفراده، ثم استعير لفظ (انسلخ) للمبتعد عن آيات الله على سبيل الاستعارة .

هذا من حيث التصوير والمشاهد التي اشتملت عليها الآية الكريمة.... ولكن لا بدّ من عودة مرة أخرى إلى سياق المثل القرآني من بدايته لدراسة أصواته المجهورة وألفاظه وعباراته وللوقوف على جمال التعبير والبلاغة في نظمه.

﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾ إن أول ما يبدو للمتأمل من خلال سياقه سلاسة ألفاظه وملاءمة حروفه بعضها لبعض، فكلّ الألفاظ وكل الحروف فيها من التناسب والسلاسة ما يكفيان ليحكم المتلقي بجمال العبارة وبلاغتها" **للقرآن الكريم مسحة خلابة عجيبة، تتجلى في نظامه الصوتي، وجماله اللغوي.، ونريد بنظام القرآن الصوتي: اتساق القرآن وائتلافه في حركاته وسكناته، ومدّاته وغنّائه، واتصالاته وسكناته، اتساقاً عجيباً، وائتلافاً رائعاً، يسترعي الأسماع ويستهوي النفوس بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أي كلام آخر منظوم أو منثور**[2]". ولم تكتفِ آيات المثل القرآني بهذا الحد من الجمال والتنغيم الصوتي، بل هناك سر كامن في مضمون الألفاظ إلى جانب ما ذكرناه من سلاستها وسهولة النطق بها مجتمعه، وعلينا لنعرف ذلك أن نتناول هذه الألفاظ لفظة لفظة لنرى أثر ذلك من خلال أصواتها.

---

[1]- حسين، **القرآن والصورة البيانية**، ص٥٤-٥٥،(بتصرف).

[2]- الصابوني، محمد علي(١٩٨٥م)**التبيان في علوم القرآن**،ط١،ص١٠٩،عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ ﴾ فالتلاوة كما ذكر الراغب:" **تختص باتباع كتب الله المنزّلة تارة بالقراءة وتارة بالارتسام لما فيها من أمر وترغيب وترهيب أو ما يُتوهم فيه ذلك وهي أخصّ من القراءة فكلّ تلاوة قراءة وليس كل قراءة تلاوة،** [1]".

وبما أن التلاوة تحمل معنى ما يُقرأ أو يجب أن يتّبع من القرآن فقد ناسبت اللفظة هنا بمعناها ومبناها المكان الذي جاءت فيه،" **لأن الضمير في قوله (عليهم) موجّه للنّاس المخاطبين بالدعوة وأولهم كفار مكة، وقيل لليهود كونها تتكلم عن قصة موسى -عليه السلام –** [2]".

وقد أضفى لنا أثر صوت (الباء) المجهور بجرسه الإيقاعي، وتنغيمه الجميل، في آية المثل إيحاء وشحنات عاطفية تتوافق ومعاني آية المثل كما في قوله تعالى:﴿ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾ فقد رسم لنا في لفظة(نبأ) لوحة جمالية زادت المثل وضوحاً فالنبأ: يختلف عن الخبر ولا يكون إلا للإخبار بما لا يعلمه المُخبر ويجوز أن يكون الخبر بما يعلمه وبما لا يعلمه ولهذا نقول تخبرني عن نفسي ولا يقول تنبئني عن نفسي، وقيل في النبأ معنى عظيم الشأن وكذلك أخذ منه صفة النبي - صلى الله عليه وسلم- ولهذا يقال لفلان نبأ ولا يقال خبر لهذا المعنى[3].

والمتأمل في آيات الأمثال القرآنية، يجد أن لها إيحاءات خاصة ودلالات صائبة خلّدها النص القرآني ولكن" **لا يفهمها كل من نظر في القرآن أو قرأ فيه؛ لأن الجميع لا يملكون المؤهلات لإدراكها، والمفاتيح للتعامل معها**[4]". ولذا جاءت لفظة (نبأ) مناسبة أيضا لموقعها الذي جاءت فيه لما فيها من معنى على النحو المذكور فضلاً عن مناسبة حروفها للحروف الّتي وردت في ألفاظ العبارة كلّها .

لقد جاء الخطاب الإلهي في آية المثل القرآني، موحياً بالتنبيه لمن أوتي شيئاً من العلم ثم انسلخ عنه، فدلالة صوت الهمزة الانفجاري في آية المثل القرآني، تتجلى صوتياً في استمرارية التنبيه

---

[1]- الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**،(تلا).

٢- رضا، محمد رشيد(١٩٩٠م)**تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)ط١**،ج٩، ص٤٠٥،الهيئة المصرية العامة، القاهرة.

[3]- العسكري، أبو هلال(١٩٩٧م) **الفروق اللغوية**، تحقيق: محمد إبراهيم،ط١،ص٢٩. (بتصرف)،دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.

[4]- الخالدي، عبد الفتاح صلاح (١٩٩٤م) **مفاتيح للتعامل مع القرآن،ط٢،ص**٩٦، دار القلم، دمشق.

والعذاب الذي لحق بهم، فقد ساهم بتنغيمه الصوتي وإيقاع جرسه في إيقاظ المتلقي، ولفت الأذهان بما تمنح من وقت زمني للتأمل والتفكير بذلك المصير.

ومن المشاهد التي صورتها آية المثل للمتلقي، تصوير المحس الملموس وهي صورة حركية تعمق معنى الاستعارة وتتناغم معها قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ﴾ ففي الغالب أن لفظ (الذي) لفظ مفرد أريد به الجمع وكأن الآية تقول إن كل من انسلخ عن الحق بعد أن أُعطِيَه سواء يهودي أو نصراني أو مسلم في دينه ضعف فقد روي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قوله: هم قريش أتتهم أوامر الله ونواهيه والمعجزات فانسلخوا من الآيات ولم يقبلوها[1].

الأصوات الانفجارية التي وردت في آية المثل القرآني		
الصوت	**المفردة القرآنية**	**عدد ورودها**
الهمزة	نَبَأَ، ءَاتَيۡنَٰهُ، ءَايَٰتِنَا، فَأَتۡبَعَهُ، شِئۡنَا، أَخۡلَدَ، إِلَى، ٱلۡأَرۡضِ، إِن، أَوۡ، بِـَٔايَٰتِنَا.	١٠ مرات
الباء	نَبَأَ، فَأَتۡبَعَهُ، بِهَا ، وَٱتۡبَعَ، ٱلۡكَلۡبِ ، كَذَّبُواْ، بِـَٔايَٰتِنَا	٧ مرات
التاء	وَٱتۡلُ، ءَاتَيۡنَٰهُ، ءَايَٰتِنَا، فَأَتۡبَعَهُ، وَٱتَّبَعَ، تَحۡمِلۡ، تَتۡرُكۡهُ، بِـَٔايَٰتِنَا، يَتَفَكَّرُونَ.	١١ مرة
الدال	أَخۡلَدَ	مرة واحدة
الضاد	ٱلۡأَرۡضِ	مرة واحدة
الطاء	ٱلشَّيۡطَٰنُ	مرة واحدة
القاف	ٱلۡقَوۡمِ، فَٱقۡصُصِ ، ٱلۡقَصَصَ	٣ مرات
الكاف	يَتَفَكَّرُونَ، كَذَّبُواْ، ذَّٰلِكَ ، تَتۡرُكۡهُ، ٱلۡكَلۡبِ، كَمَثَلِ، وَلَٰكِنَّهُۥ فَكَانَ	٩ مرات
المجموع		٤٣ مرة

[1]- أبو حيان، **تفسير البحر المحيط**،ج٤، ص٤٢٢ .

وجاء أثر صوت (التاء) في تشكيل البنية التركيبية لآية المثل القرآني كما في لفظة (ءَاتَيۡنَٰهُ)

والتي تحمل بين صوامتها وصوائتها صنوف البلاغة إذ إن آتاه الشيء تعني ساقه إليه[1] ومع أن الآيات سيقت إلى هذا الكافر في سهولة ويُسر دون أن يبذل أي مجهود في الحصول عليها. يشعر المتأمل لألفاظ المثل القرآني أن فيه كنوزاً من الأسرار" **يشعر به كل من يواجه نصوصه ابتداء، قبل أن يبحث عن مواضع الإعجاز فيها. إنه يشعر بسلطان خاص في عبارات هذا القرآن، يشعر أن هنالك شيئاً ما وراء المعاني التي يدركها العقل من التعبير**[2]".

ومع أن الآيات سيقت إليه سوقاً إلا أنه انسلخ عنها وتركها وقد قال الراغب في ذلك:" **وكل موضع ذكر في وصف الكتاب(آتينا) فهو أبلغ من كل موضع ذكر فيه (أتوا) لأن أتوا قد يقال إذا أولي من لم يكن فيه قبول، وآتيناهم فيمن كان فيه قبول**[3]".

وإذا كانت جملة (ءَاتَيۡنَٰهُ) تعني سُقنا إليه في يُسر وسهولة دون أن يبذل ذلك المتلقي أي مجهود

وإذا كانت تعني القبول لما سيق إليه، " **فتصبح جملة (آتيناه) هنا أبلغ من غيرها لسبب آخر أيضاً وهو كونها تعني إقامة الحجة على هذا المنسلخ عن آيات الله؛ لأن الآيات قد سيقت إليه سوقاً وقبلها بنفس راضية ثمّ انسلخ منها بمحض إرادته**[4]".

ويلمس المتلقي في إسناد جملة (ءَايَٰتِنَا) لذاته العلية - سبحانه- لأن المتحدث عنه موضع إحسان وكرم وليس هناك متفضّل عليه بهما سواه -عز وجل- ونظيره قوله تعالى:(فأراد ربك أن يبلغا أشدهما) بينما جاء الضمير في قوله: (فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا) مسنداً إلى الشخص ذاته لأن موضع الحديث موضع إساءة ونظيره قوله تعالى:(فأردت أن أعيبها) .

---

[1]- ابن منظور، **لسان العرب**،مادة(أتى) .
[2]- قطب، **في ظلال القرآن**،ج٦،ص٣٣٦٦.
[3]- الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، مادة (أتى) .
[4]- الرازي، **مفاتيح الغيب(التفسير الكبير)**،ج١٥،ص١٥٥(بتصرف) .

وفي جملة (فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا) إيحاء بمعناها فضلاً عن جرسها الذي قام بتجسيد الحالة النفسية وتصوير حركتها العاتية المضطربة التي تكبدها الإنسان الذي عناه القرآن[1]، وهي صورة توحي بمشهد النزع الشديد الذي يحدث أثناء إبعاد جلد الحيوان عن لحمه وهذا بدوره يشبه تماماً الشعور الذي ينتاب المبتعد عن آيات الله في تلك اللحظة الحرجة.

وجاءت صورة الاستعارة هنا توجز للمتلقي هذا المعنى وتكثفه بما توحي به من معاني العنف والمشقة والجهد التي تكبدها وعاناها هذا الإنسان بانسلاخه من حالة الإيمان والهداية إلى حالة الكفر والضلال، لأن الانسلاخ منها يدل على الالتحام أكثر من خرج منها، فتوحي الاستعارة بأن آيات الله وعلمه الذي علمه هذا الإنسان قد خالط دمه ولحمه، وكأن العلم قد تلبسه، لذلك فالخروج منه ليس سهلاً هيناً، والتعبير الحقيقي(خرج منها) لا يؤدي الصورة الحقيقية والنفسية التي مر بها، فالانسلاخ هي الموحية بذلك، وهذا من جمال الاستعارة القرآنية في التعبير عن الحالة التي تصورها. ويأتي الإحساس بهذه الاستعارة (فَٱنسَلَخَ) ضمن سياق الآية الكريمة، وهذا التلوين في معاني الاستعارة الذي يوحي به السياق هو من غنى الاستعارة وبلاغتها في النص القرآني.

وقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى ذلك بقوله: **" ومن الفضيلة الجامعة فيها - يقصد الاستعارة- أنها تبرز البيان أبدأ في صورة مستجدة تزيد قدره نبلا، وتوجب له بعد الفضل فضلا، وأنك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت فيها فوائد حتى تراها مكررة في مواضع ولها في كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد، وشرف منفرد، وفضيلة مرموقة[2]"**.

ويلمس المتأمل استعمال آية المثل لفظة(فَٱنسَلَخَ) هنا ليدل على أن الآيات لم تكن متمكّنة في نفس الشخص وكيانه بل كانت شيئا ملتصقاً به من الخارج فنزعته عوارض الأيام ومحن الدهر[3] ثم جاء

---

[1]- اسمه(بلعم بن باعوراء) أوتي علم بعض كتب الله (فانسلخ منها)،انظر: الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل ووجوه التأويل** ،ج٢،ص١٧٨.

[2]- عبد القاهر الجرجاني، **أسرار البلاغة**،ص٤١.

[3]- رضا، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)** ج٩، ص٤٠٦،(بتصرف) .

قوله (فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ) والفاء هنا للتعقيب وفي هذا تلويح على أن المنسلخ عن آيات الله قد أصبح أشد من الشيطان غواية حتى أصبح الشيطان ملاحقاً له لا يتركه[1].

الأصوات الاحتكاكية التي وردت في آية المثل القرآني		
الصوت	**المفردة القرآنية**	**عدد ورودها**
الثاء	فَمَثَلُهُۥ، كَمَثَلِ ، يَلۡهَثۡ ،يَلۡهَث ، مَثَلُ	٥ مرات
الحاء	تَحۡمِلۡ	مرة واحدة
الخاء	فَٱنسَلَخَ، أَخۡلَدَ	مرتين
الذال	ٱلَّذِيٓ، ذَّلِكَ، ٱلَّذِينَ، كَذَّبُواْ	٦ مرات
السين	فَٱنسَلَخَ،	مرة واحدة
الشين	ٱلشَّيۡطَٰنُ ،شِئۡنَا	مرتين
الصاد	فَٱقۡصُصِ ،ٱلۡقَصَصَ	٤ مرات
العين	عَلَيۡهِمۡ، فَأَتۡبَعَهُ ، لَرَفَعۡنَٰهُ ، وَٱتَّبَعَ ، عَلَيۡهِ، لَعَلَّهُمۡ	٦ مرات
الغين	ٱلۡغَاوِينَ	مرة واحدة
الفاء	يَتَفَكَّرُونَ ، فَٱقۡصُصِ، لَرَفَعۡنَٰهُ، فَمَثَلُهُۥ، فَكَانَ، فَأَتۡبَعَهُ، فَٱنسَلَخَ،	٧ مرات
الهاء	عَلَيۡهِمۡ، لَعَلَّهُمۡ ،يَلۡهَث، تَتۡرُكۡهُ، يَلۡهَثۡ، عَلَيۡهِ، هَوَىٰهُۚ ،فَمَثَلُهُۥ، لَرَفَعۡنَٰهُ، بِهَا ،وَلَٰكِنَّهُۥٓ، فَأَتۡبَعَهُ، مِنۡهَا، ءَاتَيۡنَٰهُ	١٥ مرة
المجموع		٥٠ مرة

ويلاحظ المتأمل في آية المثل القرآني تراكم الإحساسات؛ فالصورة التي رسمتها الآية لمشهد غواية الشيطان للإنسان تابعاً للمنسلخ من آيات الله، والفاء في قوله:(فَكَانَ) أيضاً للتعقيب على تلك

[1]- أبو السعود،**إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**،ج٣، ص٢٩٢(بتصرف) .

الغواية، ثم جاء قوله: (مِنَ ٱلۡغَـٰوِينَ) والغي يعني الجهل عن سوء اعتقاد[1] وهذا دليل على أن المبتعد عن آيات الله قد أصيب بهذا الغيّ لسوء اعتقاده الذي كان نتيجة الانسلاخ عن آيات الله تعالى والبعد عن تعاليمه ثم جاء قوله تعالى: (وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ). فالجملة لاستئناف الكلام، وفي قوله (وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ) إيجاز حذف في المفرد إذ التقدير هنا ولو شئنا رفعه لرفعناه وذلك لأنه ليس في تعلق الفعل بمفعوله غرابة[2].

ومن جماليات التعبير القرآني في آية المثل إسناد الفعل(رفعنا) إلى ضمير الذّات العلية وذلك من الخير،" **وهذا القرآن الكريم في كل سورة منه وآية، وفي كل مقطع منه وفقرة، وفي كل مشهد منه وقصة، وفي كل مطلع منه وختام يمتاز بأسلوب إيقاعي، غني بالموسيقى؛ مملوء نغماً**"[3].أما قوله: (أَخۡلَدَ) فقد أُسند إلى ضمير الشخص المنصرف والمنسلخ عن آيات الله سبحانه وتعالى لأن ما أصابه من همٍ وغمٍ وسوء، نتيجة ما كسبت يداه وجاءت (الباء) في قوله: (لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا) سببه أي يسببها.

ولو تأملنا قوله: (وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ) والجمالية التي رسمتها الآية، وقد أضفت لذهن المتلقي والسامع الاستدراك الذي كان دليلاً على أن المبتعد عن الله وآياته هو الجاني على نفسه بما اختار من حطام الدنيا.وفي قوله:(أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ) صورة ذاك المخدوع بحطام الدنيا وقد ركن لها وظن أنه خالد فيها[4] وقيل اطمأن إليها[5]. ونلمس هنا أن الآية قد جاءت بتعبير الإخلاد إلى الأرض وليس الدنيا أو

---

[1]- الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، مادة (غوى) .

[2]- قد يُحذف المفعول به لأسباب منها أن يكون الغرض إفادة تعلّقه بمفعول ويجب حينئذٍ تقديره بحسب القرائن ويُحذف حينئذ لدواع منها ما جاء في الآية الكريمة وهذا الدّاعي البيان بعد الابهام،ليكون أوقع في النّفس كما في فعل المشيئة السابق إذا لم يكن في تعلّقه بمفعوله غرابة ومثال ذلك لو شئت جئت ولو شئت لم أجيء ،أي: لو شئت المجيء جئت ولو شئت عدم المجيء لم أجيء، للتوسع انظر: القزويني،التلخيص في علوم البلاغة، ص١٢٦،(بتصرف) .

[3]- الصالح، **مباحث في علوم القرآن** ،ص ٣٣٤.

[4]- الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**،مادة (خلد) .

[5]- أبو السعود،**إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**،ج٣،ص٢٩٣(بتصرف) .

شهواتها وزينتها وما ذاك إلا لأن الأرض موطن لذلك كلّه[1] وهذا ما يسمى بلاغياً بالمجاز[2] المرسل وعلاقته هنا المحلية[3] أما القرينة الدّالة على ذلك فهي قوله: (أَخۡلَدَ) إذ الخلود لا يكون للأرض وإنما للدنيا وحُطامها. وجاء قوله تعالى:(وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ) دليلاً على أن الإخلاد إلى الأرض اتباع أوامر الهوى ورغبات النفس الأمارة بالسوء.

الأصوات المهموسة التي وردت في آية المثل القرآني		
الصوت	**المفردة القرآنية**	**عدد ورودها**
التاء	وَٱتۡلُ، ءَاتَيۡنَٰهُ، ءَايَٰتِنَا، فَأَتۡبَعَهُ، وَٱتَّبَعَ، تَحۡمِلۡ، تَتۡرُكۡهُ، بِـَٔايَٰتِنَا، يَتَفَكَّرُونَ	**١١ مرة**
الثاء	فَمَثَلُهُۥ، كَمَثَلِ، يَلۡهَثۡ، يَلۡهَث، مَثَلُ	**٥ مرات**
الحاء	تَحۡمِلۡ	**مرة واحدة**
الخاء	فَٱنسَلَخَ، أَخۡلَدَ	**مرتين**
السين	فَٱنسَلَخَ	**مرة واحدة**
الشين	ٱلشَّيۡطَٰنُ، شِئۡنَا	**مرتين**
الصاد	فَٱقۡصُصِ، ٱلۡقَصَصَ	**٤ مرات**
الطاء	ٱلشَّيۡطَٰنُ	**مرة واحدة**
المجموع		**٢٧ مرة**

لقد صورت آية المثل القرآني لنا الحالة التي تنتهي بالإنسان عندما يتعلق بالدنيا وحطامها الفاني، ويترك الآخرة ونعيمها الدائم، ورسمت للمتلقي لوحة فنية متكاملة في دلالتها الفكرية، قد منحت الفكر

[1]- القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**،ج٣،ص٢٧٥٨ (بتصرف).
[2]- المجاز المرسل هو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسه ومناسبة غير المشابهة كاليد إذا استعملت في النعمة لما جرت به العادة من صدورها عن الجارحة وبواسطتها تصل إلى المقصود بها ويجب أن يكون في الكلام دلالة على رب تلك النعمة ونسبتها إليه فيقال كثرت أياديه عندي .
[3]- وللمجاز المرسل علاقات متعددة منها المحلية أي أن يكون الشيء يحل فيه غيره نحو حكمت المحكمة. والقرينة هنا حكمت، للتوسع انظر: القزويني، **التلخيص في علوم البلاغة**، ص٢٦٠،(بتصرف).

تصوراً عميقاً عن نموذج إنساني يتجسد أما العين، وهو يكابد حالة الانسلاخ من آيات الله، مختاراً الظلام على النور بعد أن ذاق نعمة الله التي أنعمها عليه، فيتحول بانسلاخه هذا إلى صورة يشخص فيها مثلاً للناس في غاية الذل والهوان.

وتمثل الصورة الاستعارية التي رسمتها ألفاظ المثل القرآني (انسلخ) بدلاً من (خرج) المحور الرئيس لصورة المثل فقد صورت للمتلقي المعنى المراد وتأكيده وبيان الإعجاز البياني الفكري في تلك الصورة، بتجسيد مشهد حي يصور حالة الانسلاخ تصويراً دقيقاً فيه عمق في الدلالة، ويشعر المتأمل كذلك بعمق في الإحساس، تعمل على بثها في فكر المتلقي، واستطاعت صورة الاستعارة في آية المثل أن تعبر بدقة عن حقيقة دينية تخفى على الفكر الإنساني أن يلمح إليها ويصورها بهذه الدقة من خلال نموذج يضربه المثل القرآني للبشرية عن إنسان آتاه الله نعمة المعرفة بآياته معرفة عميقة لابست لحمه ودمه وتغلغلت في أغوار نفسه، فهي مقيمة في كيانه، لكنه" **مال إلى الدنيا ورغب فيها**[1]"،آثر ذلك الإنسان (المنسلخ) الدنيا الزائلة على الآخرة الباقية وأخلد إلى الأرض، والاستعارة بيان معجز لحالة هذا الإنسان، إذ صورت لنا ما يعانيه هذا الإنسان ويكابده، فإنه قد عانى من الشدة ما عانى، فالاستعارة تصور الأذى المعنوي والمادي إذ تتكثف فيها فكرة الشدة والمجاهدة واحتمال الصعب من أجل الدنيا والإخلاد إليها.

يلمس المتأمل لآية المثل القرآني صورة التجاذب بين نوعين من الحياة، حياة متوازنة موصولة بحبل الله المتين، ممتدة بنور الله ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾ فآيات أينما كانت في الحياة البشرية أضفت عليها صفة التوازن والاعتدال، فهي تضيء للبشرية والطريق وترشده إلى السبيل والغايات النبيلة والأهداف السامية التي تحقق له الفوز والنجاة من موعود الله، وحياة ثانية يصورها لنا المثل القرآني بصورة الاستعارة (الانسلاخ) وهي توحي بأفكار المعاناة والألم والتعب والمكابدة وهي معانٍ تلقي بظلالها على نوعية تلك الحياة الأرضية الزائلة التي اختارها ذلك المنسلخ، إزاء آيات الله التي انسلخ منها تلك الآيات الموصلة إلى الحياة الأخرى التي هي على الضد في صفاتها من الحياة الدنيا من حيث الراحة والنعيم والخلود، وهذا الاستبدال هو غواية وخسارة، وهو استبدال معتمد ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ﴾ فهو إخلاد إلى الأرض ومغرياتها

[1]- الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل ووجوه التأويل** ،ج٢،ص١٧٨ .

وخداع بريقها، وإتباع الهوى النفسي المضلل لصاحبة، ولا شك أن الاستعارة فيها من قوة الدلالة ما يمنح معنى الركون إلى الأرض والإخلاد فيها قوة وعمقاً في الإحساس والفكر، لأن صورة الاستعارة اقتربت بنموذج إنساني قد أوتي آيات الله، وخلوده إلى الأرض جاء بعدها عقل تلك الآيات وعلم فحواها، بل هي قد تلبسته وخالطت روحه ودمه.

وتتصاعد صورة الانسلاخ قوة وعمقاً في الدلالة أنها كانت تحوّلاً إلى كائن آخر يتمثل بالكلب الذي يشخص رمزاً في الصورة فكرة ودلالة عن افتقاد إنسانيته التي تحققت بآيات الله في بداية آية المثل القرآني، ثم انسلخ عنها باختياره:﴿إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَث﴾ فهي تمثيل له بالكلب في **" أخس أحواله وأذلها، وعن ابن عباس –رضي الله عنهما-، الكلب منقطع الفؤاد، يلهث أن حمل عليه أو لم يحمل عليه. وقيل : معناه أن وعظته فهو ضال وإن لم تعظه فهو ضال، كالكلب أن طردته فسعى لهث،وإن تركته على حاله لهث**[1]".

رسمت الآية بإيحائها الجميل أن إنسانية الإنسان لا تتحقق إلا بآيات الله والتفكر في نواميس الكون التي تمثل نوراً يستضيء به الإنسان في هذه الحياة، وبابتعاده عن هذه النواميس وذلك النور وانسلاخه عن آيات ربه مؤشر على هبوطه للحياة الحيوانية اللاهثة وراء زيف وحطام الدنيا. لذلك رسمت آية المثل صورة الكلب التشبيهية وكانت عنصراً فاعلاً في الصورة لإثبات ملامح الحياة التي تحول إليها، ورسمتها بعمق دلالته الفكرية وتأثيرها في المتلقي.

أما قوله: ﴿ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ففي الإشارة دلالة على معنى البعد في الخِسة والدناءة وقيل هو عائد على المنسلخ عن آيات الله أو ما ذكر من حالة خسيسةٍ منسوبة إلى الكلب[2]. وهي جاءت توضح للمتلقي أن التكذيب بآيات الله والكفر بها، والركون إلى الدنيا وزينتها من أجل الغايات التافهة الزائلة إنما هو هدف خسيس، وغاية تعيسة، في مقابل آيات الله التي تحقق للفرد الواعي حياة ربانية سعيدة متزنة في الدنيا، وسعادة أبدية في الأخرى.

---

[1]- **الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل ووجوه التأويل ،ج٢،ص١٧٨** .

[2]- أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**،ج٣،ص٢٩٣ (بتصرف).

ثم جاء قوله تعالى : ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ فالفاء هنا لترتيب ما بعدها على ما قبلها وهذا يعني الارتباط بين السابق واللاحق من الآيات. واللام في قوله (القصص) للعهد، ولفظ (القصص) مصدر سمّي به المفعول كالسلب مثلاً[1]. والجملة في موضع الحال من ضمير المخاطب أو في موضع المفعول له أي فاقصص راجيا تفكّرهم أو رجاءً لتفكّرهم[2].

وإيثار الحياة الدنيا على الآخرة هو ظلم للنفس وإغفال عن الفكرة الحقيقية التي تنطوي عليها هذه الحياة، ولنتأمل هنا، اختتام الفاصلة بقوله تعالى: (لعلهم يتفكرون) إذ فيها دليل على أنّ المثل قد سيق لأخذ العبرة والعظة منه، وهكذا دليل على مناسبة الفاصلة للمعنى السابق لها في الآية الكريمة فضلاً عن مناسبتها للفواصل قبلها وبعدها في السورة الكريمة من حيث اختتامها والواو والنون أو الياء والنون أو الياء والميم. وبهذه الآية الختامية لآية المثل القرآني تتم اللوحة بتجسيدها المعاني والأفكار التي تصب في المعنى الذي يهدف إليه المثل القرآني لمعنى الحياة في صورة تحقق للفكر وعياً كبيراً، وأثراً بليغاً ينفذ في أعماق الوجدان.

النموذج الثاني:

قال تعالى:﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾[3].

مناسبة آية المثل القرآني:

سورة البقرة من السور المدنية وعدد آياتها(مائتان وسبع وثمانون آية) وعالجت السورة عدداً كبيراً من القضايا " **تدور– في جملتها- حول إنشاء بعض قواعد التصور الإيماني؛ وإيضاح هذا التصور؛ وتعميق جذوره في نواح شتى**[4] " حول إعداد الجماعة المسلمة وكيفية النهوض بدورها قيادة البشرية.

---

[1]- أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**،ج٣،ص٢٩٣(بتصرف) .
[2]- الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** ،ج٩،ص١١٦ .
[3]- سورة (البقرة :٢٦٦) .
[4]- قطب، **في ظلال القرآن**،ج١،ص٢٨٣ .

بدراسة الآيات السابقة لهذا المثل يتضح للمتأمل للسورة أنها تعرضت لأسس وقواعد تنظيم العمل الاقتصادي والاجتماعي للجماعة المسلمة قائم على التعاون والتكافل وأخذ الزكاة من مال الغني وإنفاقها على الفقير، ونبذ التعامل الربوي الذي كان فاشياً في المجتمع الجاهلي، واستطاعت أن ترسم للمتلقي والسامع جانباً من نظام الاقتصاد الإسلامي والحياة الاجتماعية التي تقوم عليها.

ثم أخذت في سياقها التعبيري الحديث عن الصدقة والإنفاق في سبيل الله، والعناية بالفقراء، والبعد عن الربا والفساد، وإخلاص النية فيها لوجهه تعالى ووجوب خلوّها من المن أو الرياء والأذى بأي شكل كان، ورسم السياق" **دستور الصدقة في تفصيل وإسهاب. يرسم هذا الدستور مظللاً بظلال حبيبة أليفة؛ ويبين آدابها النفسية والاجتماعية. الآداب التي تحول الصدقة عملاً تهذيبياً لنفس معطيها؛ وعملاً نافعاً مربحاً لآخذيها؛ وتحوّل المجتمع عن طريقها إلى أسرة يسودها التعاون والتكافل، والتواد والتراحم؛ وترفع البشرية إلى مستوى كريم: المعطي فيه والآخذ على السواء** [1]".

وقد نوّع السياق القرآني في عرضه لهذا المعنى من المثل وأخذ جاهداً لتأكيده بالتّصوير تارة وبالتّقرير أخرى ثم بالنهي والتصوير الرادع أو الدّافع مره ثالثة، ثم يعود هنا ليصوّر المعنى مرّة أخرى بطريقةٍ جديدة فيها من إيقاظ المشاعر والضمائر لدى المتلقي، فبدأت الآية باستفهام إنكاري الذي يوشك أن يجيب بالرفض إن لم يكن أوحى بذلك لقوله: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ.... ﴾. هكذا يلمس المتأمل لآية المثل القرآني الارتباط الوثيق بين هذا المثل وبين الآيات السابقة .

ومما وثّق هذا الارتباط أن الآيات التي جاءت بعد هذا المثل القرآني أخذت تتحدّث عن نوعية هذه الصّدقة بعد أن رغّبت الآيات السابقة فيها وبيّنت مدى نموّها وزيادتها - فكان من الطبيعي- هنا أن يبيّن السياق كيف يجب أن تكون الصدقة وكيف يجب أن تُختار من أطيب ما يكسب المؤمن ومما تُخرج الأرض وألا تكون تلك الصدقة ممّا يكره الإنسان أو ما خَبُث من ماله، لأن المولى- سبحانه- طيب لا يقبل إلا طيبا. ولن يدرك قيمة هذه الصدقات وفضلها إلا من أوتي الحكمة والإصابة في

[1]- قطب، **في ظلال القرآن**،ج١،ص٢٨٣ .

تصُّرفه وعمله[1]. ويمضي السياق في الإخبار عن شمول علم الله وإحاطته بنفقة التّطوّع أو نفقة النّذر أو نفقة العلانية أو السّرّ، ونلمس تدرجه في الانتقال من معنى إلى آخر، فليس ثمَّة مطلقاً، ذلك الانتقال المفاجئ الذي يمكن أن يحدث في الانتقال من معنى إلى آخر[2].

أثر الاستعارة في آية المثل القرآني:

رسمت آية المثل في أصواتها وحركاتها، صورة مؤثرة رادعة لمشهد حديقة فيحاء ملتفّة الأشجار وارفة الظّلال تغذّيها الأنهار وتزيّنها الثّمار بذل صاحبها من أجلها ما بذل في سبيل أن تقر عينه بها ساعة حاجته إليها عند كبر سنة وضعف أبنائه فإذا بتلك الساعة تحين ولكن بعد فوات الأوان لقد ذهب عنه ما قدمه وأصيبت جنته بريح شديدة بل قد كان فيها نار فالتهمت ما كان بالجنة من أشجار وثمار .

إنها صورة المثل القرآني الذي ضربه الله تعالى (للمرائي وقيل هو مثل للمانّ في الصّدقة، وقيل للمفرط في الطّاعة وقيل أُعطي الشّباب والمال فلم يعمل حتى سُلبا[3]).وقد وصفه ابن عباس- رضي الله عنهما- بقوله:" **هو الرجل غني يعمل بطاعة الله ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله**[4] ". وقيل إنّ عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- تلا هذه الآية ثم قال: (هذا مثل ضُرب للإنسان يعمل عملاً صالحاً حتى إذا كان عند آخر عمره أحوج ما يكون إليه عَمل عمل السوء[5]).

ولو تأملنا الأساليب التعبيرية في آيات الأمثال ووحدة نسيجها مع تلك الذبذبات الصوتية، التي تجعل المتلقي يسعى جاهداً نحو ذلك الإعجاز الإلهي، والبحث عن أسباب جماليته من خلال الأثر التنغيمي والإيقاع الصوتي في آياته ليرى فيه " **حسن الاطراد والتناسب والتلطف في الانتقال عن جهة إلى جهة والصيرورة من مقصد إلى مقصد ما يلاحظ في النظم من حسن الاطراد من بعض العبارات إلى بعض ومراعاة المناسبة ولطف النقلة**[6] " وهكذا نرى أن الأمثال القرآنية نسيج وحدة، مباين لما عهده البشر من أساليب البيان، قائدٌ للبلاغة وهادي لأولي الألباب، يغرفون من معينه الذي لا ينتهي، وقد قام الباحث بعمل جدول إحصاء لتلك الأصوات، وحضورها في المفردة القرآنية لآية المثل القرآني، وعدد تواترها، وصدى كل صوت في التأثير والمساهمة لسياق المعنى لآية المثل

---

[1]- ابن جزي، محمد بن أحمد(١٩٩٥م) التسهيل لعلوم التنزيل(**تفسير ابن جزي**)ط١،ص٦٧(بتصرف)،دار الكتب العلمية، بيروت.
[2]- الرافعي، **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية،ص٣٦(بتصرف)** .
[3]- أبو حيان، **تفسير البحر المحيط،ج٢،ص٣١٣** .
[4]- ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** ،ج١،ص٣٢٠ .
[5]- الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** ،ج٣،ص٧٥.
[6]- القرطاجني، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، ص٤.

القرآني، فبلغ عدد الأصوات المجهورة في آية المثل القرآني،(٧٣) صوتاً، أما الأصوات المهموسة والتي بلغ عدد تواترها في آية المثل القرآني(٢٠) صوتاً، وكان للتنغيم الصوتي الأثر الواضح في حروفها وتراكيبها، فالحروف التي تشكل منها المثل القرآني تكشف دلالتها الصوتية من حيث تكرار هذا الصوت المهموس، أما الأصوات الانفجارية وقد بلغت (٤٢) صوتاً، واستطاعت أن تشكل التوافق السياقي بين الصوت من جانب، وبين المعنى المراد في آية المثل القرآني من جانب آخر، وكان لحضور الأصوات الاحتكاكية في آية المثل القرآني، دور بارز في الانسجام التنغيمي والجرس الإيقاعي في مفردات آية المثل القرآني، والتي بلغ عددها(٣٠) صوتاً، ويتضح ذلك من خلال الجدول المرفق.

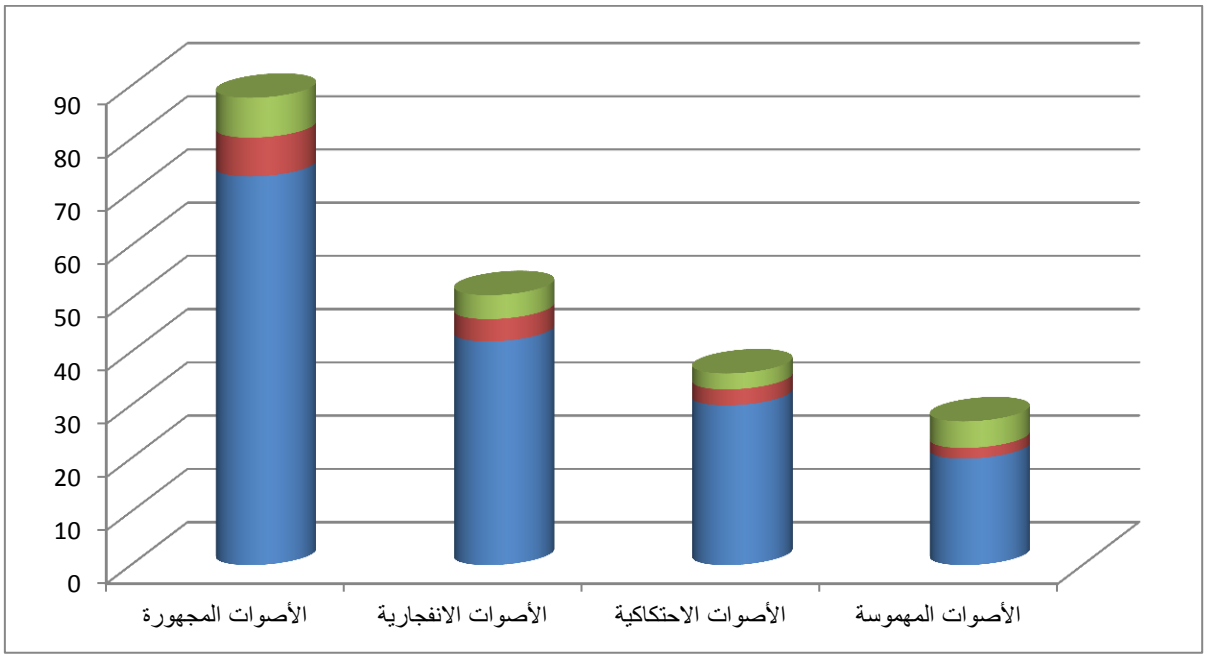

جدول توضيحي لنسبة الأصوات داخل آية المثل القرآني السابق

ورسمت الأصوات المجهورة لوحة فنية تجعلنا أمام مشهدين كبيرين، **الأول**: يمثل فئة المنفقين في سبيل الله يبتغون الأجر والمثوبة من الواحد الأحد وقد تعهدوا حرثهم فآتت أكلها ضعفين بعد أن أصبح الإنفاق طبيعة فيهم وخصلة من خصالهم الكريمة التي لا تنقطع. **والثاني**: يصور حال المنفقين في سبيل الله الذين أبطلوا إنفاقهم بالمن والأذى وقد ضاع حرثهم وجنة أعمالهم ولم يحفظوها بل أتبعوها بالمعاصي وكانت سبباً في حرقها وزوالها وهم بأمس الحاجة لها.

الأصوات المجهورة التي وردت في آية المثل القرآني		
الصوت	المفردة القرآنية	عدد ورودها
الباء	وَأَعۡنَابٍ،وَأَصَابَهُ، ٱلۡكِبَرُ، فَأَصَابَهَآ، يُبَيِّنُ	٥ مرات
الجيم	جَنَّةٌ،تَجۡرِي	مرتين
الدال	أَيَوَدُّ،أَحَدُكُمۡ	٣ مرات
الذال	كَذَٰلِكَ، ذُرِّيَّةٌ	مرتين
الراء	تَجۡرِي،ٱلۡأَنۡهَٰرُ،ٱلثَّمَرَٰتِ،ٱلۡكِبَرُ، ذُرِّيَّةٌ،إِعۡصَارٌ، فَٱحۡتَرَقَتۡ، تَتَفَكَّرُونَ، نَارٌ	١٠ مرات
الضاد	ضُعَفَآءُ	مرة واحدة
العين	لَعَلَّكُمۡ، وَأَعۡنَابٍ،إِعۡصَارٌ ،ضُعَفَآءُ	٤ مرات
اللام	لَعَلَّكُمۡ،ٱلۡأٓيَٰتِ ،لَكُمُ ،ٱللَّهُ ،كَذَٰلِكَ،وَلَهُۥ،ٱلۡكِبَرُ،ٱلثَّمَرَٰتِ كُلِّ ،ٱلۡأَنۡهَٰرُ ،لَهُۥ، نَّخِيلٍ لَهُۥ	١٨ مرة
الميم	أَحَدُكُمۡ،مِّن،ٱلثَّمَرَٰتِ ،مِن ،لَكُمُ، لَعَلَّكُمۡ، مِن	٨ مرات
النون	تَتَفَكَّرُونَ ،يُبَيِّنُ،نَارٌ، إِعۡصَارٌ،ذُرِّيَّةٌ،أَن،تَكُونَ،جَنَّةٌ،مِّن نَّخِيلٍ، وَأَعۡنَابٍ، ٱلۡأَنۡهَٰرُ	٢٠ مرة
المجموع		٧٣

ويرسم المشهد للمتلقي صورة حال من يُنفِق ماله متبوعاً بما يُحيطه من عمل السوء فتكون نتيجة الحسرة والنّدامة يوم حاجته إليه- وهو يوم القيامة إذ يذهب ما قدمه هباء- وتشبيه من كانت هذه حالته بحال من كانت له جنة ملتفة الأشجار وارفة الظلال تحفها الأنهار وتزيّنها الثّمار، قد بذل صاحبها

جهده فيها حتى إذا جاء اليوم الّذي هو أحوج ما يكون إلى عطائها ونمائها لكبر سنة وضعف أبنائه أصابها ريح شديدة فيها سموم ونار فأحرقت كلّ محتوياتها وذهبت أتعابه سدىً[1].

ولكي نتذوق جمال الصورة في آية المثل علينا أن نتوقف عند كل حرف وصوت وتركيب ومد وإدغام، فقوله:﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ﴾الود حب الشيء مع تمنيه والهمزة للإنكار والتحذير ومناط الإنكارهو إصابة الإعصار وما يتبعها من الاحتراق[2].وجاءت هيئة **المشبه محذوفة وهي:"هيئة المنفق نفقة متبعة بالمن والأذى[3]".**

ويلمس المتأمل الأسلوب الاستفهامي والابتداء الرائع الذي يجعل النفس تحذر الوقوع في ذلك. و(هوأبلغ من النفي والنهي وألطف موقعا)[4] لقد أوحى لذهن المتلقي بالإجابة السلبية بأسلوب تعبيري مفعم بالجمال والبلاغة، ثم تأتي بعد ذلك جملة (يود) وهو من الفعل (ود) إذ قال ابن فارس في ذلك (الواو والدال كلمة تدل على محبة. و ددته: أحببته)[5]، وقال الرازي في تفسيره (الود هو المحبة الكاملة[6]).

يدرك المتأمل المعنى الذي حملته لفظة(يود) وقد رسمت لوحة فنية تظهر بلاغة النص القرآني في استعمالها لفظة(يود) بدلاً من (يريد) -على سبيل المثال- لأنها تدل على نفي إمكان حصول هذا الشيء مطلقاً لاستنكار حبّه له[7] والاستفهام هنا للتبعيد والنفي والمعنى ما يود أحد ذلك[8] .

ثم نلاحظ كيف جاء السياق بجملة (يود) ولم تأت جملة (يحب) مثلا مع إمكان مجيئها ولكن جملة (يود) تعني حب الشيء مع تمنّي وقوعه[9] بينما لا نجد نفس المعنى في جملة (يُحب) فضلا عما في لفظ الود من رقّة وعذوبة واضحتين تؤديان إلى لمس المشاعر لمساً رقيقا ليّناً، ترتاح إليه النّفس ويطمئنُّ به القلب ممّا يدفع المخاطب إلى الاستجابة والإذعان بلا تردد أو تقصير ثم جاء الخطاب

---

[1]- الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** ،ج٣،ص٣٨(بتصرف).
[2]- المصدر السابق، وانظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم** ،ج١،ص٢٦٠.
[3]- ابن عاشور، **التحرير والتنوير**،ج٣،ص٥٤.
[4]- ابن القيم، **تفسير القرآن الكريم (التفسير القيم)**،ص١٢٣.
[5]- ابن فارس، **مقاييس اللغة**، (ود).
[6]- الرازي، **مفاتيح الغيب(التفسير الكبير)**،ج٧،ص٥٨.
[7]- المصدر السابق(بتصرف).
[8]- أبو حيان، **تفسيرالبحر المحيط**،ج٢،ص٣١٣ (بتصرف).
[9]- الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**(ودد) بتصرف.

بقوله تعالى:﴿أَحَدُكُمْ﴾. ويرى المتأمل هنا أن في استعمال لفظ (أحدكم) شيئاً من المودّة في

الخطاب ونقصد بهذا ذلك الهمس المحبّب الذي ينفذ إلى قلب كلّ سامع لهذه اللّفظة لأنّه يترك فيه شعوراً أكيداً أنّه المعنى بهذا الخطاب الذي يجب التّفكر فيه وأخذ العبرة منه.

ويعلّق ابن القيم على قوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ﴾ بقوله:(وقال تعالى: (أيود أحدكم) بلفظ الواحد

لتضمنه معنى الإنكار العام، كما تقول أيفعل هذا أحد فيه خير ؟وهو أبلغ في الإنكار من أن يقول أيودّون. وقوله: (أيودّ) أبلغ في الإنكار مما لو قيل أيريد لأنّ محبة هذا الحال المذكور وتمنّيها أقبح وأنكر من مجرد إرادتها)[1].

ورسمت الأصوات الانفجارية مشهداً جميلاً لصورة الاستعارة التي جاءت في أصواتها وكان لجرس إيقاعها ونغمة حركاتها الملمس الواضح لإظهار المعنى المراد من ضرب المثل لذا جاء قوله تعالى:﴿ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ[2] مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ أي" **الأصل والركن فيها هذين الجنسين الشريفين الجامعين لفنون المنافع والباقي من المستتبعات**[3]**".**(فذكر -جل وعلا- أن هذا البستان من النخيل والأعناب والثّمرات هو ذلك الشّجر المعروف بفوائده العظيمة من خشبة وجريده وليفه وخوصة وسائر ما يشتمل عليه لذا ذُكر هنا اسم الشّجرة لتعدّد فوائدها، أمّا الأعناب، فهي ثمر شجر الكرم وقد ذُكر هنا باسم ثمره ولم تذكر شجرته لاقتصار فائدته على الثّمر دون الشّجر)[4].

---

[1]- ابن القيم، **تفسير القرآن الكريم (التفسير القيم)**،ص١٦٣.
[2]- قرأها الحسن جنّات بالجمع، انظر : أبو حيان، **تفسيرالبحر المحيط** ،ج٢،ص٣١٤.
[3]- أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم** ،ج١،ص٢٦٠.
[4]- ابن القيم، **تفسير القرآن الكريم (التفسير القيم)**،ص١٦٣.

الأصوات الانفجارية التي وردت في آية المثل القرآني		
الصوت	المفردة القرآنية	عدد ورودها
الهمزة	أَيَوَدُّ ،أَحَدُكُمْ ،أَن ،وَأَعْنَابٍ، ٱلْأَنْهَٰرُ ،وَأَصَابَهُ ،فَأَصَابَهَآ ،إِعْصَارٌ، ٱلْآيَٰتِ	٩ مرات
الباء	وَأَعْنَابٍ ،وَأَصَابَهُ ،ٱلْكِبَرُ، فَأَصَابَهَآ ،يُبَيِّنُ	٥ مرات
التاء	جَنَّةٌ ،تَجْرِى ،تَحْتِهَا ،ٱلثَّمَرَٰتِ ،ذُرِّيَّةٌ ،فَٱحْتَرَقَتْ ،ٱلْآيَٰتِ ،تَتَفَكَّرُونَ ،تَكُونَ	١٢ مرة
الجيم	جَنَّةٌ ،تَجْرِى	مرتين
الدال	أَيَوَدُّ ، أَحَدُكُمْ	٣ مرات
الضاد	ضُعَفَآءُ	مرة واحدة
القاف	فَٱحْتَرَقَتْ	مرة واحدة
الكاف	أَحَدُكُمْ ،تَكُونَ ،كُلِّ ،ٱلْكِبَرُ ،كَذَٰلِكَ، لَكُمُ ،لَعَلَّكُمْ، تَتَفَكَّرُونَ	٩ مرات
المجموع		٤٢ مرة

كذلك قيل: إن النخيل والأعناب خُصّا بالذّكر، لأنّهما أشرف أنواع الثّمار وأكثرها نفعاً فمنها القوت والغذاء والدّواء والشّراب والفاكهة، والحلو والحامض وتُؤكلان رطباً ويابساً، ومنافعها كثيرة جداً فذكرتا تغليباً لهما على غيرهما[1] وقيل إن مجيء قوله: ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ (من باب تثنية ذكر ما يقع الاهتمام به مرتين عموما وخصوصا ومثله (فيهما فاكهة ونخل ورمان) إلا أنه في تلك الآية بدأ بالتعميم وفي هذه الآية بدأ بالتخصيص)[2].

[1]- ابن القيم،**تفسير القرآن الكريم (التفسير القيم)**،ص١٦٣.
[2]- حاشية السيد الشريف علي الجرجاني على الكشاف،ج١،ص٢٨٨(بتصرف).

الأصوات الاحتكاكية التي وردت في آية المثل القرآني		
الصوت	**المفردة القرآنية**	**عدد ورودها**
الثاء	ٱلثَّمَرَٰتِ	مرة واحدة
الحاء	أَحَدُكُمْ، تَحْتِهَا، فَٱحْتَرَقَتْ	٣ مرات
الخاء	نَّخِيلٍ	مرة واحدة
الذال	كَذَٰلِكَ، ذُرِّيَّةٌ	مرتين
الصاد	وَأَصَابَهُ، فَأَصَابَهَآ، إِعْصَارٌ	٣ مرات
العين	لَعَلَّكُمْ،وَأَعْنَابٍ، إِعْصَارٌ،ضُعَفَآءُ	٤ مرات
الفاء	تَتَفَكَّرُونَ ،فَٱحْتَرَقَتْ، فِيهِ ،فَأَصَابَهَآ،ضُعَفَآءُ ، فِيهَا	٦ مرات
الهاء	ٱللَّهُ ،فِيهِ ،فَأَصَابَهَآ،وَلَهُۥ، وَأَصَابَهُ،فِيهَا،تَحْتِهَا،ٱلْأَنْهَٰرُ، لَهُۥ، لَهُۥ	١٠ مرات
المجموع		٣٠ مرة

لقد رسمت الاستعارة صورة تضم موادَّ متنوعة تصل بينها حركة وتعبر فيها مشاعر وتتحرك خلالها إحساسات فهي صورة بصرية وحركية (نخيل وأعناب) ونفسية تكشف عن الفرح والأمل (نخيل وأعناب) وعن اليأس والقنوط (فأصابها إعصار فاحترقت) وهي تعبر وتصور فكرة (الخسران الكبير للمرائي)، ثم جاء في الآية قوله:﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ فقيل إن الهاء في قوله:(تحتها) إمّا عائدة على الجنّة التّي يُقصد بها البُستان الملتف الأشجار[1]. وهي إشارة موحيه لذهن المتلقي إلى دوامها وخلودها.﴿لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ المراد التكثيركقوله:**(وأوتيت من كل شيء)** وذهب الزمخشري إلى أنه يجوز أن يكون المقصود بالثّمرات في هذا الموضع المنافع التّي كانت تحصل له فيها كقوله تعالى:(وكان له ثمر بعد قوله تعالى: (جنتين من أعناب وحففناهما بنخل) ونقف هنا نتأمل

[1]- الشوكاني، **فتح القدير** ،ج١،ص٢٨٨(بتصرف).

هذه الصفات الثلاث المذكورة في الآية الكريمة وهي: كون الجنّة مشتملة على النّخيل والأعناب وتجري من تحتها الأنهار ثمّ له فيها من كلّ الثّمرات. لا شك أنه إبداع فذ في رسم الصورة المتكاملة للجنة الحسناء في ألفاظ موحية وعبارات مؤثرة تنقل المعنى والمشهد في جمال وجلال لا يليقان إلا بأسلوب القرآن المتميز.

وأخذت الاستعارة في آية المثل القرآني تثير انتباهنا بألفاظها وعباراتها إلى جانب آخر تبدأ خيوطه مشهده بقوله تعالى:﴿وَأَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ﴾ جاءت الواو هنا كما يرى ابن حيان للحال على التقدير(قد) أي وقد أصابه الكبر كقوله تعالى:(وكنتم أمواتا فأحياكم) وجاء في الكشّاف أن العطف قد يكون على المعنى كأنه قيل: (أيود أحدكم لو كانت له جنة وأصابه الكبر).

وينفي أبو حيان ذلك لأنه يرى ألاّ أحد يود إلا الإصابة بالكبر، لذا فقد وجّه ذلك الرّأي توجيهاً جميلاً إذ قال:(لكن يُحمل قول الزمخشري على أنّه لما كان أيود استفهاما معناه الإنكار جعل متعلق الودادة الجمع بين الشيئين وهما كون له جنة له وإصابة الكبر إياه إلا أن كلّ واحد منهما يكون مودوداً على انفراده وإنما أنكر ودادة الجمع بينهما)[1] وقوله أصابه الكبر أبلغ من القول (كبر)[2] ونرى بلاغة واضحة في قوله:﴿وَأَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ﴾ لأنّه يشعرنا بمدى وقع الشيخوخة وكبر السن على صاحبهما أنهما قد أصاباه فعلاً لذا كان ذلك القول: ﴿وَأَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ﴾ أبلغ من قولنا (كبر).

وعند عودتنا لآية المثل – مرة أخرى- نجد إيحاء هذه العبارة وما تحمله من لفظين معبرين (الإصابة) و (الكبر) وهي بداية المشهد التصويري الآخر في المثل .

[1]- أبو حيان، **تفسيرالبحر المحيط** ،ج٢،ص ٣١٤.
[2]- المصدر السابق.

الأصوات المهموسة التي وردت في آية المثل القرآني		
الصوت	**المفردة القرآنية**	**عدد ورودها**
التاء	تَكُونَ،جَنَّةٌ،تَجۡرِي،تَحۡتِهَا،ٱلثَّمَرَٰتِ،ذُرِّيَّةٌ، فَٱحۡتَرَقَتۡ،ٱلۡأٓيَٰتِ ، تَتَفَكَّرُونَ	١٢ مرة
الثاء	ٱلثَّمَرَٰتِ	مرة واحدة
الحاء	أَحَدُكُمۡ، تَحۡتِهَا،فَٱحۡتَرَقَتۡ	٣ مرات
الخاء	نَّخِيلٍ	مرة واحدة
الصاد	وَأَصَابَهُ، فَأَصَابَهَآ، إِعۡصَارٌ	٣ مرات
المجموع		٢٠ مرة

نسجت صورة الاستعارة خيوط المأساة في هذا المثل خيطاً خيطاً بما تُوحيه للمتلقي في كنف ألفاظه وعباراته تلو أخرى، حتى تكتمل الصورة وتصل إلى الغاية التي قيل لأجلهما المثل وهي أخذ العبرة والعظة منه. ولو تأملنا نسيج المشهد المؤثر وهو قوله تعالى:﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾[١]. وهو مشهد بصري ولكنه يحرك الخيال والمشاعر ليكشف جمالاً آخر ويبعث على الإحساس بتلك المشاعر وتداخل الأحوال وزيادة القيود التي لا تقوى وتتكاثف بها عناصر الضعف والعجز حتى تبلغ الحاجة أشدها ثم يعظم الخطب عند شدة الحاجة، ويرى أبو حيان أنّ المقصود بالذرية الضعفاء هنا هم المحاويج[٢]. ويرى الألوسي أن الواو في قوله: ﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾ في موضع الحال من الضمير في أصابه والتقدير أي:أصابه الكبر والحال أنّ له صبية ضعفاء لا يقدرون على الكسب وترتيب معاشه ومعاشهم وترك التعبير بصغار مع مقابلته للفظ الكبر لأن التعبير بضعفاء هنا أنسب [٣]. وجاء

[١]- وقرئ (ضعاف) أبو حيان، **تفسير البحر المحيط،ج٢،ص ٣١٤**.
[٢]- أبو حيان، **تفسيرالبحر المحيط ،ج٢،ص ٣١٥**.
[٣]- الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** ،ج٣،ص٣٧(بتصرف).

التعبير بضعفاء هنا أبلغ، لأنها تعطي معنيين يصح أن يجتمعا معا هما صغر السن وعدم القدرة على الكسب لعجزٍ فيهم، أمّا لفظ (صغار) فهو مقيّد للمعنى إذ لا يشمل إلا صِغر السِّن فقط، والعبارة كلّها تدلّ على شدة الحاجة إلى هذه الجنة الوارفة الظلال الملتفة الأشجار والتي بذل صاحبها فيها قصارى جهده ليجدها في هذا الوقت - وقت حاجته إليها - ولكنّ المأساة تكتمل بقوله تعالى:﴿ فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٞ فِيهِ نَارٞ فَٱحۡتَرَقَتۡۗ ﴾والفاء هنا عاطفة وهي دليل على أن الجنة حين أزهت وحسنت وجاء وقت الانتفاع بها أعقبها الإعصار[1] .

ويرى المتأمل ألواناً جامعة من البلاغة في استعمال لفظة (أصابها)، لأن الإعصار هو الريّح الشديدة العاصفة قد يصحبه نار وعندما يأتي على جنة وارفة كهذه لا شك أنه مصيب كل ما فيها بالدمار إلى جانب ما يوحي به هذا اللفظ بما يحتوي عليه من الهمز المتلو بالعين ثم بالصاد التي يليها الألف الممدودة ولك أن تتأمل هذا الصّوت أو ذلك الجرس الّذي تسمعه خلال نُطق هذه الكلمة (إعصار) وعندها تدرك كيف أوحى لنا في مكانه بمعناه وفعله الحقيقي[2] بحيث لا يستطيع لفظ آخر أن يحلّ محلّه.

ثم يأتي قوله: (فيه نار) فتبين نوعية هذا الإعصار[3] ثم جاءت الكلمة الأخيرة في المشهد لتؤكد نهاية هذه المأساة قال تعالى:(فاحترقت) وقيل إنه فعل مطاوع أي فأصابها إعصار فيه نار أحرقها فاحترقت[4]. ويرى الألوسي أن مجيء قوله تعالى:(أصابها إعصار فيه نار فاحترقت) من البلاغة ما فيه أكثر مما لو قيل فأصابها نار فاحترقت[5] .

لقد رسمت الاستعارة صورة بلاغية جمعت فيه الألفاظ المتجاورة مع ما فيها من إيحاء وجرس إيقاعي ليس لهما مثيل، وأضفت على الآية معانٍ كبيرة، فالإعصار مثلاً قد لا تكون فيه نار وقد تكون ثمّة نار ليست وليدة إعصار، وحينما تقترن النار بالإعصار فذلك ادعى إلى انتشار النّار السّريع

---

[1]- أبو حيان، **تفسيرالبحر المحيط** ،ج٢،ص ٣١٥ (بتصرف).
[2]- يقال إن الإعصار سمي إعصاراً لأنه يعصر السحاب أو يعصر الأجسام والماء بها انظر:الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج٣، ص٣٨.
[3]- المصدر السابق.
[4]- أبو حيان، **تفسيرالبحر المحيط** ،ج٢،ص ٣١٥(بتصرف).
[5]- الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**،ج٣،ص٣٨.

وأذاها وأذى الإعصار الفظيع. ثم يختتم هذا المثل الكريم بقوله تعالى:(كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون)، فالإشارة هنا عائدة على الصورتين التي نقلهما لنا السياق ونلاحظ أيضا كيف جاء قوله (لكم) المحتوية على الجار والمجرور قبل قوله تعالى مع إمكان مجيئها في السياق بعدها ولكن جاء ذلك من باب الاهتمام بشأن المتقدم .

وختمت فاصلة آية المثل بقوله (**لعلكم تتفكرون**) ولم تختتم بقوله (**تعقلون**) لان ضرورة التفكر هنا والتأمل في أمور الدنيا واضمحلال زخارفها أمر لا غنى عنه لأخذ العبرة والعظة منها وهو أهم من أي أمر آخر بالنسبة لهذا المثل والجملة كلها تذييل على ما قبلها. وتشير الآية الكريمة إلى الغرض الحقيقي الذي يحمله المثل الكريم في سياقه إذ قال تعالى:(كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) ذلك الغرض هو أنّ الله سبحانه وتعالى يبين هذه الآيات الدالة على حقائق الأمور وغاياتها وفوائدها وغوائلها مثل هذه البيان البارز في أبهى معارض التّمثيل ليتفكّر المسلم في عواقب الأمور، فيضع النّفقات في مواضعها التي يرضاها مع الإخلاص فيها وتثبيت النّفس على ذلك حتى لا يستحقّها الطّيش والإعجاب فيدفعها إلى المن والأذى أو إلى الرياء والسمعة[1]، فضلا عن ذلك الحذر الشديد الذي تشعر به النفس عند تصور ذلك المشهد الذي رسمه لنا السياق بدقة ووضوح .

[1]- رضا، **تفسير القرآن الحكيم(تفسير المنار)** ج٣، ص٧٠ (بتصرف).

الخاتمة والنتائج:

سعت هذه الدّراسة إلى تقصّي الجوانب البيانيّة والجمالية لظاهرة التّنغيم في الأمثال القرآنية، وقد خرجت بجملة من النتائج التي يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

أوّلا: يعّد المثل في القرآن الكريم جزءا لا يتجزّا من النسيج اللغوي المحكم في القرآن الكريم، وهو رافد أساسي من الروافد البلاغية والصوتيّة فيه.

ثانيا: تمثّل الصورة البيانيّة عنصرا بارزا ومهمّا في بناء المثل القرآني، وهي تكتنز بالدلالات الجماليّة، والصّوتيّة، وقد جسّدت- بصورها المتعدّدة- التشبيه والاستعارة والكناية- تلاحما فنّيّا وجماليّا مدهشا.

ثالثا: أبرزت الدراسة تنوّع أساليب الخطاب القرآني(الخبرية والإنشائيّة) في آيات الأمثال القرآنية، وكشفت عن أثرها الجمالي.

رابعا: بيّنت الدّراسة أهميّة اندغام القصّة في نسيج المثل القرآني، كما وقفت على الجوانب البيانية والصوتية/ التّنغيمية التي تجسّدت في القصة، من خلال آيات الأمثال.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- الآمدي، علي بن محمد(١٩٨٦م) **الإحكام في الأحكام**، تحقيق: سيد الجميلي، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ابن أبي الأصبع عبد العظيم بن الواحد ،(١٩٩٢م) **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن**، تحقيق:حنفي محمد،ط٢، لجنة إحياء التراث،القاهرة.
- ابن الأثير، ضياء الدين(١٩٦٠م)**المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق احمد الحوفي وبدوي طبانه،ط٢، مكتبة نهضة مصر، مصر.
- ابن جزي، محمد بن أحمد(١٩٩٥م) التسهيل لعلوم التنزيل(**تفسير ابن جزي)** ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن جني(١٩٩٣م) **سر صناعة الإعراب**، تحقيق:حسن هنداوي، ط٢،ج١، دار القلم، دمشق.
- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (د.ت) **جمهرة اللغة**، ط١، مطبعة المعارف، القاهرة.
- ابن سلام، محمد بن سلام الجمحي(١٩٦٩م) **طبقات فحول الشعراء**، ط٣،دار النهضة، بيروت.
- ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله(١٩٧٨م) **أسباب حدوث الحرف**،تحقيق: طه عبد الرؤوف، د.ط، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.
- ابن طباطبا، أبو الحسن محمد بن أحمد (١٩٨٢م) **عيار الشعر**،تحقيق:عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور(١٩٨٤)**التحرير والتنوير" تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**،ط١،الدار التونسية للنشر، تونس.
- ابن عباد، الصاحب إسماعيل(١٩٩٤م) **المحيط في اللغة**، تحقيق: محمد حسن، ط١، عالم الكتب، بيروت.
- ابن عطية،أبو محمد عبد الحق(١٤٢٢هـ)**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق:عبد السلام عبد الشافي، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت.
- ابن فارس،أبو الحسين أحمد(١٩٤٩م) **معجم مقاييس اللغة**، دار الكتب العربية، القاهرة.

- ابن قتيبة(١٩٧٣م) **تأويل مشكل القرآن**، تحقيق: السيد احمد صقر، ط٢، دار التراث،القاهرة.
- ابن كثير،أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير(١٩٩٩م) **تفسير القرآن العظيم**، دار طيبة، جده.
- ابن مجاهد،أحمد بن موسى(١٩٨٠م) **السبعة في القراءات**، تحقيق: شوقي ضيف، ط٢، دار المعارف، مصر .
- ابن المعتز، أبو العباس عبد الله بن محمد (١٤١٠هـ) **البديع في البديع**، ط١، دار الجليل، بيروت.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم(د.ت) **لسان العرب**، دار صادر، بيروت.
- ابن الناظم، أبو عبد الله بدر الدين(٢٠٠٠) **شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك**، تحقيق:محمد باسل السود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن نافيا، أبو القاسم عبد الله بن محمد بن الحسين(١٤٠٧هـ) **الجمان في تشبيهات القرآن**، تحقيق: محمود الشيباني، ط١ مركز الصف الالكتروني، جده،السعودية.
- أبو السعود، محمد بن محمد (٢٠١٠) **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود)**، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- أبو حمده، محمد علي(١٩٨٥)،القرآن الكريم واستمرارية إعجازه، العدد(٩)، المجلة الثقافية،القاهرة.
- أبو حيان،محمد يوسف(١٩٩٣م) **تفسير البحر المحيط**،تحقيق:عادل أحمد- علي معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت. (بتصرف) .
- أبو زهرة(١٤٣٠) محمد بن احمد،**المعجزة الكبرى القرآن**، ط١، دار الفكر العربي، بيروت.
- أبو عبيده، معمر بن المثنى البصري(١٣٨١هـ) **مجاز القرآن**، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- أبو موسى، محمد(د.ت) **البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية**، دار الفكر العربي، بيروت.
- الأصفهاني،الراغب حسن بن محمد(١٩٦١م) **المفردات في غريب القرآن**، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي،القاهرة.
- **الأصوات اللغوية**،(١٩٦١م) ط٣، دار النهضة العربية،القاهرة.

- الألباني،محمد ناصر الدين(١٩٨٨م)**صحيح الجامع الصغير وزياداته**،ط٣، المكتب الإسلامي، عمان، الأردن.
- الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدين(١٤١٥هـ) **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.
- **الأمثال في القرآن الكريم**(١٩٨٦)، ط١، مكتبة الصحابة، مصر.
- أمين، بكري شيخ أمين(١٩٨٠) **التعبير الفني في القرآن**،ط٤، دار الشروق، القاهرة.
- أمين،أحمد(١٩٦٥م) **فجر الإسلام**، ط١، مكتبة النهضة المصرية،القاهرة.
- الأنصاري،أبو زيد سعيد بن أوس(١٩٨٠م) **النوادر في اللغة**،تحقيق: محمد عبد القادر، ط١، دار الشروق، بيروت.
- أنيس، إبراهيم(١٩٥٢م) **موسيقى الشعر**، ط٢،مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة.
- باجوده، حسن محمد(١٣٩٥هـ) **تأملات في سورة الإسراء**، ط١، دار الاعتصام،القاهرة.
- الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب(١٩٨٢م)**إعجاز القرآن**، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط٣، دار المعارف، القاهرة.
- البخاري، محمد بن إسماعيل(١٤٢٢هـ) **صحيح البخاري**،تحقيق: محمد زهير،ط١، دار طوق النجاة، مصر.
- بدوي، احمد (٢٠٠٥) **من بلاغة القرآن**، ط١، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة.
- **بديع القرآن**، تحقيق حفني محمد شرف، د.ط، نهضة مصر، القاهرة.
- البستاني،بطرس(٢٠٠٥م)**محيط المحيط**، ط٢، كنى، مكتبة لبنان، بيروت.
- البطل،علي(١٩٨١م) **الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري(دراسة في أصولها وتطورها)** ط٢، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- البقاعي، برهان الدين(١٩٩٥م) **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**،تحقيق:عبد الرزاق غالب المهدي، ط١، دار الكتب العلمية،بيروت.
- بوخريص، كمال(١٩٨٨م)**خصائص الإيقاع في القرآن**(جزء عم) رسالة ماجستير، جامعة تونس.

- البوطي، محمد سعيد رمضان(١٩٩٦) **من روائع القران الكريم**، تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، مؤسسة الرسالة ، بيروت.
- البيضاوي، ناصر أبو سعيد،**أنوار التنزيل وأسرار التأويل(تفسير البيضاوي)، تحقيق: محمد المرعشلي**،ط١، دار إحياء التراث، بيروت.
- التفتازاني، سعد الدين بن مسعود(د.ت) **المطول في شرح تلخيص المفتاح**، د.ط، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة.
- التفتازاني، (١٣٢٧هـ)**التلويح إلى كشف حقائق التنقيح(حاشية شرح للتوضيح)**،د.ط، مطبعة صبيح، مصر.
- **تفسير القرآن الكريم (التفسير القيم)**،تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية،ط١، دار ومكتبة الهلال،بيروت.
- التكريتي، يحيى عدي محمد(١٩٩٢) **تهذيب الأخلاق**،تحقيق: ناجي التكريتي، ط١، وزارة التعليم العالي، بغداد.
- الجابري، محمد عابد(١٩٩١)**تكوين العقل العربي**، ط٥، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر(د.ت) **البيان والتبين**، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت.
- جبور، عبد المنعم(١٩٧٩) **المعجم الأدبي**، ط١م، دار العلم للملايين، بيروت.
- الجرجاني،أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن(١٩٩٢م) **دلائل الإعجاز في علم المعاني**،تحقيق: محمود شاكر، ط٣، مطبعة المدني،القاهرة.
- الجرجاني،عبد القاهر(١٩٥٤) **أسرار البلاغة**، تحقيق: احمد مصطفى، مطبعة الاستقامة، القاهرة.
- الجرجاني، علي بن محمد (١٩٨٣م) **التعريفات**، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، ط١، عالم الكتب العلمية، بيروت.
- الجرجاني،القاضي علي عبد العزيز(د.ت)**الوساطة بين المتنبي وخصومة**، تحقيق: إبراهيم وعلي البجاوي، د.ط، دار القلم،بيروت.

- الجرجاني، محمد بن علي(د.ت) **الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة**، تحقيق: عبد القادر حسين، د.ط، مكتبة الآداب، القاهرة.
- الجطلاوي، الهادي(١٩٩٨) **قضايا اللغة في كتب التفسير، المنهج، التأويل، الإعجاز**، ط١، دار محمد علي الحامي، تونس.
- الجودي، لطفي فكري(٢٠١٤م) **جماليات الخطاب في النص القرآني**،ط١، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ،القاهرة.
- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد(١٩٥٦) **الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور، دار الكتاب العربي، مصر.
- الجويني، مصطفى الصاوي(١٩٨٥م)**البلاغة العربية تأصيل وتجديد، ط١**، منشأة المعارف، الاسكندرية.
- حاطوم، أحمد(١٩٨٤) **الإعراب محاولة جديدة لإكتناه الظاهرة**، ط١، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت.
- حجاب،السيد(٢٠٠١م) **من بدائع النظم القرآني**،ط٣، مطبعة الجندي، بنها الجديدة، مكة.
- حجازي،محمد (١٩٩٨) **الإحساس بالجمال في ضوء القرآن الكريم**، ط١، دار الوفاء، الإسكندرية.
- حسان، تمام(١٩٩٤م) **اللغة العربية مبناها ومعناها**، ط١، دار الثقافة،الدار البيضاء.
- حسان، تمام(١٩٥٥م) **مناهج البحث في اللغة**، ط٤، مكتبة الإنجلوا المصرية، القاهرة.
- حسين، حامد عبد الهادي(٢٠٠٧)**البلاغة والمعنى في النص القرآني**، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، العراق.
- حسين، عبد القادر(١٩٧٥م) **القرآن والصورة البيانية**، دار نهضة مصر، القاهرة.
- حفني،عبد الحليم(١٩٧٨م)**أسلوب السخرية في القرآن الكريم**، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة
- الحمد،غانم القدوري(١٩٨٩م)**الدراسات الصوتية عند علماء التجويد**،،ط١، مطبعة خلود، بغداد.
- حمدان،ابتسام(١٩٩٥) **الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي**، رسالة دكتوراه،جامعة تشرين، كلية الآداب، قسم اللغة العربية ، دمشق.

- الحمداني، فالح احمد(٢٠٠١م) **الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف**،ط١، مؤسسة الوراق،عمان.
- حنفي، محمود احمد(د.ت) **محيط الفنون- بحث بعنوان الموسيقى العربية من قبل الإسلام حتى سيد درويش_** ، ط١، دار المعارف، مصر، القاهرة.
- حنفي،عبد الحليم(١٩٩٥م) **أسلوب المحاورة في القرآن الكريم**، ط٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- حوى، سعيد محمد(١٤٢٤هـ)**الأساس في التفسير**، ط٦، دار السلام، القاهرة، مصر.
- الخازن،علي بن محمد،(٢٠٠٤م) **لباب التأويل في معاني التنزيل**،تحقيق:عبد السلام شاهين، ط١،دار الكتب العلمية، بيروت.
- الخالدي،عبد الفتاح صلاح (١٩٩٤م) **مفاتيح للتعامل مع القرآن،ط٢**، دار القلم، دمشق.
- خان، محمد(٢٠٠٢)**اللهجات العربية والقراءات القرآنية، دراسة في البحر المحيط**، دار الفجر للنشر والتوزيع،المغرب.
- خباز،رود(١٩٩٩) **الموسيقا في شعر ابن زيدون**، رسالة ماجستير، بإشراف مهجة الباشا، كلية الآداب، جامعة حلب.
- **الخصائص**، (١٩٩٠م)تحقيق محمد علي النجار،ط٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- الخضري، محمد الأمين**(١٩٨٩) من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم**،ط١، مكتبة وهبي، القاهرة.
- الخطابي،أبو سليمان حمد بن محمد البستي(١٩٥٣م) **بيان إعجاز القرآن**،تحقيق: عبد الله الصديق، مطبعة دار التأليف،القاهرة.
- الخطيب،عبد الحليم(١٩٩٧م) **أسرار معجزة القرآن الكريم**، ط١، دار القلم العربي، حلب، سوريا.
- الخفاجي،ابن سنان(١٩٥٣م) **سر الفصاحة**، تحقيق: عبد المتعال الصعيدي، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الخفاجي،شهاب الدين أحمد(د.ت)**عناية القاضي وكفاية الرّاضي على تفسير البيضاوي**، دار صادر، بيروت.

- الخليل،عبد القادر مرعي(١٩٩٣) **المصطلح الصوتي عند علماء العربية في ضوء علم اللغة الحديث**، ط١، منشورات جامعة مؤتة،الأردن.
- دراز، محمد عبد الله(١٩٧٠م) **النبأ العظيم " نظرات جديدة في القرآن"** ط٢، دار القلم،القاهرة.
- درويش، محي الدين (١٩٩٢م)**إعراب القرآن الكريم وبيانه**،ط٣، دار ابن كثير، اليمامة.
- دليلة، مزوز(د.ت) **سيميائية الحرف العربي قراءة في الشكل والدلالة**، بحث كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكره،الجزائر.
- الراديواني، محمد بن عمر**(١٩٨٧) ترجمان البلاغة**، ترجمة: محمد نور الدين، ط١، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الجزائر.
- الرازي، فخر الدين(١٩٨١م) **مفاتيح الغيب(التفسير الكبير)**، ط١، دار الفكر، بيروت.
- الرافعي، مصطفى صادق(١٩٧٣) **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**،ط٩، دار الكتاب العرب.
- الرباعي،عبد القادر(١٩٩٨م) في تشكل الخطاب النقدي(مقاربات نقدية معاصرة)،ط١،الأهلية للنشر والتوزيع عمان.
- الرباعي،عبد القادر(١٩٩٩م) **الصورة الفنية في شعر أبي تمام**،ط٢، دار الفارس،عمان.
- الرباعي،عبد القادر(٢٠٠٩) **الصورة الفنية في النقد الشعري(دراسة في النظرية والتطبيق)**، ط١، دار جرير للنشر والتوزيع،عمان.
- رضا، محمد رشيد(١٩٩٠م)**تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)ط١**، الهيئة المصرية العامة، القاهرة.
- الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى (١٩٧٦م) **النكت في إعجاز القرآن**، تحقيق: محمد خلف، ط٣، دار المعارف، مصر.
- رمضان، محيي الدين(١٩٨٢) **وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن**، ط١، دار الفرقان،عمان.

- الزركشي، بدر الدين الزركشي(١٩٥٧) **البرهان في علوم القران**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر.
- الزركشي، محمد بن عبد الله بن بهادر(١٩٩٤م) **البحر المحيط في أصول الفقه**، ط٢، دار الكتبي.

- الزمخشري (١٩٨٧م) **المستقصى في أمثال العرب**، ط٢، دار الكتب العلمية،بيروت.
- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر(١٩٩٦م) **أساس البلاغة**، ط١، مكتبة لبنان، بيروت.
- الزمخشري،أبو القاسم جار الله محمود بن عمر(١٩٩٨م)**الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل ووجوه التأويل**، ط١، مكتبة العبيكان،الرياض.
- الساحلي، منى علي سليمان(١٩٩٧م)**التضاد في النقد الأدبي مع دراسة تطبيقية من شعر أبي تمام،ط١**، الجامعة الأردنية، عمان.
- سيبويه أبو البشر، عمرو بن عثمان بن قنبر **(١٩٨٨م) الكتاب**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر(٢٠٠٠م) **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ط١، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة ، بيروت.
- السعران،محمود(١٩٩٧م)**علم اللغة مقدمة للقارئ العربي**،ط٢، دار الفكر العربي،القاهرة.
- السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد(١٤٠٧هـ) **مفتاح العلوم**، تحقيق: نعيم زرزور، ط٢ ،دار الكتب العلمية، بيروت.
- السلامي،عمر(١٩٨٠م) **الإعجاز الفني في القرآن الكريم**، ط١، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، تونس.
- سلطان، منير محمد(١٩٧٦)،**البديع تأصيل وتجديد**،ط١،دار الهجرة، الإسكندرية.
- سلوم، تامر(١٩٨٣م) **نظرية اللغة والجمال في النقد العربي**،ط١، دار الحوار،اللاذقية، سوريا.
- سلوم، تامر(١٩٩٤) **أسرار الإيقاع في الشعر العربي**، ط١، دار المرساة للطباعة،اللاذقية.
- السمرقندي، محمد بن محمود(١٤٣١هـ) **روح المريد في شرح العقد الفريد في نظم التجويد**، مكتبة الأوقاف العامة بالموصل.
- السيد، شفيع(٢٠٠٧) **التعبير البياني رؤية بلاغية نقدية**، ط١، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
- السيد،عز الدين علي(١٩٨٦م) **التكرير بين المثير والتأثير**،ط٢، دار الطباعة المحمدية،القاهرة.

- السيوطي، جلال الدين، **الإتقان في علوم القرآن**، ط٣، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار التراث، بيروت.
- السيوطي،عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين(١٩٨٨م) **معترك الأقران في إعجاز القرآن**،ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت.
- السيوطي،عبد الرحمن بن أبي بكر(٢٠٠٣م)**الدر المنثور**،**ط٢**، دار الفكر، بيروت.
- الشعراوي، محمد متولي الشعراوي(١٩٩٧) **تفسير الشعراوي**، ط١، مطابع أخبار اليوم.
- الشنقيطي، محمد محمد مختار(٢٠٠٦) **زاد المستقنع**، ط١، دار الكتب العلمية،المدينة المنورة.
- الشوكاني، محمد بن علي (١٤١٤هـ) **فتح القدير**،ط١، دار ابن كثير، دمشق.
- الصابوني، محمد علي(١٩٨٥م)**التبيان في علوم القرآن**،ط١، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- الصابوني،محمد علي(١٩٩٧م)**صفوة التفاسير**،**ط١**، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة.
- الصالح، صبحي(١٩٨٣م) **مباحث في علوم القرآن**، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
- الصبيغ،عبد العزيز(٢٠٠٠م) **المصطلح الصوتي في الدراسات العربية**،ط١، دار الفكر،بيروت.
- الصعيدي،عبد المتعال(٢٠٠٥م) **بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة**، **ط١٧**، مكتبة الآداب، مصر
- الصغير، محمد حسين(١٤٢٠) **تطور البحث الدلالي دراسة تطبيقية في القران الكريم**، ط١، بيروت.
- الصغير، محمد حسين(١٩٨٤)**الصورة الفنية في المثل القرآني**، د.ط، دار الرشيد، بغداد.
- الصغير، محمد حسين(٢٠٠٠م)**الصوت اللغوي في القرآن**،**ط١**، دار المؤرخ العربي،بيروت.
- ضيف، شوقي(د.ت)**البلاغة تطور وتاريخ**، ط٩، دار المعارف،القاهرة.

- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير(٢٠٠١م) **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**،تحقيق: محمود شاكر، ط١، إحياء دار التراث العربي، بيروت، لبنان.
- طحان، ريمون(١٩٨١) **الألسنية العربية**، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت.
- الطوفي، نجم الدين سليمان(د.ت) **الإكسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد القادر حسين، د.ط،مكتبة الآداب، القاهرة.
- عباس، حسن(١٩٩٨م) **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، ط١، منشورات اتحاد الكتّاب العرب،دمشق.
- عباس، فضل حسن عباس(٢٠٠٦م) **إعجاز القرآن الكريم**،ط٦،دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان.
- عباس، فضل حسن(١٩٩٧)**البلاغة فنونها وأفنانها**،ط٤، دار الفرقان للنشر والتوزيع،اربد، الأردن.
- عبد الجليل،عبد القادر(١٩٨٨)**هندسة المقاطع الصوتية**،ط١، دار الصفاء للنشر والتوزيع،عمان.
- عبد الحميد،حسن(١٩٦٤م)**الأصول الفنية للأدب،ط٢**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
- عبد الرحمن،عائشة، **التفسير البياني للقرآن الكريم، ط٧**،دار المعارف،مصر.
- عبد العال، محمد قطب(٢٠٠٦)**من جماليات التصوير في القرآن الكريم**، ط٢، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- عبد الكريم مجاهد(د.ت)**الدلالة اللغوية عند العرب**، دار الضياء،عمان ، الأردن.
- عبد الله، محمد فريد(٢٠٠٨) **الصوت اللغوي ودلالاته في القرآن الكريم**، ط١، دار الهلال للطباعة، بيروت.
- العبد، محمد السيد (٢٠٠٤م) **من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم**، العدد(٢١٤) مجلة العربية للعلوم الانسانية،الكويت.
- عتر، نور الدين (١٩٩٥م) **علوم القرآن الكريم**،ط١، مطبعة الصباح،دمشق.
- عتوك، محمد إسماعيل(١٤٢٥هـ) **من أسرار الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن**، ملتقى الحديث الشريف،

- عتيق،عبد العزيز(١٩٨٥م)**علم البيان،ط١**،دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
- العسكري،أبو هلال(١٩٨٩م) **الصناعتين،الكتابة والشعر**، تحقيق: مفيد قمحية، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- العسكري،أبو هلال(١٩٩٧م) **الفروق اللغوية**،تحقيق: محمد إبراهيم، ط١،دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع،القاهرة.
- عصفور،جابر(١٩٩٢م) **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي**، ط٣، المركز الثقافي العربي، القاهرة.
- العطار، أبو العلاء الهمذاني(٢٠٠٥م)**التمهيد في معرفة التجويد**، تحقيق جمال الدين ، دار الصحابة للتراث، طنطا ، مصر.
- العطية، خليل إبراهيم(١٩٨٣) **في البحث الصوتي عند العرب**، ط٢،منشورات دار الجاحظ،بغداد.
- العلايلي، عبد الله عثمان(١٩٨٩) **تهذيب المقدمة اللغوية**، تحقيق: اسعد علي، ط٣، دار السؤال للطباعة والنشر، سوريا.
- العلوي، يحيى بن حمزة(١٩٣٤) **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، د.ط، مطبعة المقتطف، مصر.
- عمر،أحمد مختار(٢٠٠٦م) **دراسة الصوت اللغوي**، ط٤، عالم الكتب،القاهرة.
- عنوز، صباح(٢٠٠٦م) **دلالة البيان في تفسير النص القرآني بين الدال الوظيفية الافهامية**،العدد (٢) مجلة الدراسات الإسلامية.
- عياد، شكري(١٩٧٨م) **موسيقى الشعر العربي**،ط٢، دار المعرفة،القاهرة.
- عيد، رجاء(د.ت) **فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور**،(د.ط)، منشأة المعارف،الإسكندرية.
- عيد، محمد عبد الباسط(٢٠٠٩م) **النص والخطاب قراءة في علوم القرآن**،ط١، مكتبة الآداب،القاهرة.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد(١٩٧٥م) **معارج القدس في مدارج معرفة النفس**، ط٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت،لبنان.

- الفراء،أبو زكريا يحيى بن زياد(٢٠١٠م) **معاني القرآن**: تحقيق احمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، **العين**، تحقيق المخزومي ، دار الشؤون الثقافية، بغداد، العراق.
- الفقرا، هايل محمد(١٩٩٦) **ظاهرة الانسجام الصوتي في القرآن الكريم**، ، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن.
- الفيروزي آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب(٢٠٠٨م) **القاموس المحيط**، تحقيق مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة، ط٦، دار الرسالة، بيروت، لبنان.
- القاضي، منير(١٩٦٠م)**المثل في القرآن الكريم**،عدد ٧، مجلة المجمع العلمي العراقي،بغداد.
- قدامه بن جعفر، أبو الفرج قدامه (١٩٨١م) **نقد الشعر**، ط١، دار الرشيد، بغداد.
- القدسي، **علم النفس الموسيقي ومبادئ علم الاجتماع الموسيقي في خدمة تعليم الموسيقا العربية وتطويرها**، العدد(١١).
- القدسي، محمد كامل(١٩٩٦) **مقال بعنوان: علم النفس الموسيقي ومبادئ علم الاجتماع الموسيقي في خدمة تعليم الموسيقا العربية وتطويرها**، العدد(١١)، مجلة الحياة الموسيقية، وزارة الثقافة،دمشق.
- القرطاجني، حازم(١٩٨١م) **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**،تحقيق: محمد الحبيب، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري(١٩٨٢) **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: احمد البردوني وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة.
- القزويني، جلال الدين، **الإيضاح في علوم البلاغة**، تحقيق:عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر، بيروت.
- القشيري ،عبد الكريم بن هوازن(٢٠٠٧م) **لطائف الإشارات تفسير القرآن (تفسير القشيري)**،تحقيق: عبد اللطيف حسن ،دار الكتب العلمية، بيروت.
- قطب، سيد(١٤١٢هـ) **في ظلال القران،ط ١٧**،ج١، دار الشروق، بيروت، لبنان.
- قطب، سيد(٢٠٠٤م) **التصوير الفني في القرآن، ط١٧**، دار الشروق، القاهرة.
- قطب، سيد (١٩٤٧) **النقد الأدبي أصوله ومناهجه**،ط٨، دار الفكر العربي، القاهرة.
- القنيبي، حامد صادق(١٩٨٤) **المشاهد في القرآن الكريم**، ط١، مكتبة المنار، عمان.

- القيرواني،أبو علي الحسن ابن رشيق(١٩٦٣م) **العمدة في محاسن الشعر ونقده**، تحقيق: محمد محي الدين، ط١، مكتبة السعادة، القاهرة.
- القيسي، عودة الله منيع(١٩٩٦م) **سر الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد في القرآن**، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الكاتب،إسحاق بن إبراهيم بن وهب(2015) **البرهان في وجوه البيان**، ط١، مطبعة الشباب، مصر.
- كشك،أحمد(٢٠٠٦م) **من وظائف الصوت اللغوي**،ط١، دار غريب للطباعة والنشر،القاهرة.
- كمال، بشر(٢٠٠٠م)**علم الأصوات**، د.ط، دار غريب،القاهرة.
- لاشين،عبد الفتاح(١٩٨٣م) **من أسرار التعبير في القرآن (صفاء الكلمة)**، ط١، مطابع سحر،الرياض.
- لاشين،عبد الفتاح(١٩٩٢م)**البيان في ضوء أساليب القرآن**، ط٣، دار المعارف، مصر.
- لافي، نعيم(١٩٨٥م) **حروف القرآن: دراسة دلالية في علمي الأصوات والنغمات،العدد(١٠٢)** مجلة الفيصل،الرياض.
- لوتمان، يوري(١٩٩٥م) **تحليل النص الشعري**، ترجمة: محمد فتوح، د.ط، دار المعارف،القاهرة.
- ماريوباي(١٩٧٣م) **أسس علم اللغة**، ترجمة أحمد مختار عمر، منشورات جامعة طرابلس، ليبيا.
- مالبرج، برتيل(د.ت) **الصوتيات**، ترجمة:عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة.
- المبارك، محمد(١٩٧٣م) **دراسة أدبية لنصوصٍ من القرآن**،ط٤، دار الفكر، دمشق.
- المباركي، **الكم الزمني لصويت الغنة في الأداء القرآني**، المجلد (١٣) العدد (٢١).
- المباركي، يحيى بن علي(١٤٢١هـ) **الكم الزمني لصويت الغنة في الأداء القرآني**،المجلد (١٣) العدد (٢١) مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، مكة.
- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد(١٤١٩هـ)**الكامل في اللغة والأدب**، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، ط١، وزارة الأوقاف السعودية، الرياض.
- المبرد، أبوالعباس محمد بن يزيد(١٣٩٩هـ) **المقتضب**، تحقيق: محمد عبد الخالق، لجنة إحياء التراث الإسلامي في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة،(ط١)،

- مجمع اللغة العربية(٢٠٠٤م)**المعجم الوسيط**،ط٤، مكتبة الشروق الدولية، عمان.
- **مجمل اللغة**،(١٩٨٤م)تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان،ط١، مؤسسة الرسالة،بيروت.
- مجموعة علماء(١٤٣٣هـ)**موسوعة التفسير الموضوعي**، مركز الدراسات القرآنية، جدة.
- مجموعة علماء(١٤٣٦هـ) **المختصر في التفسير**،ط٣، مركز الدراسات القرآنية، جدة.
- مجموعة علماء، **موسوعة التفسير الموضوعي**،ج٤،ص٢٦٧ بتصرف.
- مخلوف،حسنين محمد(١٤١٨هـ) **كلمات القرآن**، دار إحياء التراث العربي،الكويت.
- المرادي،أبو محمد بدر الدين(١٩٩٢م)**الجنى الداني في حروف المعاني**، تحقيق: فخر الدين ومحمد نديم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- مسلم، مصطفى(٢٠١٠م)**التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم،ط١**، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة.
- مصلوح، سعد،(١٩٨٠م) **دراسة السمع والكلام**، ط١، عالم الكتب،القاهرة.
- مطلوب، أحمد وكامل حسن البصير(١٩٨٢م) البلاغة والتطبيق، ط١، معهد الإنماء العربي، بغداد.
- مطلوب،أحمد(١٩٨٠م) **البلاغة العربية المعاني والبيان والبديع**، ط٢، معهد الإنماء العربي، بغداد.
- مطلوب،أحمد(١٩٨٧) **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**،ط٢، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد.
- المقري، احمد بن محمد (١٩٨٧) **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، دار لبنان، بيروت.
- المكي،أبو طالب محمد عبد الله المكّي(١٩٦١م) **قوت القلوب**،ط١، مكتبة مصفى البابي الحلبي ، القاهرة.
- الميداني،عبد الرحمن حسن حبنكه(د.ت) **أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع**، ط١، دار القلم، دمشق.
- النجاري،علاء الدين(١٩٧٦م) **كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي**، ط١، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- نور الدين، صدوق(١٩٩٤م) **البداية في النص الروائي،ط١**، دار الحوار، سوريا.

- نـور الدين،عصـام (١٩٩٢)**علـم وظـائف الأصـوات اللغويـة(الفنولوجيا)**،ط١، دار الفكـر اللبناني، بيروت.
- النورسي، بديع الزمان(٢٠١٤م) رسائل النور،ط١، شركةrnk،اسطنبول، تركيا
- الهاشمي،السـيد احمـد(١٩٧٩) **ميـزان الـذهب فـي صـناعة شـعر العـرب**، د ط، مكتبـة النقاء،بغداد.
- الهاشمي،السيد أحمد(د.ت)**جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع،ط١٢**، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر(١٩٧٩م) **كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة**، تحقيق: حبيب الرحمن، ط١، مؤسسة الرسالة، دمشق.
- ياسوف،أحمد(٢٠٠٦م) **دراسات فنية في القرآن الكريم**، ط١، دار الكتبي، دمشق.
- اليـافي، نعـيم(٢٠٠٨) **تطـور الصـورة الفنيـة فـي الشـعر العربـي الحـديث**، ط١، صـفحات للدراسات والنشر، دمشق.
- اليـافي، نعـيم(١٩٨٤م) **ثـلاث قضـايا حـول الموسـيقى فـي القـرآن**، تشـرين الأول، ع (١٧)، مجلة التراث العربي،اتحاد الكتاب العرب، دمشق.
- اليـافي، نعـيم(١٩٨٧م) **مقـال: عـودة إلـى موسـيقا القـرآن**،العـددان،(٢٥-٢٦)، مجلـة التـراث العربي، دمشق.
- اليافي، نعيم(١٩٨٤م) **مقـال بعنـوان: قواعـد تشـكل النـغم فـي موسـيقا القـرآن**،العـددان،(١٥-١٦)، مجلة التراث العربي، دمشق.